شريف سامي
إدريس النبي
رمز الحكمة الخالدة
سؤال للتاريخ
حول أثره
دار دوّن

إدريس النبي

شريف سامي: إدريس النبي، كتاب
الطبعة العربية الأولى: يناير ٢٠٢٥
رقم الإيداع: ٣٤٢٣١ / ٢٠٢٤ – الترقيم الدولي: 8 - 469 - 806 - 977 - 978

جَميعُ حُـقـوقِ الطَبْعِ والنَّشرِ محـْفُوظةٌ للناشِرْ
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة
بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر.

إن الآراء الواردة في هـذا الكتاب
لا تُعبـر عن رؤيـة الناشـر بالضـرورة
وإنما تعبر عن رؤية الكاتب.
© دار دَوِّنْ
عضو اتحاد الناشرين المصريين.
عضو اتحاد الناشرين العرب.
القاهرة - مصر
Mob +2 - 01020220053
info@dardawen.com
www.Dardawen.com

شريف سامي

إدريس النبي

في هذا الكتاب

إهداء ١٣

المقدمة ١٥

تمهيد ١٧

موت آدم ٢٤

الفصل الأول: مِيراثُ النُّبوة (من مَنظور الدِّين)

١- نبوةُ آدمَ في اليهودية ٣١

في اليهودية التلمودية ٣١

في اليهودية الإصلاحية ٣٢

في اليهودية المحافظة ٣٢

**٢- نبوةُ آدمَ في المَسيحيةِ ٣٣**

رأيُ المؤيدين ٣٣

رأيُ المعارضين ٣٣

الخَطيئة وسقوط الإنسان ٣٣

**٣- نبوةُ آدمَ في الإسلامِ ٣٦**

توبةُ آدمَ ٣٦

هل «آدم» نبي أم رسول؟ ٣٩

**٤- نبوة آدم في الصابئة المندائية ٤١**

الرأي الأول ٤١

الرأي الثاني ٤١

أنبياء الصابئة ٤٢

آدم السري ٤٣

**٥ - النبوة من بعد آدم ٤٥**

نبوة شيتل في الصابئة ٤٥

نبوة شيث في التوراة ٤٦

نبوة شيث في المسيحية ٤٧

نبوة شيث في الإسلام ٤٧

٦- ما وَرِثَ بنو شيث ٥٢

وصاية أنوش ٥٢

وصاية قينان ٥٤

وصاية مهلائيل ٥٤

وصاية يرد ٥٥

فتنة في الجبل المقدس ٥٦

وصاية أخنوخ في ظروف صعبةٍ ٥٨

الفصل الثاني: إدريس

١ – نبوة إدريس ٦٣

إدريس في القرآن ٦٣

إدريس نبي أم نبي ورسول؟ ٦٦

الظهور الأول للشرك بالله ٦٩

هل إدريس هو نفسه إلياس؟ ٧٢

هل إدريس قبل أم بعد نوح؟ ٧٥

**٢ – وصوف إدريس ٨١**

**٣–علوم إدريس ٨٣**

خطّهُ بالرَّمل ٨٤

**٤ – دعوة إدريس ٨٨**

**٥ –عبادة إدريس لله ٩١**

إدريس وإبليس ٩١

إدريس والملائكة ٩٢

تحدِّي هاروت وماروت ٩٩

**٦ – ورفَعناه مكانًا عليًّا ١٠٣**

الرفع معنوي أم حسّي؟ ١٠٣

في أي سماء رُفِع؟ ١٠٤

هل ما زال حيًّا في السماء؟ ١٠٩

**٧ – ما تفَرَّد به الشيعةُ عن إدريسَ ١١٣**

وصفه لدى الشيعة ١١٣

دعوته لدى الشيعة ١١٤

إدريس يُحيي الموتَى ١١٥

رفعه لدى الشيعة ١٢٠

بيت إدريس بالكوفة ١٢٢

الفصل الثالث: أخنوخ

**١ - نبوة دانوخ في الصابئة المندائية ١٢٨**

**٢ - نبوة أخنوخ في اليهودية ١٣٠**

الرأي الأول ١٣٠

الرأي الثاني ١٣٢

أخنوخ في الحاخامية الكلاسيكية ١٣٢

وجهة النظر الأولى ١٣٢

وجهة النظر الثانية ١٣٣

وجهات نظر أخرى ١٣٤

**٣ - أسفار أخنوخ المحرَّمة ١٣٥**

سِفر أخنوخ الأول ١٣٥

أخنوخ ومحاربة الملائكة الساقطين ١٣٨

القصة بين سفر أخنوخ والأسفار القانونية ١٣٩

أسباب حظر سفر أخنوخ الأول ١٤٢

سِفر أخنوخ الثاني (أسرار أخنوخ) ١٤٣

أسباب حظر سفر أخنوخ الثاني ١٤٥

سفر أخنوخ الثالث (سفر الكاهن الأكبر إسماعيل) ١٤٧

أسباب حظر سِفر أخنوخ الثالث ١٤٨

مَن هوَ الكاهن إسماعيل؟ ١٤٩

**٤ - أخنوخ في الكُتب الدينية المحظورة ١٥١**

أخنوخ في كتاب العمالقة المحظور ١٥١

مخطوطات البحر الميت ١٥١

محتوى كتاب العمالقة ١٥٣

أسباب حظر كتاب العمالقة ١٥٣

**٥ - أخنوخ في الكتب الدينية المختَلَف عليها ١٥٤**

أخنوخ في سفر يشوع بن سيراخ ١٥٤

سفر ابن سيراخ بين الحظر والقانونية ١٥٥

٦ – نبوة أخنوخ في المسيحية ١٥٧
أخنوخ في إنجيل لوقا ١٥٧
أخنوخ في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١٥٨
أخنوخ في رسالة يهوذا ١٥٨
٧ – نبوة أخنوخ في المورومونية ١٦١
يحي بن زكريا هاجر إلى أمريكا ١٦١
انقسام الطائفة ١٦٢
أخنوخ في اللؤلؤة ١٦٣
أخنوخ في المبادئ والعهود ١٦٣
أخنوخ في كتاب موسى ١٦٣
أخنوخ باني مدينة صهيون ١٦٤
آدم وحواء هبطوا بأمريكا ١٦٥
٨ – نبوة أخنوخ في الثيوصوفيا ١٦٧
تأسيس الدِّيانة الحديثة ١٦٧
أخنوخ في الثيوصوفيا ١٦٩

الفصل الرابع: هرمس

١ – هرمس الهرامسة ١٧٣
النظرية التاريخية ١٧٤
الوصف الأول ١٧٤
الوصف الثاني ١٧٥
الوصف الثالث ١٧٦
النظرية الدينية ١٧٦
هرمِس نبيٌّ: ١٧٦
النظرية الأسطورية ١٧٨
الإله هيرميس اليوناني ١٧٨
الإله تحوت المصري ١٨٠
أوجه التشابه بين هرميس وتحوت ١٨١
دمج الإلهين في إله واحد ١٨٢
٢ – الديانة الهرمسية الباطنية ١٨٣

في العصور الوسطى ١٨٣

في عصر النهضة ١٨٥

في العصر الحديث ١٨٦

**٣ – النصوص الهرمسية المقدسة ١٨٨**

الهرموتيكا التقنية العملية ١٨٨

الهرموتيكا الفلسفية الدينية ١٩٠

**٤ – ترتيب النصوص الهرمسية ١٩٢**

النصوص المنسوبة لهرمس ١٩٢

١ – متنون هرمس ١٩٢

٢– اللوحة الزمردية ١٩٤

٣ – أسكليبيوس – الموعظة المِثالية ١٩٩

نصوصٌ أُخرى ٢٠٠

**٥ – مبادئ هرمس السبعة ٢٠٤**

**٦ – الفلسفة الهرمسية ٢٠٦**

١ – الله خالق كل شيء ٢٠٦

٢ – اللاهوت التنجيمي ٢٠٧

٣ – ما فوق مثل ما هو تحت ٢٠٧

**٧ – حِكم الكون الهرمسية الثلاثة ٢٠٩**

الحِكمة الأولى: الخيمياء ٢٠٩

الحِكمة الثانية: التنجيم ٢٠٩

الحكمة الثالثة: السِّحر الإلهي (السيمياء) ٢١٠

**٨ – المفاهيم الأساسية للهرمسية ٢١١**

١ – نشأة الكون ٢١١

٢ – هبوط الإنسان للأرض ٢١٢

٣ – تناسخ الأرواح ٢١٣

٤ – وجود الخير و الشر ٢١٤

**٩– القَبالة الهرمسية ٢١٥**

أصول القَبالة الهرمسية ٢١٥

مفهوم الإله في القَبالة الهرمسية ٢١٧

السيفيروث في القبالة الهرمسية ٢١٧

التاروت الإلهي وشجرة الحياة ٢١٩
أوامر الملائكة ٢١٩
الطريق إلى الجماعات الهرمسية ٢٢٠
ميلاد الماسونية المصرية ٢٢٠
**١٠ - الجمعيات الهرمسية السرية ٢٢٣**
جماعة الصليب الوردي ٢٢٤
جماعة الفجر الذهبي ٢٢٦
جماعة إخوان الأقصر الهرمسين ٢٢٩
جماعة إخوان النور الهرمسية ٢٣١
جماعة فرسان الهيكل الشرقيين ٢٣٢
**١١ - مقارنة بين الهرمسية والأديان ٢٣٤**
الهرمسية والغنوصية ٢٣٤
الهرمسية واليهودية ٢٣٦
الهرمسية والمسيحية ٢٣٩
الهرمسية والمورمونية ٢٤٢
الهرمسية والإسلام ٢٤٢

الفصل الخامس: نبي مصر

**١ - إدريس ومصر ٢٤٩**
الرأي الأول ٢٤٩
الرأي الثاني ٢٥٠
كتابات مؤرخي العصور الوسطى ٢٥١
فلسفة المنوفي ٢٥٦
**٢ - إدريس وبناء الأهرامات ٢٥٩**
إمحوتب المجهول بانِي أول هرم ٢٦٦
**٣ - إدريس وأوزوريس ٢٦٨**
أوزوريس ٢٧٢
أوجه التشابه ٢٧٧
**٤ - إدريس وأبو الهول ٢٨٠**
أبو الهول ٢٨٠

هل هو وجه إدريس في جسم أسد؟ ٢٨٤

علوم «أبي الهول» السرية ٢٨٥

لوحة الحُلم ٢٨٧

أبو الهول وخط الرمال ٢٨٨

أبو الهول والماسونية ٢٨٩

**٥ – غضبٌ لدَى علماء الآثارِ** ٢٩١

أبو الهول قبل أم بعد الأهرامات؟ ٢٩٤

الخاتمة

التعليق على الفصل الأول (ميراث النبوة) ٢٩٦

عمليات النقل الأُولى من أهلِ الكِتاب ٢٩٧

هل يجوز النقل من أهل الكتاب؟ ٢٩٨

التعليق على الفصل الثاني (إدريس) ٢٩٩

ما سبب وجود أخبار زعموا أنها من أهل الكتاب؛ وهي ليست منهم؟ ٣٠٢

التعليق على الفصل الثالث (أخنوخ) ٣٠٣

التعليق على الفصل الرابع (هرمس) ٣٠٥

التعليق على الفصل الخامس (حَكِيم مِصر) ٣٠٦

ما بين التراث الشعبي والكُتب المقدَّسة ٣٠٧

تاريخُ مِصرَ الخُرافي ٣٠٨

ملوك ما قبل الطوفان ٣٠٩

ملوك مصر بعد الطوفان ٣١١

الخلاصة ٣١٣

لماذا لا يوجد ذِكر للأنبياء في الحضارة المصرية؟ ٣١٥

في النهاية ٣١٨

التواصل مع الكاتب ٣١٩

**إهداء**

«إِلَى مَن يَسْعى للنَّهْلِ من يَنابيعِ المَعرِفَةِ؛
كَي يُثرِي رُوحَهُ ويُنيرَ دُرُوبَ حَيَاتِه»

شريف سامي

منذ فجر التاريخ وحتى اللحظة التي تقرأ فيها هذه الكلمات؛ ثمةَ أسئلة مهمة دارت على مرِّ العصور؛ في عقل الإنسان ذي الفِطرة الفضولية الدائمة:

-ما هي أسرار الكون؟

-ماذا يحتويه العالم من أسرار خفية؛ عاشت أجيال وتبدّل غيرهم؛ ولم يتعرفوا إلا على جزءٍ لا يساوي شيئًا من بين أجزائها الغامضة؟

-هل هناك من اطّلع على بعضها؟

تتداول القصص التاريخية والحكايات الشعبية - المصبوغة غالبًا بصِبغة دينية - قصةَ حكيم عالِم؛ أنقذ الإنسان من براثن الجهل والظلام؛ إلى نور المعرفة والنَّجَابَة، وانتشله من ظُلمات الكهوف والبراري، وجهالاته الحياتية، ومصارعته للحيوانات طوال الأيَّام الخَوالي؛ كي يقتات على بعضها ويرتَدِي جلودها سترًا لعورته؛ وارتقى به بعد تلقينه بعضًا من الحكمة والمعرفة، وقذف في عقله أفكارًا ثاقبةً تساعده على استثمار البيئة التي كتبها الله عليه - مع اختلاف الإله والدين في كل قصة - كي يفهمَ أسرارها وألغازها؛ حتى تكون مطواعةً بين يديه، فأصبح يرتدي المَخيط، ويأكل الطَّيب، ويبني البيوت، وأسس حضارته الإنسانية التي قَلّدته ساميًا عن باقي مخلوقات الأرض، وسيدًا على بيئته، مُسخِّرًا إياها لخدمة احتياجاته؛ قادرًا على إعمار الأرض والاستخلاف فيها بالعقل والمعرفة؛ وزارعًا مصباحًا منيرًا في دياجير جهله.

وتقول القصة: إن هذا الحكيم المكلَّف من الله؛ والمشهور بأنه عرف الأسرار وفك شفرات الغموض، امتلك نظرةً ثاقبة على الطبيعة والكون المادي والعالم الروحي؛ وعلوم لم يطَّلِع عليها الإنسان العادي، ومن مُقتضى حكمته وعلمه: أثَّر في البشرية وعلَّمهم أمورًا عرفوها - لأول مرة - على يديه؛ كالحِكمة والعلم والطب والفلك والهندسة؛ والفهم العميق للحياة الدنيا، وعبادة الله والإيمان بالقَدَر والبعث -رغم اختلاف المعتقدات والثقافات- وغيرهم من العلوم، وأقرُّوا أنه المعلِّم الأوّل للبشرية الذي أرشدهم إلى طريق الحق.

ورغم اختلاف الإله لدى الكل وكيفية العبادة وكذلك تباين الشخصية نفسها؛ فقد اتفقوا جميعهم على وجود هذا الشخص المؤثر بصفات شِبه موحدة؛ لكن بأسماء مختلفة.

فهل «إدريس» هو «أخنوخ» هو «دنانوخ» هو «هرمس المثلث» هو «أوزوريس» هو «إمحوتب» هو «أبو الهول»، هو حكيم مصر الذي بنى أهراماتها وعلم أهلَها الحضارة؟

هل هو مثالٌ إعجازي للعالِم العامل والحكيم المُلهم الذي جمع بين العِلم والعمل؛ وأثر في حياة «بَنِي آدم» وعلَّمهم الحضارةَ وإعمار الأرض؛ وكسر جهالاتهم وشقائهم الدنيوي؛ ثم رُفع إلى السماء بعد أداء مهمته؟

أم أنه مجرّد مزجٍ لنسيج من الصفات الأسطورية التي قدَّستها الشعوب؛ ومن ثَم تم تأليهه ورفعه كإلهٍ لدى بعضهم؛ دون وجود ملموس له من الأساس؟

سنحاول الإجابة عن كل هذه الأسئلة، وسنقرأ عنه في كل المصادر المتوافرة؛ والمعتقدات والثقافات التي

آمنت به:

-لنرى لماذا ارتبط اسمه بالحضارة والمعرفة والحِكمة والعلوم السرية؛ وكذلك السِّحر والتنجيم والخيمياء ومعرفة الغيب، ولماذا عبده البعض؟

والله الموفق..

يهدِفُ هذا الكتاب إلى تقديم رحلةٍ منوّعة؛ وفي نفس الوقت مترابطة، غير مُنحازة لوِجْهةِ نظر معينةٍ، حيث حاولت في هذا الكتاب التحلّي بالحياد؛ في محاولة لمشاركة القارئ نفسه في رحلة البحث والاستنتاج؛ وتكوينه لرؤيته الخاصة؛ دون إقحامِي أيَّ تحيزٍ أو تحَابِي؛ إلَّا في توضيح الفرق بين الحقيقة المثبَتة والأسطورة الباطلة، والرواية المُسندة والخبر الضعيف.

سيتم ذلك؛ بعد تقديم النصوص والمصادر المختلفة التي تساعد القارئ في هذا الإبحار؛ ومحاولة إمتاعه بترتيب القصص وسردها واستعراض تفسيراتها، فيما يُشبه مَسْرحًا منوّعًا؛ يضمّ مسرحياتٍ من معتقدات وثقافاتٍ مختلفة، كل مسرحية تُقدِّم وِجْهَة نظرٍ فريدة مستقلة وغير مُنتقصَة؛ تُثري فهمنا للشخصية التي اعتقدوا وجودها في فصلٍ خاص بها، حتى يستوعب القارئ التشابهات والاختلافات بين الشخصيات المذكورة؛ بكل حيادٍ.

وقد تعاهدت بيني وبين نفسي أن أُبرز للقارئ كل الحقائق - وكذلك الأساطير - وعدم طمس أيّ منهما؛ مع توضيح المصدر، حتى نكتشف معًا كيف اختلطت الحقيقة بالأسطورة؛ وتوغّلت الخرافات بعد أن ارْتَدتْ زِيّ المُسَلَّمات؛ وتداول أفكارها الكثيرون - بما فيهم بعض النخبة - وعدّوها حقيقة مزعومة لا يمكن إنكارها، حتى يصل القارئ إلى خاتِمةِ الكتاب؛ وفيها حَسْم الجِدال ودراسة النصوص المذكورة، من أجل إبراز الحقائق، ودَحْض الخرافات، وذِكْر أسباب انتشار هذه الأساطير، وتتَبع الخط الذي سلكته كل أسطورة؛ حتى وصلت إلينا الآن..

ومن ثّم:

وَضْع إجابات على الأسئلة التي أثارت الرأي العام وأحدثت سِجالًا بين بعض علماء الدين وبعض علماء الآثار في الآونة الأخيرة؛ بخصوص شخصية نبيِّ الله «إدريس» ﷺ، وتكرار صفاته وَوُصُوفه في معتقدات أخرى، كذلك بناؤه للأهرامات وأن «أبا الهول» هو وَجْهه؛ ولماذا لم تتحدث الحضارة المصرية القديمة عن وجود أي أنبياء؛ وغير ذلك.

**وبناءً على ما ذُكِر:**

أُقرُّ أنني ليس لِي أيّ غرض من سَرْد صفات جميع الشخصيات -بما فيهم الغامضة والباطنية- إلّا المعرفةَ، والتحقيق فيها فقط، وليس لِي نية في الترويج لأي معلومات غريبة شطت عن الحقيقة إلَّا لتنحيتها؛ فلا يجوز أخذ اقتباسات مجتزأة من هذا الكتاب - على سبيل أنه يَحْمِل بعضَ الغرائب - دون ذكر تعليقي الشَّخْصي عليها؛ إما بالنفي أو التأكيد.

وهذا الكتابُ مصادره كما يُظهِر الترتيبُ التالي:

1

- القرآنُ الكريم والسنةُ النبوية ومفسروهما، والصحابةُ والتابعون، وأهلُ الحديث والأثر، والمؤرخون

المسلمون، وعلماءُ الأخبار المسلمون الذين اجتهدوا في تجميعِ قصة «إدريس» عليه السلام.

2

- أسفارُ العهد القديم العبراني ومعلِّقوها، والأحبارُ والمؤرخون العبرانيون، ومَن تخصّص في دراسة كتاباتهم، وعلماءُ وكُتّاب غَربيّون قدّموا دراسات خاصة بشخصية «أخنوخ» في الكتب اليهودية المحظورة، كذلك سنتجول في هذه الكتب والأسفار الممنوعة؛ وسنقوم بفحص محتواها الذي تحدَّث عنه.

3

- أسفارُ العهد الجديد المَسيحي ومفسروها، والآباءُ الأوائل؛ وعلماءُ اللاهوت والمؤرخون المسيحيون، ومَن تَخصّص في دراسة كتاباتهم، وعلماءُ وكُتّاب غَربيون قدّموا دراسات عن بعض الطوائف المُنبثقة منهم - وكذلك المُنشقة عنهم - ولن يتمَّ ذِكْر جميع الطوائف؛ بل فقط ما يخصُّ موضوعنا الأساسي، وهو ذِكر شخصية «أخنوخ».

4

- متونُ هرمس والنصوصُ الهرمسية الباطنية جميعها (اليونانية والعربية)؛ وفحص الكثير من محتواها، كذلك تفاصيل الديانة الهرمسية ونظرتها لـ «هرمس»، ورؤيتهم للمعرفة الكونية التي قالوا إنهم وَرِثوها عنه، بالإضافة إلى التجوُّل في العالم السِّري لجماعاتهم الباطنية؛ وفنونهم السِّحرية والخيمياء والسيمياء (السِّحر الإلهي)؛ وحِكمة «هرمس» وفلسفته وعلومه، وسيتم استعراض هذا الفصل بطريقةٍ مُعتدلة؛ لمعرفة فقط كيف جعل هؤلاء السِّحرَ أمرًا مشروعًا ومنسوبًا لـ «هرمس»؛ الذي يربطه البعضُ بنبيِّ الله «إدريس» عليه السلام.

5

- نصوصُ الصائبة المندائية، والدراسات التي أُجريت حول طقوسهم الغامضة؛ دون تعمُّقٍ ملحوظ فيما لا يخص موضوعنا، وهو معرفة أنبيائهم، وبالتحديد «آدم كسيه»، و«شيتل»، و«دانوخ»، والصُّحف الأُولى التي أُنزلت عليهم.

6

- المؤرخون المصريون القُدماء والمؤرخون اليونانيون القدماء، والمؤرخون والأَخْباريون المسلمون (خاصةً من العصور الوُسْطى)؛ ومَن تَبنَّى أفكارَهم وتناقَل عنهم من مؤرخي العصر الحديث، وعلماءُ آثار ومصريات غربيون ومصريون.

فهيَّا بنا نخوض هذه الرحلةَ من بداية موت «آدم» عليه السلام - بحسب الشرائع السماوية - لكي نتدبَّر معًا كيف ستكون الحياة قاسية؛ إن لم يُرسِل اللهُ للأرض المعمورة أنبياءَ معلِّمين..

***

مهما طالت قصة الإنسان على الأرض لها نفاد معلوم؛ وأبرز مثال ضُرِب في كل الشرائع السماوية - بل وغالبية المُعتقدات غير السماوية الأُخرى: «آدم» أبو البشر وأول إنسان على المعمورة، فبرغم التأكيد على أنه خُلق بلا أمٍّ أو أبٍّ؛ وعلَت منزلته واستخلَفه الله في الأرض؛ بل وسجَدت له الملائكة - من المنظور الإسلامي - وتمثيله بداية العلاقة بين الربّ والإنسان، وتسمية المسيح بـ «آدم الثاني» - من المنظور المسيحي- ورغم كونه أبًا روحيًّا لليهود - من المنظور التوراتي - ترى الشرائعُ الثلاثة أنه لم يخلُ من الاختبار والابتلاء، ولم يُستثن من الجزاء والعقاب، بشرط أن يُبلَّغ بالعِلم قبل الحساب.

ولكي يخضع «آدم» - الذي هو رمزٌ لكلِّ نَسلِه - للحِساب، كان لِزامًا إقامة دستور يُوضح مدَى الجريمة ومِقياس العقاب؛ لذلك بُعِثتِ الأنبياءُ - في الشرائع السماوية - لِتنفيذ هذه المهمةِ.

● فمِن المَنظور اليهوديِّ

نرَى تقديسًا روحانيًّا للأنبياء لكونهم الرسالةَ الإلهية المُباشرة والناطقين باسم الله، كما ورد في «سِفر التَّثنية» خامس أسفار موسى الخمسة:

**[أُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلَكَ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ.]** (1)

كما نجدُ تأكيدًا على توجيهم شَعْب الله إلى طريق الحقِّ وإرشادهم إلى العبادة الصحيحة، وتلقِينهم دستوره على الأرض، كذلك برَزوا كمُدافعين عن الشريعة الإلهية والعدالة الاجتماعية، ومعلمين أخلاقيين وكاشفين عن المُستقبل؛ حيث شَمِلت أركان نبوَّتهم التنبؤ بأحداثٍ سياسية واجتماعية ودينية مُستقبلية، خاصةً تلك المتعلقة بـ «مسيا الله»(2).

● من المَنظور المسيحيِّ

توارثَ مُعتنقوا المَسيحية نفسَ المفهوم حول النبوةِ، مع الاعتقاد بأنَّ «الروح القُدُس» هو الذي ألهَم الأنبياءَ والرُّسل، ولقَّنهم الكلمات المُناسبة للتعبير عن رسالته، ثم تطوَّر الأمر بنزول «يسوع المسيح» كمتمِّمٍ للنبوة، أي إنه قد تحقَّق فيه كل ما تنبّأ به الأنبياءُ في العَهْدِ القديم، كما ورَد في «إنجيل لُوقا»:

**[وَقَالَ لَهُمْ: «هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: إِنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ».]** (3).

ثم نجِد أنّ بعثةَ الرُّسل في المَسيحية بعدَ «المسيح»؛ غرضُها برهنتهم كشهود على حياة «المسيح» وقيامَتِه، ونقل رسالته إلى العالم.

● من المَنظور الإسلاميِّ

في الإسلام نرَى بعثة الأنبياءِ من أجْلِ قَطْع الحُجة والأعذار بعَدَم بلوغِ دعوة الله للبشر، وقد ذكر «القرآنُ الكريمُ» هذا الأمرَ بصورة حازمةٍ وواضحةٍ؛ فقال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (4)

وقال تعالى في موضعٍ آخرَ:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (5)

كما قال أيضًا:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (6)

وفي الدِّين الإسلاميِّ نجدُ أن الله وضَع منهجه مع «بني آدمَ» أنه لا يظلِمُ مِثقال ذرَّةٍ، بالإضافة لاصطفائهم وجَعْلِهم خُلفاء للأرض؛ وامتيازهم بالعقل والفَهم، بدايةً من: تعليمهم الأسماء والكلام والتعبير، ثم: إعْمارِهم الأرض بعقلهم الذي ميَّزَهم بهِ، فلولا نعمة العقل لَما استمرَّ العُمران على بسيطتِنا طوال آلاف السنين المَديدة.

يرى الدِّين الإسلامي أن مقابلَ اصطفائهم؛ لم يطلب الله منهم إلَّا مصلَحتهم العظيمة، وهي عبادته تعالى، ولولا أنه خلَق «بني آدمَ» لتلك الغاية - التي هِي عبادتهُ - لكان خَلْقه لهم عبَثًا وسُدًى، فقد ذكَر القرآنُ الكريم أنه لم يخلُق البشرَ عبَثًا(7)؛ بل لعبادتِه سبحانه وتعالى، ويرَى الإسلامُ أن الجميعَ له قِيامة صُغرى تنتهي بها عاجلته، حتى المسيح «عيسى ابن مريم» عليه السلام المرفوع الآنَ في السماءِ، سيهبِطُ إلى الأرضِ وتُقبضُ روحه ويموت، فكلّ «بني آدمَ» كُتِب عليهمُ الموتُ، وها هو «آدم» نفسه يرقُد على فِراش موته بعدَما أتمَّ من العُمر تسعمائة وأربعين سنة، مُستبعدًا أن تكون النهاية، فلقد وعَده ربُّه بأن عمره ألف سنة، كان يعدهم عدًّا.

موت آدم

فاجأَ مَلكُ الموت «آدمَ» عليه السلام بالقَدُوم، فقال له «آدم»:

-لقد عَجَّلتَ، قَد كُتِبَ لِي ألفُ سنةٍ.

قالَ مَلك الموت:

-بلَى، ولكنك جعلتَ لابنِكَ داود ستِّين سنةً.

يقولُ رسولُ الله ﷺ في هذه الواقعة:

« فجَحدَ فجَحدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، ونَسِيَ فنَسيَتْ ذرِّيَّتُهُ »

فقد نَسِي بالفِعل ما قاله من قبلُ عند لقائِه مع ربِّه، حيثُ روى أبو هريرةَ أنّ النبيَّ ﷺ قالَ:

« لَمَّا خلَقَ اللهُ آدَمَ ونفَخَ فِيهِ الرُّوحِ عَطسَ فقالَ: الحمدُ للهَّ، فحمِدَ اللهَّ بإذنِهِ، فقالَ لَهُ ربُّهُ: يرحَمُكَ اللهُ يا آدَمُ، اذْهَبْ إلَى أولئِكَ المَلائِكَةِ، إلَى مَلَأٍ منهُم جلوسٍ فقُل: السَّلَامُ عليكُم، قالوا: وعليكَ السَّلامُ ورحمةُ اللهَّ، ثمَّ

رجَعَ إلى ربِّهِ، قالَ: إنّ هذِهِ تحيَّتُكَ وتحيَّةُ بَنيكَ بينَهُم، فقالَ اللهُ لَهُ ويَداهُ مَقبوضتانِ: اخْتَرْ أيَّهما شِئْتَ، قالَ: اخْتَرْتُ يَمينَ ربِّي؛ وَكِلْتا يَدَي رَبِّي يَمِينٌ مُبارَكَةٌ، ثمَّ بَسَطَهَا فإذَا فِيهَا آدَمُ وذُرِّيَّتُهُ، فقالَ: أَيْ ربِّ، ما هؤلاءِ؟ فقالَ: هؤلاءِ ذرِّيَّتُكَ، فإذا كلُّ إنسانٍ مَكْتوبٌ عُمُرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فإذَا فِيهِم رَجُلٌ أضْوَؤُهُمْ (أوْ مِنْ أضْوَئِهِم)، قالَ: يَا رَبِّ، مَن هَذَا؟ قالَ: هذا ابنُكَ داودُ قَد كَتَبْتُ لَهُ عُمُرَ أربعينَ سَنَةً، قالَ: يا ربِّ زِدْهُ فِي عُمُرِهِ، قالَ: ذاكَ الَّذي كُتِبَ لَهُ، قالَ: أَيْ رَبِّ، فإنِّي قَد جَعَلتُ لَهُ من عُمُري سِتِّينَ سَنةً، قالَ: أنتَ وذاكَ، ثمَّ أُسْكِنَ الجنَّةَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يُعِدُّ لِنَفسِهِ، قالَ: فأتَاهُ مَلَكُ المَوتِ، فقَالَ لَهُ آدمُ: قد عَجَّلتَ قَد كُتِبَ لِي ألفُ سنةٍ، قالَ: بلَى ولَكِنَّكَ جعَلتَ لابنِكِ داودَ ستِّينَ سَنةً، فجَحَدَ فجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، ونَسِيَ فنَسيَتْ ذُرِّيَّتُهُ. قَالَ: فمِنْ يومئذٍ أُمِرَ بالكِتَابِ والشُّهودِ »[8].

من ناحيةٍ أخرى؛ تَذكُر التوراةُ أنَّ عُمر «آدم» أقلّ مما ذَكَر النبيُّ «محمد» ﷺ بعشر سنوات، ففي سفر التكوين – العهد القديم:

[ عَاشَ آدَمُ بَعْدَ وِلَادَةِ شِيثَ ٨٠٠ سَنَةٍ أَنْجَبَ خِلَالَهَا بَنِينَ آخَرِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَ عُمْرُ آدَمَ ٩٣٠ سَنَةً وَمَاتَ ][9].

وعن موته ذكَر ابنُ إسحاقَ؛ عن يَحْيى بنِ عبَّادٍ؛ عن أبيهِ قال:

«بلغني أنَّ آدمَ حينَ مات بعَث الله بكفنه وحَنوطِه من الجنة، ثم وَلِيتِ الملائكةُ قَبْره ودَفنه؛ حتى غيَّبوه».

وكذلك روَى أُبيُّ بنُ كعبِ بنِ قيسٍ، عنِ النبيِّ ﷺ قال:

«إنّ آدمَ حينَ حضَرته الوفاةُ بعَث الله إليه بحَنوطِه، وكفَنه مِن الجنة، فلمَّا رأت حواءُ الملائكةَ ذهَبت لتدخُل دونَهم، فقال: خلّي عنِّي، وعن رُسُل ربِّي؛ فما لَقِيتُ ما لَقِيت إلا مِنكِ، ولا أصَابني ما أصَابني إلا فيكِ، فلما قُبِض؛ غسَّلوه بالسِّدرِ والماء وِتْرًا، وكفَّنوه فِي وِتْرٍ منَ الثِّياب، ثم لَحَدوا له ودَفنُوه، ثم قالوا: هذه سُنةُ وَلَدِ آدمَ مِن بعدِه»[10].

كما ورَد في مسندِ «الإمام أحمدَ»، عن عتي[11] قال:

«رأيت شيخًا بالمدينة يتكلم، فسألت عنه فقالوا هذا أُبيُّ بنُ كعبٍ، فقال:

إن «آدمَ» عليه السلام لما حضَره الموتُ قال لِبنِيهِ:

أي بُني، إنِّي أشْتَهي مِن ثمارِ الجنةِ، فذهَبوا يطلُبون له، فاستقبلَتهُمُ الملائكةُ ومعهم أكفانه وحَنوطه، ومعهم الفئوس والمَساحِي والمَكاتِل، فقالوا لهم: يا «بني آدمَ» ما تريدون؟ وما تطلبونَ؟ (أو: ما تريدونَ وأين تذهبون؟)، قالوا أبونا مريضٌ فاشْتَهى من ثِمار الجنةِ، قالوا لهم: ارْجِعوا فقد قُضِي قضاء أبيكُم، فجاءوا، فلمَّا رأتهُم «حواءُ» عرَفتهم، فلاذَت بـ «آدمَ»، فقالَ لها: إليكِ إليكِ عَنِّي؛ فإنِّي إنّما أُوتيتُ مِن قِبَلكِ؛ خَلي بيني وبينَ ملائكة ربِّي تباركَ وتعالى، فقَبَضوه وغسَّلوه وكفَّنوه وحَنَّطوه، وحَفَروا له وألْحَدوا له وصلّوا عليه، ثم دخَلوا قبرَه فوضَعوه في قَبْره، ووضَعوا عليه اللَّبِنَ، ثم خرَجوا مِن القَبْرِ، ثم حَثَوْا عليهِ التُّرابَ، ثُم قالُوا: يا «بني آدم»، هَذه سُنَّتكم»[12].

وذكَرَ ابنُ الأثِير: أنّه دُفِن في غارٍ في «جبل أبي قُبَيْسٍ»، وهو أحَد الأَخْشَبَيْنِ بمكةَ[13]، ويُقال للغار: غار الكَنز، وذكَر أنّ وفاتَه كانت يوم الجُمُعةِ، وأنّ «حواءَ» عاشت بعده سنة؛ ثم ماتت فدُفنت مع زوجها في الغارِ، حتى جاء الطوفان واستخرجهما «نوح» ووضعهما في تابوت، ثم حملهما معه في السفينة، فلمّا غاضَتِ الأرضُ الماءَ؛ ردَّهما إلى مكانِهما الذي كانا فيه قبل الطُّوفان[14]، (وفي روايات أخرى: الذي ردَّهما هو الابنُ «سام بن نوح» بناءً على وصية أبيه، كما ذكَرتُ هذه الأمورُ بوضوح في كتابِي الأسبق «الأرض بعد طوفان نوح»).

توفي «آدم»؛ النبي الأوَّل لدَى المسلمين والبهائيين والمندائين؛ وبعض الطوائف اليهودية، وبعض الطوائف المسيحية وما اشتُق منهم، فلم تُجمِع جميعُ المُعتقدات الدينية التي تعترِفُ به أنه كان نبيًّا، أمَّا المُلحِدون اللادِينيُّون يرَوْنَ أن «آدمَ» ما هو إلَّا مجرد شخصيةٍ أُسطورية؛ فيما يسمونه «أُسطورة الخَلْقِ».

***

# الفصل الأول

## مِيراثُ النُّبوة

(من مَنظور الدِّين)

١- نبوةُ آدمَ في اليهوديةِ

تعتَرِفُ غالبية مُعتقدات الأرض - سواء الرسائل السماوية أو المعتقدات الأخرى - بأنَّ «آدمَ» اسمٌ لأوَّل إنسانٍ على الأرض؛ وتعتبر أقدم رواية عن «آدم» كقصةٍ ورَدت في الرسائل السماوية: ما ذكَره «سِفر التكوين» بالعهد القديم في شرح قصص الخَلْق، أمّا عن نبوَّته؛ فقد اخْتُلف فيها.

رغم إيمانهم بهِبَةِ النبوة؛ تختلف المذاهبُ والطوائفُ اليهودية حولَ نبوةِ «آدمَ» عليه السلام، خاصةً أن التوراةَ لم تُشر بصورة صريحة إلى نبوته، لكن رأى غالبية معلقِيها أنّ ثمةَ معانيَ مستفادة من تفسير الآيات تُرجِّح أنه نبيٌّ[15]، على سبيل المثال: ذكَر «سفر التكوين» أنَّ اللهَ تواصَل وهاتَفَ «آدم» مباشرةً، مما يدلُّ على تواصلٍ إلهيٍّ خاصٍّ لم يُكرَّر مع غير الأنبياء، كما تُشير التوراة إلى أن الله أعطَى «آدم» وصايا وتعليمات، وهذه تُعتبر علامة من علامات النبوةِ[16]، وتختلفُ الطوائفُ اليهودية حول نبوَّته بالمفهوم الإسمي، فـ:

● في اليهودية التلمودية[17]:

يُعتَقَد أنّ «آدم» أول نبي على الأرض، تلقَّى الوحْيَ منَ الله دون حجابٍ؛ لذلكَ عدُّوه رمزًا أَوليًّا للكمال الخَلْقي والتَّمام الرُّوحي.

● في اليهودية الإصلاحية[18]:

تعتقدُ أن شخصيةَ «آدم» مجرد رمز للبدايةِ، وليست قصة تاريخية حرفية، وهو في نظَرهم شخصٌ عادي وليس نبيًّا، ويتناولون قصَّته من الجانب الأخلاقي، غير مُركِّزين على الجانب الدِّيني.

● في اليهودية المحافظة[19]:

ترَى أن «آدمَ» كان شخصًا فريدًا مُميزًا بصِلةٍ خاصةٍ مع ربِّه، لكنهم يرون كذلك أنه لم يكن نبيًّا مُرسلًا بالمعنى الدقيق، رُغْم تلقِّيه بعض الوحي المُباشر من الرَّب، وهم كنُظرائهم الإصلاحيين يتناولون قصته على أنه مجرد رمز للبدايات البشرية، مع التأكيد على أهمية القيم الأخلاقية.

من خلال هذه الأمثلة يتبيَّن عدَم وجود إجماع تامٍّ بين اليهود حول نبوةِ «آدم»، كما تختلف المذاهب اليهودية نفسها في تفسير قصة «آدم» وتحديد دَوْرِه.

***

٢- نبوةُ آدمَ في المَسيحيةِ

المسيحية هي الأخرى؛ لا يوجد في كتابها المقدس نصٌّ صريح يُؤكد نبوة «آدم» أو ينفيها؛ ولهذا السبب إلى الآن ظلت مسألة نبوته موضوعًا مفتوحًا للنقاش والاجتهاد بين اللاهوتيين المسيحيين، وانقسم المسيحيون إلى مؤيدين ومعارضين حِيال نبوته.

● رأيُ المؤيدين

يرَى البعضُ أنه كان نبيًّا مُرسلًا، مستندين إلى علاقته مع الرب وتواصله المباشر معه، وقيامه بدور الوساطة بين الله وبين بَنِيه، كما رأوا أن تَلقِّيه العلم والمعرفة كي يُلقنها لأبنائه؛ من علامات النبوة.

● رأيُ المعارضين

استند المعارضون على أنه لم يُرسَل برسالة محدَّدة من الرب إلى البشرية، ولم يُعرَف له أيّ معجزات، خاصةً أن المسيحية تربِط النبوة بالمُعجزات دائمًا.

● الخَطيئة وسقوط الإنسان

مِن ناحيةٍ أخرى، تختلفُ الكنائس المسيحية حول نظرتها إلى تصرُّف «آدم» و«حواء» بعد عصيانهم لله، وتسمِّي هذا التصرف غالبًا بـ (سقوط الإنسان)، والمقصود «مَعصِية الأكلِ من الشجرة»، التي تغير مصير بقية البشرية بسببها - على حد زعمهم - ومثلها مثل اليهودية؛ تُحمّل «آدم» و«حواء» مستوًى مختلف من المسئولية حول السقوط؛ فترى المسيحيةُ أن الطبيعة البشرية قد أصابها العَيب القاطع بسبب خطيئة «آدم»، وقد نشر هذه الفِكْرةَ أحدُ قادة الجيل المسيحي الأول - إن لم يكنِ الأهم بعد المسيح - «بولس الطرطوسي»؛ المعروف بـ «بولس الرسول» (حوالي ٥ م - بين ٦٤ م و٦٧ م)، وقد لقَّبوه بالرسول أو رسول الأمم؛ لأنهم يعتبرونه أبرز من بَشَّر بالمسيحية في آسيا الصغرى وأوروبا، والذي قال: إن خطيئة «آدم» قد أدخلت الموت والخطيئة إلى العالم[20]، ونتيجة لهذه الخطيئة تجسَّد الإله في «المسيح» ليفدِي البشرية بصَلْبِه، وأنه الفادِي المُكَفِّر لخطية «آدم»، حيث كان من المُفترض فَناء الجنس البشري تمامًا، لولا مجيء «المسيح» وفداؤه؛ الذي أفرَز وسائل جديدة تُساعد البشر الأخيار على التملُّص من خطيئة الأبِ والفوز بالجنة - على حدِّ رأيه [21] [22].

ظهَر بعد ذلك «أوغسطينوس» أو «القدِّيس أوغسطين»، (٣٥٤- ٤٣٠ م) - أهم الشخصيات المؤثرة في المَسيحية الغربية؛ وأحد الآباء اللاهوتيين للإصلاح البروتستانتي - ثم أضاف على فكرة «بولس الرسول» أن هذه الخطيئة انتقلت من «آدم» لأبنائه بيولوجيًّا، واستشهد بأن «آدم» و«حواء» عندما أكَلَا من الشجرة كُشفت عورتاهما، فغَطّيَا أعضاءهما التناسلية، ومن خلال تصوُّر هذا المشهد؛ اسْتَنتج أن السائلَ المنوي للذكور هو منبت ميراث الخطيئة من «آدم» إلى أجياله التالية[23]، إلّا أن «يسوع» - من وِجْهة نظره - لم يرث هذا العيبَ على الإطلاق؛ نظرًا لأنه لم يُخلَق من سائل منوي بشرِي[24].

***

٣- نبوةُ آدمَ في الإسلامِ

على نحوٍ مختلف عن غالبية الطوائف اليهودية والطوائف المسيحية؛ يرى الإسلام أن الطبيعة البشرية لم

يُصبها العَيب القاطع بسبب خَطيئة «آدم»، فيؤمن المسلمون أن «آدم» كان سيسكنُ الأرض من البداية؛ في قدَر الله المفروض قبل خَلْق «آدمَ» نفسه؛ حيث إن قدَر الله سابقٌ للحدوث، وأن الشجرة كانت مجرد اختبار، و«آدم» و«حواء» دون استثناء يتحملان المسئولية والعقاب بعد فشلهما في الامتحان، ويرى الدين الإسلامي أن «آدم» تاب فغُفِر له، حيث تلقَّى من ربه كلماتٍ فتابَ عليه[25][26].

● توبةُ آدمَ

في الإسلام: يؤكد القرآن الكريم توبة «آدم» وقبولها من الله، لكن لم يتوقف الأمرُ عند توبته فقط، بل نزلت آياتٌ أخرى تؤكِّد أن التوبة مشروطة بعدم العودة للعِصيان، ففي سورة «الأعراف» نجد قوله تعالى:

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴾[27].

والغرضُ من هذه الآية التحذيرُ والتخويف من معصية الله؛ وتحديدًا الامتثال لإغواءات إبليس، للتذكير بأنه المتسبِّب الأول في حِرمان «بني آدم» -بأمرِ الله- من الجنة؛ أعظم المكافآت.

كما ذُكِر عصيان «آدم» مرةً أخرى في سورة «طه» رغم توبة الله عليه، في قوله تعالى:

﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ (121) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾[28].

وفي هذه الآية تحديدًا ذُكِرت معصية «آدم» بصورة أبرز وأوضحَ بغرض التذكير، وهذا المبدأ يتبنَّاه أتباع الدين الإسلامي، ففي الوقت الذي يحث فيه الإسلامُ على الصَّفح؛ تجد المذنبَ لا يتم تركه دون إشعاره بعواقب فِعله إن تكرر الأمرُ، ويُطالَب هذا المذنب بالعمل من أجل إزالة آثار هذه المعصية، حتى لا يستهون بأن الصفح والعفو المُطلق متاحٌ دائمًا؛ فيذنب ثم يتوب، ثم يكرر الأمر لمعرفته الحلَّ، فرغم توبة الله عن «آدم» والعفو عنه؛ نجده قد أمره بإعمار الأرض، ولم يعد «آدم» إلى الجنة مرة أخرى رغم قَبول توبته.

وبهذا الشكل نجدُ أن سبب إخراج «آدم» من الجنة -في الإسلام- له سببان:

-**السبب الظاهري**: معصيته هو وزوجه لأمر الله، بالأكل من الشجرة المَنهِيِّ عنها.

-**السبب الباطني**: المُقدّر قبل خلق «آدم» نفسه؛ إعمارُه الأرضَ واستخلافه فيها[29].

فتوبة «آدم» الصادقة وإن كانت تمحو المؤاخذةَ على المخالفة؛ هي مرتبطة بحكمة أخرى فوق المخالفة؛ وهي عمارة الكون.

والملخّص لكل ذلك أن المسلمين يؤمنون بأن خطيئة «آدم» مُقدّرة من قبلِ خَلْقه، وأنه نبي لا جدال في ذلك.

وهنا يظهر سؤال جوهري:

-إذا كان «آدم» نبيًّا - كما يعتقد أتباع الدين الإسلامي - فكيف خالف أمر ربِّه ونَهْيه عن الأكل من الشجرة؟! أليس مفترضًا أن النبي معصومٌ من الخطأ لدى معتنقي الإسلام؟

يرى المفسِّرون المسلمون أن «آدم» اعتقد أن النهي للتنزيه لا للتحريم، وكذلك اتضح أن معصيته سببها النِّسيان لا العِناد، حيثُ ورد في القرآن الكريم بسورة «طه»:

﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[30].

كما فسَّر كثير من المفسرين أن النبوةَ قد تلقَّاها «آدم» عند هبوطه للأرض، أي إن المخالفة كانت قبل أن تُعْهَد إليه النبوة، لذلك يرى المسلمون أن الهبوطَ فضل واصطفاء لـ «آدم» ليعتلي قائمة أنبياء الله، وكذلك يرى مفسرون آخرون؛ أن «آدم» كان مُخلِصًا وَرِعًا، ولم يتخيل أن أحدًا من المخلوقات لدية الجَرأة أن يحلف بالله كذبًا؛ لذلك انساق لوعد إبليس عندما أقسم له أنه من الناصحين[31].

وبهذا الشكل اجتمع المسلمون كافةً حول نُبوةِ «آدمَ»، وأنه تلقَّى النبوة فورَ هبوطه للأرض؛ كمبعوثٍ إلى بَنِيه في دار الاستخلاف، وهنا يظهر سؤالٌ جديدٌ.

● هل «آدم» نبي أم رسول؟

ظهر في «حديث الشفاعة» الخاص بمحاولة الناس التشفُّع بالأنبياء يوم القيامة؛ الوراد في «الصحيحين» وغيرهما، أن النبي ﷺ؛ قال إن الناس سيحدثون النبي «نوح» عليه السلام قائلين:

« يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرسُلِ إلى أهلِ الأرضِ، وسَمَّاكَ اللهُ عبدًا شكورًا، إشفعْ لنا إلى ربِّكَ ... » إلخ [32].

أي إن الحديث ذكر نصًّا أن أولَ رسول للناس هو «نوح»، لا «آدم» – عليهما السلام – فما الفرق بين النبي والرسول في الإسلام؟

انقسَم أهلُ العِلم الإسلامي في تحديد الفرق بين النبي والرسول إلى رأيين:

- **الرأي الأول:**

يقول: إن النبي هو الذي يوحَى إليه بشَرعٍ، ولكن لا يؤمَر بتبليغِ الناس، أي إنه يوحَى إليه بفعل ما يؤمر به، كالصلاة، والصوم وغيرها، لكن لا يُؤمَر بالتبليغ، أما إذا أُمر بالتبليغ يُصبِحُ مُبلِّغًا ونذيرًا؛ فيكون نبيًّا رسولًا؛ كالنبي «محمد» ﷺ، و«موسى» و«عيسى» و«نوح» و«هود» و«صالح» وغيرهم، عليهم السلام.

- **الرأي الثاني:**

يقول: إن النبي هو المبعوث بشريعة تابعةٍ لغيره، أو تابعةٍ لنبي قبله، فيُقال له: نبيّ، أما إذا كان مستقلًّا؛ فإنه يكون نبيًّا رسولًا، فالذين بُعِثوا بعد «موسى» بشريعة التوراة يسمون أنبياء بني إسرائيل؛ لأنهم تابعون للتوراة.

لكن جادلهم أصحابُ الرأي الأول واستدلوا بأن الرسولَ هو الذي يُبعثُ، ويؤمَر بالتبليغ، حتى وإن كان تابعًا لنبي قبله، كما جرى مع «داود» و«سليمان» وغيرهم من الأنبياء بعد «موسى»، فإنهم دعَوا إلى ما دعا إليه «موسى»، ورغم ذلك هم أنبياء ورسل.

ورغم عدم الاجماع على الفرق بين النبي والرسول بالمعنى الحرفي المقصود؛ فقد اجتمع العلماء بعد بحث طويل على أن «آدمَ» كان نبيًّا فقط قبل «نوح»، إلّا أن «نوحًا» كان أول الأنبياء الرسل؛ حيث ذكر القرآن هذا الأمر على نحوٍ قاطع، خاصةً وأن «آدم» بُعث إلى بَنيه ولم يكونوا كفارًا، بل أمرهم بتعاليم الإيمان وطاعة الله،

بخلاف «نوح» الذي أَرسل إلى الكفار والمشركين في زمانه، حيث كانوا أول الأقوام التي عبَدتِ الأوثان على الإطلاق؛ لذلك كان عقابهم طوفان عُبَاب[33].

***

٤- نبوة آدم في الصابئة المندائية

اختلف المفسرون في حقيقة عقيدة الصابئة، أَهُم قوم خرجوا عن دين من الأديان الأولى؛ وليس لهم دين حاليًّا؟ أم إنهم قوم لهم دين وشريعة خاصة، ولم يعلنوا عن تفاصيلها الكاملة؟ والسبب في ذلك؛ الغموض الذي يُحيط شعائرهم، وبسبب هذا الغموض ظهر رأيين:

- **الرأي الأول**

يقول: هي ديانة مُختلَطة من الديانات القديمة كالفارسية والزرادشتية واليهودية والمسيحية والإسلام؛ وجذورها موجودة من قبل الحَنِيفية التي دعا إليها «إبراهيم» عليه السلام، وقال عنهم مجاهد:

«الصابئون قومٌ بين المجوس واليهود والنصارى، ليس لهم دينٌ»[34].

وقال أبو جعفر الرازي:

«بلغني أن الصابئين قوم يعبدون الملائكة، ويقرءون الزبورَ، ويصلُّون إلى القبلة»[35]، أي إن عقيدتهم مجرد مزيجٍ خاص بهم؛ ولم يكن دينًا محددًا من المُتعارف عليهم.

- **الرأي الثاني**

يقول: إنهم لهم عقيدتهم الخاصة، وهم أتباعٌ لكتاب سماوي، (يُرجح أنه حَنِيفية إبراهيم عليه السلام)، وبدَا أن هذا الرأي هو المُتبع حديثًا؛ خاصةً أن أتباع الصابئة صَرّحوا (على استحياء)؛ أنهم أقدم ديانة سماوية على وجه الأرض، وأن كتبَهم المقدسة هي صُحف سادة البشر الأولين: «آدم» و«شيث» و«دانوخ» و«نوح»؛ لذلك تُعد الصابئة حاليًّا عقيدة توحيدية، تشبه الإسلام في كونها ديانة توحيدية إبراهيمية قديمة تعتقد بالواحد الأحد، ولكنها تختلف عنه باعتبار «آدم» أول الأنبياء، و«يحيى» آخر الأنبياء، أي إنهم لا يؤمنون ب بنبوةِ «إبراهيم» و«موسى» و«عيسى» و«محمد»، عليهم الصلاة والسلام، لكنهم يعتقدون أن «إبراهيم» و«عيسى» كانا في الأصل من الكهنة المندائيين[36].

● أنبياء الصابئة

يعتقد معتنقوها أن «آدم» يُمثل رأس الذرة الحية، أي بداية الخلق ومنبع الحياة البشرية، وهو أول نبي من الله على الأرض ومؤسس عقيدتهم، وأنه أول من بشَّر بـ «ماندا» (مفهوم المعرفة الروحية لديهم) وطريق التنوير، وهو أول من دعا لـ «كوتشا» (الحقيقة الإلهية) [37].

لهم اثنتا عشرة كتابًا مقدسًا؛ مكتوبين بلغة سامية قريبة من السريانية، أهمهم وأولهم: «الكنزا ربّا» أي

الكتاب العظيم، ويعتقدون بأنه «صحف آدم» ﷺ، فيها موضوعات كثيرة عن نظام تكوين العالم وحساب الخليقة وأدعية وقصص، ويعتقدون أنه يجمع صحف أنبيائهم الأوائل: «آدم» و«شيث» و«دنانوخ»، ويتألف الكتاب من ١٨ فصلًا؛ في ٦٢ سورة؛ تقع في نحو ٦٠٠ صفحة، وتوجد في خزانة المُتحف العراقي نسخة كاملة منه.

وأنبيائهم هم: «آدم» و «شيتل بن آدم» (الذي هو شيث) و«أنوش بن شيتل»، و«دنانوخ» (الذي هو أخنوخ - أو إدريس بحسب المُعتقدين)، و«نوح»، وولده «سام»، و«يهيا يهانا» (الذي هو يوحنا المعمدان في الكتاب المقدس ويحيى بن زكريا في القرآن)، ويهيا بالنسبة إليهم خاتم الأنبياء وأهمهم، نسبةً لكتابهم المقدس الكبير: «الكنزا ربّا».

● آدم السري

من ناحيةٍ أخرى، تنفردُ الصابئةُ باعتقادٍ لم تعتقده الرسائلُ السماوية، وهو أن «آدم» أول أنبيائهم؛ خُلِق منه نُسختين، فهم يعتقدون أن لكل كِيان نسخة أخرى، وأن كوكبنا له نظير آخرَ، وأن آدمَ خُلِق من طينِ أرضِنا، ونزلت روحه من نور؛ من عالم النور بأمر الحي الأزلي، وأنه نموذج للطُّهر والنقاء، لكن في نفس الوقت؛ هناك «آدم كسيه» السري، حيث صرحت الخبيرة في الشئون المندائية؛ «الليدي دراوور» - وهي باحثة ومستشرقة إنجليزية عاشت في جنوب العراق - أن أحد الكُهان أخبرها أنه يوجد اثنان من كل شيء، الواقع ومُقابِلُه المِثالي، وأن لكل شخص شَبيه له في عالم موازٍ (دموثه)، ومع وفاته يُفارق إنسان الأرض جسمه الترابي، ويلتحق بالجسم الأثِيري لِشبيهِه(38).

وبسبب الغموض السابق ذِكْره؛ لا يوجد أي توضيحات كاملة عن طبيعة «آدم» وكذلك باقي أنبيائهم، والسبب في ذلك أن عقيدتَهم سِرية إلى حدٍّ بعيدٍ، فهم لا يشهرون طقوسهم؛ ولا يُحدِّثون الناس عن عبادتهم، خاصةً أن عقيدتهم ليست تبشيرية، ربما عقيدتهم تدعوهم لذلك؛ أو ربما خوفًا من اضطهاد السلطات ومتطرفي الأديان الأخرى، وهم تعوّدوا على الصبر وتسلَّحوا به؛ لمقاومة استفزاز المحيطين بهم، وبهذا الهدوء تمكَّنوا من الحفاظ على كِيانهم ومُعتقدِهم من التفكيك لعشرات القرون.

***

٥ - النبوة من بعد آدم

اتفقتِ الشرائعُ السماويةُ وبعضُ المعتقدات التي تؤمن بقصة الخلق؛ أن «آدم» لما مات وَرِث منه الابنُ «شيث» الحكمةَ والصلاح، و«شيث» هذا هو الابن الثالث بحسب الوارد إلينا مما هو متاحٌ، وليس شرطًا أن آدم لم يُنجِب ذكورًا دون الثلاثة، لكن الثلاثة الأشهر والمتفق عليهم هم:

«قابيل - هابيل - شيث».

ويتفقون على أن الابن الأولَ «قابيل» بعد قتله الابن الثاني «هابيل»، عمَد الأب «آدم» توريث ابنه الثالث

«شيث» العِلمَ والحِكْمة والصلاح، وبما أن الصابئة عدّوها كعقيدية توحيدية أقدم من اليهودية والمسيحية والإسلام - على حسب زعمهم - سنبدأ بها، وليس شرطًا علينا تصديق هذا الترتيب، لكن سنتناول مُعتقدهم من باب الحيادية والاطلاع على ما يزعمون ليس إلَّا.

### نبوة شيتل في الصابئة

كما ذكَرنا، تؤمنُ الصابئة بنبوة «شيث»؛ الذي هو في مُعتقدهم «شيتل»، وأنه من الموحدين الأوائل، ويُنظر إليه على أنه ثاني الأنبياء العِظام بعد «آدم»؛ بلَّغ رسالة النور والهداية للبشرية، ويرونه حاملًا للرسالة الإلهية، ونشر تعاليم التوحيد والعدالة بين الناس، لذلك يحظى بمكانة مرموقة وتكريم وتبجيلٍ، ويُعدّ «شيتل» مؤسسًا للنظام المندائي، حيث وضع أُسس العقيدة والطقوس الدينية والتعاليم الروحية، ويُنسب إليه تعليم البشَرِ الزراعةَ والحِرَفَ المختلفة، وتعزيز القيم الأخلاقية مثل الصدق والعدل والرحمة.

وفي كتابهم «الكنزا ربّا» تُثمن جهوده في الحفاظ على دينهم؛ وتوصيله من «آدم» لـ «دينانوخ» (الذي يعتقد أخنوخ أو إدريس)؛ وهو مثالهم في النقاء والبركة، وبهذا الشكل يتضح أن «شيتل» الذي هو «شيث»؛ نبيٌّ لدى الصابئة بالإجماع.

### نبوة شيث في التوراة

على الرغم من عدم وجود إشارات قاطعة في التوراة عن «شيث» كنَبيٍّ؛ فقد رأى معلّقوها أنه كان نبيًّا بالمعنى الروحي، بسبب أنه كان شخصًا بارًّا ومُتّصلًا بالله، وأنه تلقَّى التعاليم من الله مباشرةً؛ ومن ثَم نقلها إلى ذريته، خاصةً أن الرب قد ذكره بديلًا لـ «هابيل» المقتول[39].

وذُكر «شيث» في العهد القديم؛ كأبٍ لكل البشر الذين نَجَوا من الطوفان، أي إن كل من نجوا من الطوفان هم مِن ذريته، أما من هَلَكوا فَهُم من ذرية «قابيل» القاتل، ومن المُجمع عليه أن «هابيل» المقتول مات دون ذريةٍ، وأن «شيث» هو أبٌ لكل الصادقين والصالحين، وأنه وُلد في عام ١٣٠ من تقويم س.ع العبري[40]، وأن ذريته كانت ٥٦ ولدًا، وتوفي في عام ١٠٤٢ من تقويم س.ع، ونسبةً لما ذكَره كتابُ «اليوبيلات»[41] فإن «شيث» قد تزوج أخته التي كانت تصغره بأربع سنوات، التي كانت تُدعى «أزورا» في عام ٢٣١ س.ع، وأنجبت له الابن الصالح «أنوش» في عام ٢٣٥ س.ع، كما يُذكر «شيث» في العديد من أحاديث التلمود بوصفه نبي «روحي» عظيم وحكيم.

### نبوة شيث في المسيحية

كذلك في المسيحية، لا يوجد إجماع صريح حول نبوة «شيث»، ولا يُصنَّف «شيث» في المسيحية نبي رسميًّا، لكن نجده من أهم الآباء القِدِّيسين في الكنيسة الرسولية الأرمِنية، ويخلِّدون ذِكراه هو وأبوه «آدم» في يوم ٢٦ يوليو من كل عام، وكذلك نجد في المسيحية «شيث» يدخل ضمن قائمة آباء «يسوع» حسب

«إنجيل لوقا» [42]، وذُكر أن ولادته كانت في سنة ١٣٠ س.ع البيزنطي[43].

نبوة شيث في الإسلام

اختلف العلماء المسلمين في كون «شيث بن آدم» عليه السلام نبيًّا أم لَا، وهناك اختلافٌ آخرَ في كَوْن النبيِّ «إدريس» ينضم للترتيب النبوي بعد «شيث» مباشرةً وقبل «نوح» عليه السلام؛ أم أنه خارج هذا الترتيب، وبُعث بعد زمان «إبراهيم» بأزمان، وما زالت هذه الأمور محل خِلاف بين أهل العلم الإسلامي فقط، وهذا ليس خلافًا عقائديًّا على الإطلاق، فهم يَرِوْن أن لا فرقَ في ذلك، بل هو خلاف تأريخي، فلا ضررَ ولا ضِرار من وجود أحدهما قبل الآخرِ – من وجهة نظر المسلمين – وتتلخَّص وِجْهَتي النظر فيما يلي:

- **الرأي الأول**

-يعتمد أصحابُ هذا الرأي مِن المسلمين على أن «شيث بن آدم» كان نبيًّا، ومن بعدِه «أخنوخ» المذكور في التوراة، الذي يُعتقد أنه «إدريس» في النصِّ القرآني فيما سَيرِد ذكْره.

وهم يستندون على وصايةِ «آدم» عليه السلام عندَما حضَره الموتُ؛ بتكليف ابنه «شيث» بالإمارة على بَنِيه والقِيام بشئونهم، وقد رُوي في بعض الكُتب الإسلامية حديثٌ عن النبيِّ محمدٍ ﷺ، أنه أجابَ أبا ذَرٍّ عن سؤالِه:

«يا رسولَ الله، كم الأنبياءُ؟ قال: مائةُ ألفٍ وعِشرونَ ألفًا، قُلْتُ: يا رسولَ الله، كم الرُّسلُ مِن ذلك؟ قال: ثلاثُمائةٍ وثلاَثةَ عشَرَ جَمًّا غَفِيرًا، قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، مَن كانَ أوَّلهُمْ؟، قالَ: آدَمُ، قُلْتُ: يا رسولَ الله، أنَبِيٌّ مُرسَلٌ؟، قالَ: نَعم؛ خلَقَهُ اللهُ بيدِه ونفَخ فيه مِن رُوحِه وكلَّمه قُبْلًا، ثمَّ قال: يا أبَا ذرٍّ، أربعةٌ سُرَيانيُّونَ: آدمُ وشِيثُ وأخنوخُ وهو إدريسُ وهو أوَّلُ مَن خطَّ بالقَلمِ ونوحٌ، وأربعةٌ مِن العربِ: هودٌ وشُعيبٌ وصالِحٌ ونبيُّك محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم، قُلْتُ: يا رسولَ الله، كم كِتابًا أنزَله اللهُ؟ قال: مائةُ كتابٍ وأربعةُ كُتبٍ أُنزِل على «شِيثَ» خمسونَ صحيفةً...».

رواهُ ابنُ حِبَّان في صحيحه[44]، وأبو نُعيم في الحِلْية[45].

وهذا الحديثُ اتَّهمَه العُلماء والمُحققِّون بالعِلَّةِ والضَّعفِ، وهناك أراءٌ كثيرةٌ طعَنت في صِحَّتِه؛ مِنهم من قال: ضعيفٌ جدًّا، وغيرهم قال: متروكٌ[46].

والخلاصةُ؛ أنّ هذا الحديث ضعيفٌ لدَى غالبية أهلِ الحديث، وعلاوة على ذلك قالوا: لم يَثْبُت أنّ النبيَّ ﷺ أكَّد أن «إدريسَ» هو نفسه «أخنوخ» بشكلٍ قاطِعٍ؛ لذلك سيستخدمُ أصحابُ الرأي الثاني ضعفَ هذا الحديثِ للاستشهاد بصِحَّة رأيهم، كما سنعرضه لاحقًا.

لم يذكُرِ القرآنُ الكريمُ اسمَ «شيث بن آدم» في أي موضعٍ من المواضع، ولكن يتبين في الكثير من كُتب المفسِّرون الأوائل؛ أنه هو الابن الثالث والبارُّ لـ «آدم» و«حواء» كما ذكَرنا، ويرَى بعضُ المفسِّرين الذين تبنَّوا فِكرة «نبوة شيث»، أنه هو الذي تَلقَّى الصحفَ الأولى المذكورة في سورة «الأعلى» من القرآن[47].

على سبيل المثال، من أولئك المفسرين: «ابن جرير الطبري» الذي ذكَر أن «حواءَ» ولَدت «شيث» لَّما مضَى

من عُمْر «آدم» ﷺ؛ مائة وثلاثون سنة، وذلك بعد قَتْلِ «قابيلُ» لـ«هابيل» بخمسِ سنينَ، ومعنى ذلك أنه خلَفٌ لـ«هابيل» المَقتول أو عِوضًا عنه[48].

وذكَر الطبريُّ وغيرُه أنّ عندَ موت «آدم» دفَع كتابَ وصيتِه إلى «شيث»، وأمره أن يُخفِيه عن «قابيل» وولَدِه؛ لأنَّ «قابيل» كان قد قَتَل «هابيل» حسَدًا منه حين خصَّه «آدمُ» بالعِلْم، فاستخفى «شيث» وولده بما عندَهم من العِلم، ولم يكن عند «قابيل» وولده علم ينتفعون به[49]، وقيل: إن «شيث» دَفَن «آدمَ» ودَفَن معه النصوصَ المقدَّسة في قبره، وأن الله أتاه العِلْم والحِكمة لِدرجة أنه علِمَ بموعد «الطوفان العظيم»؛ الذي سيأتي في زمان حَفِيده من الدرجة السابعة: «نوح بن لامك».

ويعتقدُ مُعتنقو الشرائعِ السماوية الثلاثة على حدٍّ سواء أنَّ نسَب البشرية الحالية كلها يعودُ إلى «شيث بن آدم»، بعدَما لَقى نسلُ «قابيل» حَتْفَهم في «طوفان نوح»، كما يعتقِد بعضُ علماءِ المسلمين أنَّ «شيث» هو المُعلِّم الأوَّل للعَديد من الحِرفِ التقليدية التي توارثها الإنسانُ عبْرَ الزمان[50].

ويرى أصحابُ رأي نبوَّة «شيث» أنَّه كان «هبة الله» بعد وفاة «هابيل»؛ لأن ترجمة اسم «شيث» تحمل هذا المعنى، ويذكر المفسرون الأوائل في كُتبهم: أنه بعدما فرَّ القاتلُ «قابيلُ» من الجبال إلى السهول برُفْقة زوجته فَوْرَ قتله لأخيه «هابيل»؛ اصطفى الله تعالى «شيثَ» مِن ولَدِ «آدم» وأعطاه النبوةَ، وأصبح يُعين والده في أمور الدعوة والإرشاد والتوحيد، ومع ازدياد ذرية «آدم» وتكاثرها، تحمّل «شيث» الوصاية بعد وفاة أبيه «آدم» ﷺ، وأصبح يفصِلُ بين الناسِ في الحرام والحلال، وأصبح مُشرِّعًا لهم، وحرَّم زواج الأخ والأخت أشقاءَ البطن الواحدة، كذلك منَعَهم منَ الاختلاط بأبناء «قابيل» الملعون.

واستنادًا على الحدِيث الذي سبق ذكره - الذي اخْتُلِف بين صِحَّته وضعفه - قالوا: إن تحريمَ الاختلاط مع قومِ «قابيلَ»، وتصدِّيه لهؤلاء الذين أفسَدوا في الأرض بسُوء أخلاقهم؛ من الشرائع التي جاء بها «شيث بن آدم» في نبوَّته.

ورغم اشتهار شخصية «شيث» عندَ أهل العِلم وأهل السِّير والأخبارِ، لا يوجد أيّ دليلٍ قاطعٍ على نبوَّته في القرآن والسنة النبوية؛ لذلك اعتبره الكثير من أهل العلم الاسلامي نبيًّا من الأنبياء الذين يؤمنون بهم جُملةً لا تفصيلًا، كأنبياء بني إسرائيل مثلًا.

***

٦- ما وَرِثَ بنو شيث

استنادًا إلى ما ذكره الأَخْبَاريُّونَ والمُفسِّرونَ الأوائل:

نجَحت دعوة «شيث»، ولم تختلط ذرية أبناء «شيث» بذريةِ «قابيل» المنبوذ، وتمسَّكوا بمكانهم على الجبل المقدَّس (لم يتم الإجماع على موقِعه لكن بعضَهم قال: بابلَ)، ولم ينزلوا إلى السهول حيثُ يَقطُن «قابيل» المنبوذ وأبنائه.

لما آنَت وفاةُ «شيث» أتاهُ بنوهُ وبنُو بَنِيه ونساؤهم وأبناؤهم، فصلّى عليهم ودعَا لهم بالبركة، وحلّفهم بدَمِ «هابيلَ» ألَّا يهبِطَ أحدٌ منهم من هذا الجبل المقدَّس، ولا يتركوا أحدًا من أولادِهم يهبط منه، ولا يختلطوا بأولاد «قابيلَ» المَلعون، وأوصَى إلى «أنوش» ابنِه؛ وأمَرَه أن يحتفظ بجَسَد آدمَ، وأن يتَّقِي اللهَ ويأمر قومَه بتقوى الله وحُسن العِبادة، ثم توفِّي بعُمْر تسعمائة واثنتي عشرة سنةً[51][52]، وتسلَّم الوصاية الابنُ من الجيل الثالث من آدم: «أنوش».

وصاية أنوش

عُهِد الأمرُ إلى ابنِه «أنوش» (حسب المسمَّى التَّوْراتِي) كوصِيٍّ لا كنَبِيٍّ - على حدِّ قولِ هذا الرأي - وبحسَب التوراةِ هو أول أبناء «شيث»؛ نسبةً لِما ذكَره «سِفرُ أخبار الأيام الأُوَل»[53].

وفي المَسيحية يظهرُ أيضًا «أنوش» في نسَب «يسوع» - كما سبَق ووضَّحنا من «إنجيل لوقا» - وقد رتَّبه «ابنُ هشامٍ» كجَدٍّ من أجدادِ نبيِّ الإسلام «محمدٍ» صلَّى الله عليه وسلم[54]، ويَذكُر «سفرُ التكوين» أن «شيثَ» قد أنجَب «أنوش» وهو في سنٍّ مائة وخمسة أعوامٍ[55]، وفي النُّسخة (السبعينية[56]) ستجدُ عُمره مائتين وخمسة أعوام.

رغم عدَم ذِكر «أنوش» هو الآخر في القرآنِ؛ تمّ ذِكْره لدَى المفسرين الأوائل والأَخْبَارِيِّين المسلمينَ، ووصفوه بأنه كان صالحًا يأمُر ذريته بتقوَى الله والعمل الصالح، فسبّحوا الله وقدّسوه، وكان كافة أبنائهم ونسائهم ليس بينهم عداوة ولا تحاسُد ولا أيّة نزاعات ولا تباغض ولا تُهمة ولا كذِب ولا خِلاف، وكان أحدهم إذا أراد أن يحلف قال: لا ودَم «هابيلَ»[57].

تولى «أنوش بن شيث بن آدم» الوصايةَ على ذرية «شيث» - بحسَب التوراةِ والإنجيلِ والمفسِّرين المسلمين الأوائل والأَخْباريين المسلمين[58] - لكن لم يُشر أيٌّ منهم إلى نبوته في الشرائع السماوية على الإطلاق، وقام «أنوش بن شيث بن آدم» بحفظ وصية أبيه وجدِّه، وأحسَن عِبادة الله؛ وأمَر قومه بحُسن العِبادة، ولَّما حضَر «أنوشَ» الوفاةُ اجتمَع إليه بنوه وبنو بَنيه ونساؤهم وأبناؤهم، فصلَّى عليهم ودعَا لهم بالبركة، ونهاهم كذلك أن يهبِطوا مِن جَبَلهم المقدَّس؛ أو يتركوا أحدًا من بنِيهم يختلط بولَدِ «قابيلَ» المَنبوذ، وأوصَى ولَده «قينان» بجسَد «آدمَ»، وأمَرهم أن يُصلُّوا عنده ويقدِّسوا الله كثيرًا [59]، ومات «أنوش» وسلّم الوصاية لولَدِه: «قينان» من الجيل الرابع من «آدم».

وصاية قينان

تولى «قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» من بعده، ويَذكُر المفسِّرون والأَخْبَاريُّون أنه كان تقيًّا ومقدّسًا، ولم يُشر أيٌّ مِنهم ولا معلقو التوراةِ والإنجيل إلى نبوَّته كذلك، فلمَّا حضَرهُ الموتُ اجتمَع حوله بَنوه ونساؤهم وأبناؤهم؛ كعادة آبائِه، فصلَّى عليهم ودعا لهم بالبركة، وأملَاهم الوصاية الموروثة، وأقسم عليهم

بدَم «هابيل» كالمعتاد: ألّا يهبِطَ أحدٌ منهم من جبلهم المقدّس إلى السهول؛ حيث تقطنُ ذرية المَمْقوت «قابيل»، وجعل وصيته إلى «مهلائيل» ابنه، وأمَره أن يحتفِظ بجسد «آدمَ»، ومات «قينان»، واستلم الوصاية من بعده ابنه: «مهلائيل»، من الجيل الخامس من «آدم»[60].

وصاية مهلائيل

تولى «مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» من بعدِه، وقام في قومه بطاعة الله تعالى واتِّباع وصية أبيه، ويُقال: إن نسَّابو الفُرس يسمُّونه «أوشهنج»؛ وأنه هو أول من اسْتَنبط الحديدَ»[61]، وهو الذي يزعُم الأعاجمُ مِن الفُرس أنه الملك الذي ملَك الأقاليمَ السَّبعة، وأنه أول من قَطَع الأشجار وبَنَى المدائنَ والحصونَ الكِبارَ، وقالوا: إنه هو الذي بَنى مدينةَ «بابل» ومدينة «السُّوس الأقصَى»[62]، وأنّه قهَر إبليسَ وجنوده وشرَّدهم عن الأرض إلى أطرافها وشِعَاب جِبالها، وأنه قتَل خَلْقًا مِن مَرَدةِ الجِن والغيلان[63]، وكان له تاجٌ عظيم؛ ودامت دولته أربعين سنةً»[64].

وبحسَب المفسرين المسلمين ومُعلّقي التوراة والإنجيل: لَّما دنَا موت «مهلائيل» مرَّر إلى ابنِه «يرد» الوصاية الموروثة؛ بحفظِ جسَد «آدمَ»، ولّما مات استَلم الوصاية من بعده ابنه «يرد»؛ من الجيل السادس من «آدمَ»[65].

وصاية يرد

تولَّى «يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم»، وقال عنه الأَخْبَاريُّون المسلمون إنّه كان رجلًا مؤمنًا كاملَ العِبادة لله، كثيرَ الصلاة بالليل والنهار؛ فزاد الله في حياتِه، ورغم ذلك لم يُشِر أيّ كتابٍ سماويٍّ لنبوته؛ ولم يعدّوه نبيًّا.

وتوضِّح «التوراةُ» أنَّه كان على مِنهاج أبويه «مهلائيل» و«قينان»، لكن أحداث الشرّ بدَت في زمانه[66]، ومنذُ هذا العهد؛ بدأتِ الأحداثُ تأخذُ منعطفًا جديدًا، طغَى فيه جحود «بني آدمَ» وطبعهم الدَّفين في نِسيان أوامر الله، وبدأ الجبَل المقدَّس تَحومه روائح الفِتنة الوافِدة من السهول، فمع اكتثار الذرية أصبح من الصعب السيطرة على جميع الأهواء البشرية...

فماذا حدَث؟

فتنة في الجبل المقدس

بحسب المفسرين المسلمين الأوائل: لّما مضَى من حياة «يرد» خمسمائة سنة؛ نقَض «بنو شيث» العهودَ والمواثيقَ التي كانت فيهم، والسبب أن بعدَ وفاة «شيث» بفترةٍ، تسلَّل الشيطانُ بين أبناء القاتل «قابيل»، وتشخَّص في شكل غُلام جميلٍ، عمِل في خدمة رجل من سكانِ سهل «أبناء قابيل»؛ فآجر نفسه منه[67]، وابتَدَع هذا الفتى صوتَ المِزمار بعدما نفخ في شيء مثل الوعاء، فخرج بصوتٍ لم يُسمَع من قبلُ، فانتبه

الجميع لِفِكرته.

وخلال هذه السنوات الماضية زادت فِتنة إبليس في مُعسكرهم، وبدأ يُزين لهم أعمالهم، وحبَّب إليهم أمورًا جديدة في اللباس والزِّينة والممارسات الغريبة، وعلّم وَلَدَين من أبناء «قابيل» صُنوف الغِناء والمزامير، فصنعَ الابنُ الأولُ - وكان يُدعى «يوبال» - المزاميرَ والطنابير والبرابط، وصنع الثاني - وكان يُدعَى «توبال» (توبلقين) - الطبولَ والدُّفوف والصُّنوج، ولم يكن لـ «بني قابيل» عمل صالحٌ يشغلهم؛ فتملَّكهم الشيطانُ، وكانوا يركبون المحارِمَ والمآثمَ، ويجتمعون على الفِسْقِ؛ صغيرهم وعجوزهم، وكانوا دائمًا يجتمعون فيزمِّرون ويضرِبون بالطبول والدُّفوف والبرابط والصُّنوج؛ ويصيحون ويضحكون[68]، وابتدعوا عيدًا لأوَّل مرة يجتمعون فيه كلّ سنة؛ فتتبرَّج النساءُ للرجالِ، ويفسِّرُ بعضُ علماء المسلمين أن هذا التبرُّج هو «تبرج الجاهلية الأولَى»[69] المذكور في القرآن الكريم[70].

سمِع أهلُ الجبل المقدَّس من «بني شيث» أصوات عزوف «بني قابيل» وهَأهَأة الضَّحكات الخَليعة لنسائهم، وهبَّتِ الفِتنة حول جبلهم المقدّس ترفرف في أجوائهم، واستهوى الأمرُ بعضًا من ضِعافِ النفوس من «ولد شيث»، كان عددُهم مائة رجل، فقرَّروا الهبوط إلى «بني قابيل» لينظروا ما تلك الأصوات؛ فذهبوا ولم يرجعوا، حتى قال مائةٌ آخرون:

-لو نظرنا ما فعل إخوتنا (في محاولة منهم لإبداء الرغبة في النزول بحُجة الاطمئنان على مَن نزلوا).

فلمَّا بلَغ ذلك كبيرهم «يرد» أتى الذرية جميعًا، وخطَب فيهم وناشدهم بالله، وذكَّرهم بوصية آبائهم، وحلَف عليهم بدَمِ «هابيلَ»، وخطَب فيهم ولده «أخنوخ بن يرد» (الذي يُعتقد أنه إدريس عند بعض هؤلاء المفسِّرين) صائحًا:

-اعلموا أنه من عصَى منكم أبانا «يرد»، ونقض عهود آبائنا وهَبِط من جبلنا، لم ندعه يصعد مرةً أخرى مهما حدَث.

فأبوا إلّا أن يَهبِطوا وأصرّوا، فلما هبَطوا إلى السهول اختلطوا ببناتِ «قابيل» فاحتجزتهم النساءُ وأغوتهم بعدما فُتِنوا بجمالِهن، فركِبُوا الفواحشَ وظهَر الزِّنا في تاريخ «بني آدم»، وابتعدت طائفة كبيرة من ذرية «شيث» عن وصايا أجدادهم، فتناكَحُوا واختلطوا، وكَثُر «بنو قابيل» حتى ملَئوا الأَرض المُتعارف عليها وقتها[71].

وبحسب المؤرخين والأَخْبَارِيِّين والمُفسرين الأوائل: لما حانت لحظة موت «يرد» التفَّ حوله أبناؤه؛ فصلَّى عليهم ودعا لهم بالبركة، وحمّلهم الوصاية الموروثة، ونهاهم ألا يَهبِطوا من الجبل المقدَّس مثل الهابِطين المُخالفين، لكنه في نُهْيَةِ وصيته قال بصوتٍ يائسٍ:

-إنكم لا محالةَ ستهبِطون إلى الأرض السُّفلى، فأيُّكم كان آخرَ هُبوطًا فلْيَهبِط بجسَدِ أبينا «آدم»، ثم ليجعله وسْط الأرضِ كما أوصانا.

وأمَر «أخنوخ»؛ من الجيلِ السابع من «آدم» بالوصاية[72].

تولَّى «أخنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم» الوصاية في ظروف صعبةٍ؛ بعدما انتشرت المعاصِي في عهده، واكتَسَر الاختلاطُ بين «بني شيث» و«بني قابيل»، وانتشرت ذريتهم الممزوجة، وملأت وافتتحت مواضع عدة من الأرض خارج الجبل المقدس ووادي «بني قابيل» لأوَّل مرةٍ؛ حتى عُمِرت أماكن جديدة بشكلٍ محدود، وكما ذكرنا؛ يَعتقِدُ العديدُ من عُلماء المسلمين أنَّ «أخنوخ» هو نبيُّ الله «إدريس».

وتلخيصًا لهذا الاعتقاد، قالَ ابنُ كثيرٍ:

«فلمَّا مات (يقصد مهلائيل)، قام بالأمْرِ بعده ولَده «يرد»؛ فلمَّا حضَرته الوفاةُ أوصَى إلى ولَدِه «خنوخ» (الذي هو أخنوخ في تعدُّد الترجمات)، وهو «إدريس» ﷺ على المشهور». على حدِّ قوْلِ «ابنِ كثيرٍ»[73].

وأقرَّ غالبيةُ المفسرينَ الأوائل بنبوتِه ونبوة «شيث»، وأن «إدريسَ» جاءَ قبل «نوح»، وقال ابنُ كثيرٍ على لسانِهم:

«وكان أولَ بني آدمَ أُعطِي النبوةَ بعد «آدم» و«شيث» ﷺ»(يقصِد إدريسَ).

وعلى حدِّ زَعْمِ هذا الرأي، فـ«خنوخ» هو «أخنوخ» هو «أنوخ»، هو «أنس الله»[74]هو «إدريس» ﷺ.

وقال عنه الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ:

«هو إدريسُ بنُ اليارد بن مهلائيل بن قينان بن الطاهر بن هِبة الله»، (اسم الطاهر واسم هبة الله هي ترجمات عربية أخرى لـ: أنوش وشيث)، أي إن «أخنوخ» هو اسمه الحقيقي، وأن «إدريسَ» مجرّد لقب، حيث أردف الزبيرُ:

«وإنما قيل لهُ إدريس؛ لأنه أولُ مَن درسَ الوحي المكتوب»[75].

وبعدما أتم «أخنوخ» عُمْر ستين سنة؛ وُلِد له «متوشلح»[76]، وقد ذكَر «الطبري» استنادًا على ما ورد من أهل الكتاب:

أنَّ «إدريسَ» عاصَر سنوات طويلة من حياة «آدم» ﷺ، حيث وُلد وقد مضَى من عُمر «آدم» ستمائة سنةٍ واثنتان وعشرون سنة، وتوفِّي آدمُ ﷺ بعد أن مضى من عمر «أخنوخ» ثلاثمائة سنة وثماني سنين[77].

وبما أن هذا الرأي يؤكد أن «أخنوخ» هو نفسه النبي «إدريس»، فَلِزامًا علينا شَرح ما ورَدَ عن نبيِّ الله «إدريس» ﷺ في الإسلام؛ ومقارنته بشخصية «خنوخ» (أخنوخ بالعربية) في اليهودية والمسيحية وما اشْتُق منهما، وكذلك الطوائف الباطنية؛ إلى آخر المُعتقدات.

سيتم سرد الأحداث أولًا؛ استمرارًا لشرح الرأي الأول لدى علماء المسلمين - الذي لم ننتَهِ منه حتى الآن - والرابط بقوة بين «أخنوخ» و«إدريس»؛ حتى نصل تلقائيًّا لشرح الرأي الثاني الذي يُعارض أنه «أخنوخ»، أي إن الفصل القادم كاملًا؛ مُخصَّص لذِكْر «إدريس» في الإسلام فقط، وبعدها سنذكُرُ «أخنوخ» في فصلٍ مستقلٍّ به.

❊ ❊ ❊

# الفصل الثاني

## إدريس

ذُكر «إدريس» عليه السلام في القرآن الكريم في موضعين فقط لا ثالِثَ لهما؛ ركَّزَا على نبوته وزبد صفاته ومكانته؛ أكثر من قصته.

إدريس في القرآن

- **الموضع الأول**: في سورة «مريم».

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ٥٦ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيّٗا﴾[78].

وهو ثناءٌ عظيم يصف جمعه الصِّديقية مع النبوة.

- **الموضع الثاني**: في سورة «الأنبياء».

﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٨٥ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[79].

وبحسب التفسير الإسلامي؛ هذا ثناءٌ آخر عظيم؛ حيث عده الله مع الصابرين الذين أدخلهم في رحمته؛ التي يُقصد بها النبوة أو نعمته في الآخرة؛ لأنهم كانوا صالحين بعيدين عن الفساد الذي قد يكدّر الصلاح بأيّ حالٍ[80]، وفي هذه الآية ذُكِر «إدريس» بعد آيتان تتحدَّثان عن صبر النبي «أيوب» واستجابة الله لشكواه، ثم تلَا ذلك «إسماعيل» في الآية المذكورة، ثم «إدريس»، الذي ورَد قبل «ذي الكفل» - عليهم جميعًا السلام - تقديرًا لصبرهم على الشدائد والمِحن والعبادة، فـ «أيوب» قد صبر على المرض والابتلاء لثمانيَ عشرةَ سنةً؛ كما هو واضح من حديث النبي على لسانِ أنسِ بنِ مالكٍ[81]، وإسماعيلُ صبَرَ على الانْقيادِ للذَّبح كما ذكر القرآن الكريم[82]؛ وصبَرَ على المُقام ببلدٍ لا زرعَ فيه ولا ضرعَ ولا بناء، وصبَرَ في بناءِ البيت، وأمَّا «إدريس» عليه السلام فقد تقدَّمت قصته عن «ذي الكفل»؛ في ترتيبٍ ثالثٍ بعد صَبْر «أيوب» و«إسماعيل»، لذلك يتضِحُ أن «إدريس» تحمل الكثير في سبيل الدعوة إلى الله[83].

● الصِّديقيَّة والصبر والصلاح

بالموضعين؛ يتضح أن «إدريس» كان عبدًا صِدِّيقًا صابرًا، صِدِّيقًا فيما يقومُ به من الأفعال والأقوال؛ وصابرًا على بلاء قومه، مؤمنًا بآياتِ الله تعالى وما ورده على لسان الملائكة، ولفظ «صِديقًا» - في اللغة العربية - لفظٌ يحتاجُ التدبُّر والتأمل؛ فثمة فروق واضحة بين الصادق - والصِّديق؛ فـ«الصادق» هو صاحب أول مرتبة في الصدق، واسم الفاعل هذا يتسم به صاحبه إذا قال الحق وفعله، فيصبح صادقًا قولًا وفعلًا، حتى يترقَّى إلى مرتبة الصِّدِّيق، وهذه الخطوة قد بينها الحديث الشريف للرسول ﷺ على لسانِ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ:

« إنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يَهدِي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجلَ ليَصْدُقُ ويَتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتَبَ

عندَ اللهَّ صدِّيقًا... [84]».

وهيَ المرتبة الأعظم، فلقب (صِدِّيق) أبلَغ من الصَّادق والصَّدوق، وفي ذلك قال ابن القيم:

«الصِّدِّيقُ هو الذي صَدَق في قوله وفِعْله؛ وصدَّقَ الحق بقولِه وعمَله، فقد انجذَبت قواه كلها للانقياد لله ولرسوله، عكس المنافق الذي ظاهره خِلاف باطنه؛ وقوله خِلاف عمله»[85].

وما يُميز الصِّدِّيق عن الصَّادق أنه شخصٌ بالَغَ في تصديق الحقِّ؛ وأغلَق كل المنافذ والثغرات التي تمكِّن الشيطان من الدخول إلى عقله، وارتقَى بقلبه إلى فِندٍ روحاني، متغلبًا على انتكاسات التشكيك، ومُنشقًّا عن صفوف مُصابي تقلُّب القُلوب، ومن عظمة صِفة الصِّدِّيقين أن القرآن رتَّبهم بعد ترتيب النبيين مباشرةً، سابقين مَرْتَبَتَي الشهداء والصالحين؛ وحَسُن أولئك رفيقًا[86]، و«إدريس» - النبي في الإسلام - ميَّزه اللهُ بثلاث مراتبَ في آنٍ واحد؛ النبوة والصِّدِّيقية والصلاح، فصِدِّيقيته ارتقَت به إلى المكان العَليّ؛ أما صبره وصلاحه فكانا سببين لإدخاله في رحمة الله، لذلك يتضح أن مكانته في الاسلام عظيمة، برغم قلة مواضع ذكره في القرآن - في آيتين فقط - لكن الكلمات الحازمة والشاملة تحسِمُ وتؤكد نبوَّته؛ وسُموِّ مكانته؛ ورِفْعةِ شأنِه.

إدريس نبي أم نبي ورسول؟

ذكرنا من قبل الفرق بين النبي والرسول لدى علماء الإسلام، ومثله مثل «شيث» - ﷺ - لا يوجد تأكيدٌ بأنه نبي ورسول لدى غالبية علماء الإسلام، لكن استقر غالبيتهم على نبوته فقط؛ وأنه لم يأتِ هو كذلك بدينٍ جديد؛ فقد بُعث لبني جلدته الذين هم «بنو شيث»، محذرًا من المعاصي والاختلاط بـ «بني قابيل»؛ وأن قومه كانوا عُصاةً بعدوا عن تحذيرات السماء؛ لكنهم لم يكونوا مشركين كـ«قوم نوح»، وقد ورد في الحديث الطويل على لسان أبي ذرٍّ الغِفاري والسابق ذِكره في فقرة «شيث»، عندما سأل النبي عن عدد الأنبياء، في جزء منه:

«... قُلْتُ: يا رسولَ الله، كم كتابًا أنزَله اللهُ؟ قال: مائةُ كتابٍ وأربعةُ كُتبٍ أُنزِل على شِيثَ خمسونَ صحيفةً وأُنزِل على أخنوخَ ثلاثونَ صحيفةً وأُنزِل على إبراهيمَ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل على موسى قبْلَ التَّوراةِ عَشْرُ صحائفَ وأُنزِل التَّوراةُ والإنجيلُ والزَّبورُ والقرآنُ ....»

ورغم ضعف هذا الحديث[87]؛ هناك مَن استندوا عليه أو على أجزاء منه، وقالوا: إن «إدريس» أُنزِل عليه ثلاثون صحيفة؛ في تفسيرهم لقول الله عز وجل:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾[88].

وقالوا: إن الصُّحف الأولى هي الصحف التي أُنزلت على «شيث ابن آدم»؛ وكذلك أضافوا عليها «إدريس»[89].

وإذا تم التسليم لوِجْهة نظرهم بأنه رسول مبعوث برسالة؛ فسنجد أن فِكرتهم تتنافى طرديًّا مع حديث

الشفاعة الصحيح لأبى هريرة والسابق طرحه؛ الذي ذكَر أن الرسول ﷺ قال: «إن الناس سيأتون «نوحًا» يوم القيامة..». ووضَّح فيه النبي ﷺ أن «نوحًا» أولُ الرسل إلى أهل الأرض، حيث ذكر أنهم سيقولون:

«... يا نوح، إنك أنت أوَّل الرسلِ إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألَا ترى إلى ما نحن فيه...» (90).

لذلك؛ ظهرت طائفة جديدة متمردة على التأريخ الإسلامي المتوارث، وطرحت رأيًا مُغايرًا عن رأي المفسرين الأوائل، وتركزت نقاط هذا الخِلاف المشروع؛ فيما يلي:

١ – هل «إدريس» نبي أم مجرد رجل ورع وتقي؛ كآبائه وأجداده الصالحين؟

٢ – إذا كان نبيًّا؛ هل نبي فقط؟ أم نبي ورسول تلقَّى شريعةً وصُحفًا؟

٣ – إذا ثَبُت أنه رسول وتلقَّى شريعة وصحفًا؛ كيف عُد «نوح» أول الرسلِ في الحديث الشريف، ربما يكون «إدريس» بعد «نوح» وأن المؤرخين المسلمين أخطئوا بالترتيب مثلًا؟

٤ –هل «إدريس» نفسه هو «إلياس» الذي أتى بعد «نوح» فعلًا؛ كما يزعم البعض؟

هذه الأسئلة سنتاولها معًا في شرح الرأي الثاني المُغاير لما ورد.

- **الرأي الثاني**

أصحاب هذا الرأي يقولون بأنَّ النبوةَ لم تظهر أبدًا من بعد آدم؛ إلا لنبيِّ الله «نوح» أبي الأنبياء، وأن «شيث» و«أخنوخ» (الذي لم يكن إدريس من وجهة نظرهم) ومَنْ بينهما؛ كانوا أناسًا أتقياء صالحين فقط، ولم يكن منهم نبيّ أو رسول، وأن «أخنوخ» كان عبدًا صالحًا منهم؛ لكنه غير «إدريس»، ولم يعترضوا على الرِّواية التي اقتبَسها المفسِّرون المسلمون من أهل الكتاب؛ الخاصة بنسل «آدم» و«شيث»، التي ذكرناها، واتفق الفريقان على اكتمال القصة دون تأكيد أصحاب الرأي الثاني أن «أخنوخ» هو إدريس» كما يزعُم المفسرون الأوائل، وبما أنَّهما لم يعترضا عليها سنُكمِلها وصولًا لـ «نوح» عليه السلام، حتى نصلَ لمربط خلافهما معًا.

ورد في باقي القصة:

أن «أخنوخ» التَّقي (الذي لم يكنْ إدريس بحسَب هذا الرأي)؛ ألقَى بوصيتِه لِولَده «متوشلح» وحفيدِه «لامك»؛ حيث اجتمع بهم وقال لهم:

–«إني أعلم أن الله معذِّب هذه الأمة عذابًا عظيمًا ليس فيه رحمة».

فأوصَى ولَدَه أن يُخلِصوا عبادة الله، ويستعملوا الصِّدق واليقين – على الرغم من أنه هو أيضًا قد رُفِع كما يقول أهل الكتاب – بعدَ أن أتت له أكثر من ثلاثمائة سنة(91)(92)، فتسلَّم الوصاية بعده ابنه «متوشلح» جَدّ «نوح» – وبحسَب ما تم تدوينه بكُتب المسلمين؛ كان أولَ من رَكِب البحر، وسَلك طريق الطاعة لله سبحانه، وفي زمانه انتشر الشرك وظهر، وقيل: أوحَى الله إلى حفيده «نوح» وهو على قيد الحياة، وأعلَمه أنه باعثٌ الطوفانَ على الناس مستقبلًا.

ومن «متوشلح» تسلَّم الوصايةَ «لامك»؛ الذي كان قد وُلِد هو كذلك في حياة «آدم»، فتعلَّم منه الحِكمة

والصلاح، وقيل: كان لـ «متوشلح» ولَدٌ يُقال له: «صابئ»، وبه سُمي الصابئون[93].

الظهور الأول للشرك بالله

بحسب ما ورد؛ فِي زمان «لامك» كَثُرت الجبابرة وانتشرت الفاحشة واعتظم الشِّرك بالله؛ وذلك لأنه لما وقَع «بنو شيث» في بنات «قابيل» وُلِدت منهم الجبابرة[94]، حتى جاء زمان «نوح»؛ الذي رزقه الله بالنبوة بسبب فساد وشرور قومِه؛ وعبادتِهم للأصنام لأول مرة من دون الله، لذا كان هذا موقفًا عظيمًا استدعى أن يُرسِل اللهُ بسببه نبيًّا ونذيرًا لأول مرة[95].

ويذكر المفسرون أن «قومَ نوحٍ» هم أول من ابتدَع الشِّرك، وأول من عبَد صنمًا في تاريخ الأسلاف، كانوا يعبدون أصنامًا خمسة وهم: «ودّ» و«سِواع» و«يَغوث» و«يَعوق» و«نَسر»[96]، ابتُدعت هذه الأصنام لنفرٍ مِن «بني آدم» قد شاع صيتهم قبل هذا الزمان في الصلاح والتقوى، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا حزِن عليهم أتباعهم حزنًا عميقًا ووقفوا عندَ قبورهم باكين، وتمنوا أن يروهم مُصوَّرين؛ حتى يستذكروا صلاحهم فيقتدوا بهم في العبادة، فصوَّروهم على هيئة تماثيل، ثم بدءوا يتبرَّكون بهذه الأصنام؛ حتى عظموها مهلًا فمهلًا[97]، وبعد ما استبدل الله هذا النسل بنسلٍ آخرَ أقل علمًا؛ أكمَل الشيطان باقي خُطته، وأقنعهم بأنَّ من سبقوهم قد عبَدوا هذه الأصنامَ واستسقوا بها المطر[98]، فاستجابوا له وأصبحت عبادة هذه الأصنام هي العبادة السائدة في هذا الزمان؛ وبنوا لهم معابدَ وصروحًا[99]، وأول من عُبِد على الأرض من دون الله كان الصنم «ودّ»، وأول اسم سُميت به الأطفال في الشرك «عَبْد ودّ»، فأرسل الله فيهم نبيه «نوحًا».

وهنا مربط الخلاف بين الفريقين..

● نقطة الخلاف بين الرأيين

يقول أصحاب هذا الرأي المغاير: إن النبوةَ من بعد «آدم» بدأت لأول مرة في هذه اللحظة الفارقة فقط؛ اللحظة التي اصطفى فيها الله «نوحًا»، وأنه «أبو الأنبياء» وأولهم، وأن كلَّ ماسبق لا غُبار عليه، فلا يدّعي أحدهم تكذيبًا أو تصديقًا لهذه الروايات التي تم سردها، بل إنهم يقولون: إن هؤلاء أناسٌ ربما كانوا مباركين، استلموا الوصايةَ من آبائهم؛ بدايةً من أبي البشَرية «آدمَ» عليه السلام؛ ولكن لم يستلموا نبوةً، واستدلوا بأن كل صالحٍ منهم كُلِّف على بَنِيه وذريتهم؛ ليحثهم على الطاعة وتعاليم السماء، أما «نوح» فهو أول نبي قد بعَثه الله لقومٍ كافرين؛ ليسوا من نَسْله أو سُلالته النقية، حيث كانوا من نسل «قابيل» المنبوذ؛ ومن العُصاة الذين اختلطوا معهم من أولاد «شيث»؛ بعدما ملأ اختلاطهم الأرض المعروفة في زمانهم، فقد بُعِث «نوح» ليحاجّ قومه الذين كانوا أول من أشرك بالله على الإطلاق، حتى مُحِيَ قومُ «قابيل» والعُصاة المُختلطين معهم من وَلَد «شيث» جميعهم من على وجه البَسِيطة؛ بفعل طوفان الله العظيم، ثم تجدَّدت البشرية من وقتها في عهد

جديد؛ وأصبح «نوحٌ» الأبَ الثاني للبشريةِ؛ بعد أن أبقى الله ذريته فقط، وقد ذكر القرآن الكريم هذا بنصٍّ صريح[100].

وقال المفسرون: انتهى في هذا الحادثِ المِفْصلي نسل «قابيل» للأبد، وبقِي على الأرض من يومها نسل «نوح» لا دون ذلك؛ الذي هو في الأساس من نسل «شيث» غير المختلط، وفي ذلك قال «ابن كثير»:

«قال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابنِ عباسٍ: لم تبقَ إلا ذرية «نوح» ﷺ، وقال سعيدُ بنُ أبي عَروبَةَ عن قتادةَ قال: الناسُ كلُّهم من ذريةِ نوح»[101].

وكذلك قال الطبريُّ:

«الناسُ كلهم من بعد مَهلِك نوح إلى اليوم إنما هم ذرية نوح»[102].

والجديرُ بالذكر؛ أن نظريةَ عمومية «طوفان نوح» لها معارضون كذلك، وفكرة موت البشر الساكن على الأرض في هذا الزمان جميعهم لها منتقدون؛ معارضون لتفسيرات المفسرين الأوائل، ولا داع لذِكر هذا التفرع، لأنه ليس موضوعنا الأساسي، وقد ذكرته من قبل تفصيلًا في كتاب «الأرض بعد طوفان نوح».

أما بخصوص نبي الله «إدريس» ﷺ الذي أجْذَم القرآنُ بنبوته ومكانته العاليه بشكل واضحٍ وصريح لا يَدَع مجالًا للشك؛ فقال أصحاب هذا الرأي:

إنه نبي لا نقاشَ في ذلك، لكن منهم من قال إنه نبي جاء بعد «نوح»؛ من ذرية «إبراهيم» بالتحديد، ومنهم من قال: إنه هو نفسه نبي الله «إلياس»، وأرائهم هذه تعني أن لا علاقةَ له بشخصية «أخنوخ» في الحالتين.

هل إدريس هو نفسه إلياس؟

في هذا الخلاف قال الزمخشريُّ: إن ابنَ مسعودٍ قَرأَ: (وإنَّ إدريسَ)، بدلًا من: (وإن إلياسَ) بالآية الكريمة: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾، وكذلك قُرئ: (إدْرَاسَ)[103].

ونقل البخاري عن ابن مسعودٍ وابن عباسٍ: أن إلياسَ هو إدريسُ[104].

وقال ابنُ كثيرٍ:

«وقد زعم بعضهم (يقصد المفسِّرين المسلمين) أن «إدريسَ» لم يكن قبلَ نوح، بل في زمان بني إسرائيل»..

واستأنسوا في ذلك بما جاء في حديثِ الزُّهري عن أنسٍ في واقعة إسراء النبي محمد ﷺ أنه لما مرَّ بـإدريسَ ﷺ، قال إدريسُ للنبي محمدٍ:

«مَرْحَبًا بالنبيِّ الصَّالِحِ والأخِ الصَّالِحِ».

ولم يقل كما قال «آدم» و«إبراهيم» لـ «محمد» ﷺ عند ملاقاته:

« مَرْحَبًا بالنبيِّ الصَّالِحِ والِابْنِ الصَّالِحِ»

قالوا: فلو كان في عُمود نَسَبِه لقال له كما قالا له»[105][106].

لكن لم يعتبر ابن كثير هذا سندًا قويًّا، حيث أردف قائلًا:

«وهذا لا يدلُّ، ولا بُدّ؛ لأنه لم يكن الراوي حفظه جيدًا، أو لأنه قاله له على سبيل الهضم والتواضُع، ولم ينتصِب له في مقام الأبوة كما انتصب لآدمَ أبي البشرِ، وإبراهيم الذي هو خليل الرحمن، وأكبر أُولي العزم بعد محمدٍ صلوات الله عليهم أجمعين»[107].

وقال ابنُ كَثيرٍ بعد ذلك في قصة «إلياس»:

عن ابن مسعود أنه قال: إلياس هو إدريس، وإليه ذهب الضحَّاك بنُ مُزاحمٍ وحكاه قتادةُ ومحمدُ بن إسحاقَ، والصحيحُ أنه غيره كما تقدم، والله أعلم»[108].

وكرر ابنُ كثيرٍ الحديثَ في هذا الشأن مرةً أخرى لنفي فِكرة أنه هو «إلياس»؛ ولكن هذه المرة في تفسيره؛ وقال:

«عن قتادة، وابنِ إسحاقَ، وابن أبي حاتم، نقلًا عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ أنه قال: إلياس هو إدريس عليه السلام، وكذا قال الضّحّاك».

وأردف:

«وقال وهبُ بنُ مُنبِّه: هو إلياسُ بنُ ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عِمران، بعثه الله في بني إسرائيل بعد حزقيل[109] عليهم السلام، وكانوا قد عبَدوا صنمًا يُقال له: بعل ...».

وفي نهاية التفسير قال ابنُ كثيرٍ:

«هذا ماحكاه وهبُ عن أهل الكتاب، والله أعلم بصحته»[110].

وفي النهاية علَّق على هذه المحاولات التي تقول إنهما واحد قائلًا:

«والصحيح أنه غيره كما تقدَّم. انتهى».

ونرَى أنَّ ابنَ كثير؛ وغيره الكثير من المفسرين والمؤرخين أقرّوا أنهما اثنان، ورغم ذلك لم يقتنع أصحابُ هذا الرأي بهذه التعليقات، وهذا الجِدال ورد في كُتبٍ إسلامية كثيرة تعمَّقت في وجهتي النظر؛ وقد شرحها ابن حَجَر كذلك في «فتح الباري»[111]، ولم يُحسَم الجدالُ إلى الآن، لكن بدا وكأنَّ الغالبية تميلُ إلى أنهما نبيان لا نبيٌّ واحدٌ.

هذا بالنسبة للشِّق الأول من الرأي الثاني؛ أما الشِّق الثاني فشرحه كما يلي..

هل إدريس قبل أم بعد نوح؟

بعيدًا عن أنَّ النبي «إدريس» هو نفسه النبي «إلياس» أم لا؛ تكمُن إشكاليةٌ أخرى في عدم اقتناع العديد من علماء المسلمين بأنّ «إدريس» كان قبل «نوح» - رغم اقتناع بعضهم بأن «إدريس» و«إلياس» اثنان وليسا شخصًا واحدًا - وكذلك لم يقتنعوا بأن «شيث» كان نبيًّا، بل يرون أنه رجلٌ صالحٌ وَرِث العِبادة والتقوى

عن أبيه «آدمَ» عليه السلام، أي إنهم يُكَونون رأيًا آخرَ ملخَّصه:

أن «شيث» ليس نبيًّا فلا أنبياء قبل «نوح»، أما «إدريس» فنبيٌّ بجذمِ القرآن، وليس شرطًا أن يكون هو «إلياس»، لكنه جاء بعد «نوح»، عليهم جميعًا السلام، وقالوا: إن المؤرخين وقَعوا في خطأ كبيرٍ بقولهم: إن «إدريس» جاء قبلَ «نوحٍ».

واستدلوا في وِجْهة نظرهم هذه بقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿انَ النَّاسُ أُمَّةً ﴾[112]

وقالوا: إن أولَ نبيٍّ بُعِث هو «نوح» عليه السلام، ليس بسبب حديث المِعراج السابق ذِكْره فقط؛ بل هناك شواهد عديدة من القرآن الكريم على ذلك؛ كقوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ ﴾[113].

حيث تنصُّ الآيةُ صراحةً بأن النبيين جاءوا من بعد «نوح» بوصفٍ وضّاحٍ من وجهة نظرهم، واستدلوا بما ورد في الحديث الصحيح للرسول ﷺ؛ في قصة الشفاعةِ السابق ذِكْره:

«... فيأتونَ نوحًا فيقولونَ: يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرسُلِ إلى أهلِ الأرضِ»[114].

أي إن «نوحًا» أول المرسلين.

كذلك استدلوا بتفسير قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ﴾[115].

أنه لا شكَّ في أن «إدريس» كان نبيًّا بإجذام النص القرآني في سورة «مريم»[116]؛ ولكن في الآية تأكيد بأن النبوةَ والكتاب من ذرية «نوح» و«إبراهيم»، أي أن «إدريس» من ذريتهما، واستندوا كذلك بأن الله عندما ذكر اسم «إدريس» في كتابه العزيز:

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾[117].

عقَّب بعد ذلك بقوله تعالى:

﴿< أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ ﴾[118].

وقالوا: إن هذا أكبر برهان على أن «إدريس» جاء بعد «نوح» و«إبراهيم»، وأن هذا واضحًا في لفظ «أولئك» المحدَّد، وكذلك في آياتٍ أخرى عديدة نرى ذكر «نوح» قبل كل الرسل دائمًا، أما «إدريس» فلم يُذكَر بالقَبْلية.

وفي محاولة لتعزيز وجهة نظرهم؛ استدلوا بما رُوي عن أبي أُمامة البَاهِلي في الحديث الصحيح، أنّ رجلًا قال لرسول الله ﷺ:

«يا رسول الله، أَنَبيٌّ كان آدم؟ قال: نعم، مكلَّم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة

قرون»[119]..»

وهو حديثٌ صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ، بعكس حديث (عدد الأنبياء والصحف) الضعيف؛ والمذكور آنِفًا.

كذلك رُوي عن ابن عباس أنه قال:

«كان بين آدم ونوح عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فلما اختلفوا؛ بعث اللهُ النبيين والمرسلين وأنزل كتابه؛ فكانوا أمة واحدة»[120].

وقد وضَّحت من قبل في كتابي الأسبق؛ أن العشرة قرون ليس شرطًا أن يكونوا ألف سنةٍ فقط؛ لكن ربما العشرة قرون مطروحة من قرون أخرى طويلة لم يُقم فيها شريعة من الحق، كذلك أوردت شرحًا مفصّلًا لكلمة قرون؛ وأنها لا تعني جذمًا مائة سنة؛ بل ربما كان القرن في زمانهم مئات السنين؛ حيث بلغت أعمارهم المديدة ما يقارب ألف سنة أحيانًا؛ فربما كان رأس هرم جيلهم ألف سنة بدلًا من مئة، بعكس مُدد أعمارنا المتعارف عليها؛ والتي اعتُبر على أساسها أن القرن مئة سنة، لذا؛ لا مانع من الاعتقاد بأن العشرة قرون المذكورة ليس شرطًا أن تكون ألف عام فقط؛ بل ربما آلاف السنين الممتدة، والله أعلم.

وبعيدًا عن مدةِ القرون وهذا التفرع؛ يتضح من الحديث الشريف وكذلك من أثَرِ «ابن عباس»؛ أن ما بين «آدم» و«نوح» عشرة قرون كلهم على التوحيدِ والحق، ولم يُذكَر «إدريسُ» بينَهما، فلو كان بينهما نبيٌّ أو رسالة لَذُكِر - هذا ما قصدوه في استدلالهم بحديث النبي وأثر «ابن عباس» - والمعلوم أن «أخنوخ» عاش في تلك الفترة، إذًا «إدريس» أتَى بعد «نوح»؛ على حدِّ وصفهم.

لكن ما يزيد الدهشة؛ أن أثَر «ابن عباس» هذا يتعارض مع قوله هو نفسه لأثر آخر في هذا الصدد، حيث قال: إن «إدريس» قبل «نوح» وبينهما ألف سنة، فقد ذكَر النَّيسابوريُّ في كتاب «المُستدرك على الصحيحين»؛ أن ابنَ عباسٍ تلا هذه الآيةَ:

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ﴾[121]

ثم قال:

«كانت فيما بينَ نوحٍ وإدريسَ ألف سنة، وإنّ بَطْنين من وَلَد آدم؛ كان أحدهما يسكُن السهل والآخر يسكُن الجبل، وكان رجال الجبل صِباحًا وفي النساء دَمامة، وكانت نساء السهل صِباحًا وفي الرجال دَمامة، وإن إبليس أتى رجلًا من أهل السهل في صورة غلام الرعاة، فجاء فيه بصوت لم يسمعِ الناسُ مثله، فاتخذوا عيدًا يجتمعون إليه في السنة، وإن رجلًا من أهل الجبل هجَم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساءَ وصَباحَتهنَّ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحوّلوا إليهن؛ ونزلوا معهن؛ فظهرت الفاحشةُ فيهن، فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ﴾»[122].

وبرغم تَضارُب هذا الأثر مع الأثر السابق؛ ترك أصحابُ هذا الرأي الأثرَ الثانِي هذا، الذي ذُكِر فيه اسم «إدريس» صراحةً؛ وأخَذوا الأثرَ الأول؛ الذي لم يذكر اسمه، لسببين من وجهة نظرهما:

**السبب الأول**: أن أثر ابنَ عباس بأن بين «آدم» و«نوح» عشرة قرون يتماشى مع الحديث الصحيح لرسول ﷺ الذي أكَّد نفس المُدة والأسماء، حيث صححه «الألباني» في السلسلة الصحيحة الجزء السادس.

**والسبب الثاني**: أن أثَر ابنَ عباس - الذي ذكر اسم إدريس - من وجهة نظرهم مأخوذٌ في الأصل من أخبار بني إسرائيل، وهو من الإسرائيليات التي تلقَّاها ابنُ عباسٍ من كعبِ الأحْبارِ بالتحديد، واستدلوا بأن ابن عباسٍ سألَ كعب الأحبارِ عن «إدريسَ»، بعكسِ الأثَر الأول الذي يتماشى مع حديث الرسول ﷺ، أي أن الأثر المتروك مصدره كعب الأحبار عن أهل الكتاب، والأثر المأخوذ مصدره رسول الله.

وخلاصةُ قولِهم يتمثَّل في عدةِ نقاطٍ واضحةٍ:

● ملخص نقاط الخلاف

1

- لا يوجد حديثٌ صحيحٌ للرسول ﷺ يجزمُ بأن «إدريسَ» هو «أخنوخ».

2

- يرونَ أن حديثَ الرسول ﷺ؛ وكذلك أثرَ ابن عباسٍ قد أشارا إلى أن العشرة قرون التي بين «آدم» و«نوح» لم يكن بينهما نبي؛ على الرغم من أن «أخنوخ» المذكور عاش في الفترة التي بينهما، بحسب التوراة والإنجيل وأهل السير والأخبار.

3

- حديث الإسراء والمعراج ذكَر أن «إدريس» نادى الرسول ﷺ: بالأخِ الكريم وليس الابنِ الكريم، فلو كان «إدريسُ» جَدًّا لـ «نوح»؛ لكان بالتَّبعية جَدًّا للنبي ﷺ، فـمحمدٌ من إسماعيلَ، وإسماعيلُ من إبراهيمَ، وإبراهيمُ من نوحٍ.

4

- يرون من وِجْهة نظرهم أن الآيات في القرآن الكريم وخاصةً في سورة «مريم»، تُشير إلى أن الأنبياء المذكورين في السِّياق القرآني؛ هم من ذرية «آدمَ» و«نوح» عليهم السلام.

هذه وِجْهة نظرهم كاملةً، ورغم ذلك؛ يبدو فيما اطلعتُ وبحثتُ أنَّ الرأي السائدَ بقوةٍ: (أنه هو أخنوخ)، وسنُعلِّق على الأخبار التي أُخذِت من أهل الكتاب كيفَ وبمَن؛ في خاتمةِ هذا الكتاب.

وبالرجوع لقصة نبي الله «إدريسَ» عليه السلام؛ سنجدها مُحاطة بالكثير من التكهُّنات والاجتهادات؛ لذلك فُتح البابُ للبحث والتفتيش، بسبب عدم ورود قصته بشكلٍ مفصَّلٍ، ومن بين الاجتهادات رُويت أخبارٌ عن وصفِه وعلومه ورسالتِه ورفعِه للسماء، سنذكرها جميعها - مع توضيح الثابت منها والضعيف - وذِكْرنا للضعيفِ ليس ترويجًا لهذه الأخبار غير المُثبتة؛ لكنها معطيات سنُبرهن بها لاحقًا كيف تشابكت قصته مع قصص الأساطير المروية عنه، وربط هذه الأساطير مع سنقرؤه بالفصول التالية، ومن ثم سنُحقِّق فيه عن حياته.

وقد نقل لنا المؤرخون المسلمون بعضًا، فاستلهموا رواياتهم من أحاديث النبي محمد ﷺ، والبعض من أخبار أهل الكتابِ باعترافٍ منهم؛ ولنبدأ أولًا بوصفه الخارجي.

***

٢ - وصوف إدريس

لا يوجد أي نصوص قاطعة في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية توضح شكل هذا النبي العظيم؛ ولا ملامحه أو تكوينه الجسديِّ، لكن هناك أثرًا عن سَمُرةَ بنِ جُندب[123]؛ يقول:

«كان نبي الله إدريس رجلًا أبيضَ طويلًا، ضخمَ البطن، عريضَ الصدر، قليل شعر الجسد، كبير شعر الرأس، وكانت إحدى عينَيه أعظم من الأخرى، وكان في صدره ثلاثة بياض من غير برص» [124].

وهذا الأثرُ ضعيفٌ جدًّا؛ وقيل: موضوعٌ، وإسناده مُظلِمٌ لا تقومُ به حُجَّة[125].

بينما هناكَ وصفٌ آخرَ وضَعه بعضُ مشايخ العصر الحديث، لم يُذكر له سندٌ كذلك، على سبيل المثال: هناك وصفًا ذكره الشيخ المتصوِّف وصاحب الطريقة الفَيضيَّة الشاذلية: «السيد أبو الفضل المنوفي» (١٨٩٢م غ م – ١٩٧٢م)؛ وهو من أوائل المنادين بالإصلاح الديني والاجتماعي؛ بعد الأفغاني ومحمد عبده، قال فيه:

«وكان «إدريس» هذا نبيًّا رسولًا، تامَّ القامة، حسنَ الوجه، كث اللحية، حلو الشمائل والتخاطيط، عريضَ المَنكِبين، ضخم العظام، قليل اللحم، برّاق العينين أكحلها، متأنيًا في كلامه، كثير الصمت، وإذا مشى نظر إلى الأرض إلا إذا دعا اللهَ نظر إلى السماء»، ولم يذكر سندًا لهذا الوصف[126].

بشكلٍ عامٍّ؛ لا يوجد في كُتب المسلمين وصفًا مُتفق عليه ذا سند لملامح نبي الله «إدريس»؛ على عكس صِفاته التي وضَّحها القرآن الكريم في الآيتين الكريمتين، أما عن علومه فقد رُوي فيها الكثير.

***

٣-علوم إدريس

يتفقُ غالبيةُ المفسرين والأخباريين؛ الذين حدّثوا عن علوم «إدريس» وحكمته، أنه من الجيل الأول للبشرية، وربطوا بين علومه وبين زمانه الذي هو قبل «نوح» – على جمع الغالبية – وقالوا إنه كان أعلم أهل الأرض في زمانه؛ بسبب أخذه في أول عمره بعلم «آدم» و«شيث»، ولّما كبر آتاه الله تعالى النبوة وأنار بصيرته. وذكر «الطبريُّ» أن والده «يرد» عاصره ثمانمائة سنة، من مجموع تسعمائة سنة واثنتين وستين سنة هم عمر الأب «يرد»[127].

ومن علومه العظيمة: أنه أولُ من خطَّ بالقَلم من «بني آدم»؛ حسبما أورد ابنُ كثير والطبري نقلًا عن ابن إسحاق[128][129] ، وهو أول من خاط الثِّياب ولبِسها، ولم يكن معنى ذلك أن «بني آدم» قبله كانوا عُراة، لكنه أول من خَطَّ القماش؛ فالناس قبل ذلك كانوا يرتدون الجلود[130][131]، وأنه امتهن الخياطة؛ وأول من خاط الثِّياب البيض الذى يُعتبر زى الصابئة.

وذكروا عنه أنه كان محاربًا شجاعًا وعالمًا بفنون الحرب؛ وأول من سبى من ولد «قابيل»؛ فاسترق منهم، وأنه أول من شرع القتال في سبيل الله، وجهز جيشًا وهاجم قوم «قابيل»؛ فهزمهم من أجل إخماد الفتنة

والمعاصي[132]، لكن قومه انصرفوا عنه بعد ذلك وضعفوا أمام الشهوات، ورغم ذلك؛ رأوا هذه الحرب سببًا رئيسيًّا في عدم ابتداع الشرك بالله في القرون الأولى، وأنها كانت سببًا في تقليص شرور ذرية قابيل وإضعاف شوكتهم؛ بسبب حِلمه وعِلمه.

وقالوا: إنه أوّل من اطّلع على العلوم المختلفة؛ منها علم النجوم وسيرها؛ وعلوم الحساب، وهو أول من استخدم الميزان والمكيال[133]، وذكر العديد من المفسرين الأوائل علومًا أخرى عديدة: كعلَّم الزراعة، وتخطيط المدن، وسكن البيوت، والكثير من الصناعات والاختراعات، بالاضافة لكونه حكيمًا وفيلسوفًا؛ وقد وصفه الفيلسوف الأندلسي: «ابن عربي» بأنه النبيُّ الفيلسوف[134]، وبحسب المفسرين الأوائل – من إسهاب حِكمة عقله وفكره أنه كان عالمًا بخط الرمال؛ وأنه النبي الذي أشار إليه الرسول ﷺ في الحديث الشهير؛ الذي تحدَّى به العرافين والكُهَان.

● خطُّه بالرَّمل

الخطُّ من الطِّيرة، والطِّيرة هو التوقُّع بِشرٍّ – وهو عكس الفألِ – أي التنبأ بالكارثةِ قبل حدوثها، وهو ما يُشبه العِيافة التي تعنِي الظنُ والحَدْسَ، والطِّيَرة والعيافة هما من أسلحة العرافين والمنجِّمين بعد ذلك، حيث يقومون بالخُطوط في الأرض أو الرمال ويقولون: سوف يقعُ كذا أو كذا، وهي عادة حاولوا اقترافها من سِيَر بعض الأنبياء المبلِّغين بالغيب في بعض المواضع بوحي وعلم من الله، فقد ذكر رسول الله ﷺ أن هذا الخطَّ من معجزات نبي من أنبياء الله، في حديثه مع «معاويةَ بنِ الحكَم السُّلمي»، عندما أتى رسول الله ﷺ وقال:

«... قُلتُ: يا رَسولَ الله، إنِّي حَديثُ عَهْدٍ بجَاهِلِيَّةٍ، وقدْ جَاءَ اللهُ بالإِسْلَامِ، وإنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ، قالَ: فلا تَأْتِهِمْ، قالَ: ومِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ، قالَ: ذَاكَ شيءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ، فلا يَصُدَّنَّهُم. (قالَ ابنُ الصَّبَّاحِ: فلا يَصُدَّنَّكُمْ)، قالَ قُلتُ: ومِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قالَ: كانَ نَبِيٌّ مِنَ الأنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فمَن وافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ...[135]».

وقد اجتمع الكثيرُ من المفسرين على أن النبي المذكور هو «إدريس»، على الرغم من أن اسمَه لم يُذكر بشكلٍ واضح، وفي شرح هذا الحديث قال النوويُّ:

«قال العلماء: إنما نهَى عن إتيان الكهان لأنَّهم قد يتكلمون في مغيبات قد يُصادف بعضها الإصابة، فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك، ولأنهم يلبِّسون على الناس كثيرًا من الشرائع»[136].

وذكر «المُناوي» في «فيض القدير» أنَّ هذا معناه أنه كان على علم بالنّجوم والحِساب، وفي هذا المسألة يرى بعض علماء المسلمين أن علم النجوم ينقسم إلى قسمين: قِسمٌ مشروع وآخر غير مشروع، وقد أوضح ذلك «شمس الحق أبادي» في كتابه «عَوْن المَعبود»، وكذلك قال ابنُ تيميةَ: التنجيمُ هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، كالمطر والربيع والمحل وغير ذلك، وقال: السِّحر محرم بالكتاب والسنة بالإجماع، وذلك أن علمَ النجوم الذي هو من السحر نوعان: عِلْمي وهو الاستدلال بحركات النجوم على

الحوادث، وعمَلي؛ وهو الذي يقولون فيه: إنه تأثير القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية كالطلاسم ونحوها وكشف الظنون، وكذلك قال الخطَّابيُّ: علم النجوم المنهي عنه هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع وستقع؛ كأوقاتِ هبوب الرياح، ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنهم يُدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها[137]، وقد رأى العلماءُ أن علم «إدريس» ربما من المشروع، وقد يكون من النوع الآخر الممنوع؛ ولكنه كان جائزًا في شرعه؛ ومَنهيٌّ عنه في الإسلام، حيث قال النووي في شرحه للحديث على «صحيح مسلم»:

«اختلف العلماء في معناه؛ فالصحيح أن معناه: من وافَقه خطّه فهو مُباحٌ له، ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة؛ فلا يُباح، والمقصود: أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقينٌ بها، وإنما قال النبي ﷺ: «... فمن وافقَ خطّه فذاك»، ولم يقل: هو حرامٌ، بغير تعليقٍ على الموافقة، لئلا يتوهم مُتوهِّم أن هذا النهي يدخل فيه ذاك النبي الذي كان يَخُط، فحافظ النبي ﷺ على حُرمة ذاك النبيِّ مع بيانِ الحكم في حقِّنا؛ فالمعنى أن ذاك النبي لا مَنْع في حقِّه، وكذا لو علمتم موافقته، ولكن لا عِلْم لكم بها، وقال الخطَّابيُّ: هذا الحديثُ يحتمل النهي عن هذا الخطِّ إذا كان عَلَمًا لنبوةِ ذاك النبيِّ (أي معجزة من معجزاته)، وقد انقطعت (أي انقطعت معجزته بوفاته)، فنُهِينا عن تعاطي ذلك، وقال القاضي عِياض: المُختارُ أنّ معناه: أنَّ مَن وافق خطه فذاك الذي يجدون إصابته فيما يقول، لا أنّه أباح ذلك لفاعِله. قالَ: ويُحتمل أن هذا نُسِخ في شرعنا فحصَل من مجموع كلام العلماء فيهِ الاتفاقُ على النهي عنه الآن». انتهى شرحُ النوويِّ[138].

والملخَّصُ، أنَّها ربما كانت آية من آيات هذا النبي، وربما هذا النبي هو «إدريس» نفسه على اعتقاد معظم المفسرين، وسواء كان هذا النبي هو «إدريس» أو لا، فخَطّ الرملِ المذكور بَعيدٌ كلَّ البُعد عن ما يقوم به السحرة والكُهان؛ بل كان آيةً ومعجزةً لنبيٍّ، لكن الكُهان انتبهوا إليها وادعوا أن فِعلهم هذا عِلم من علوم «إدريس»، بل ويدّعون أن طلاسِمَهم تذكرُ اسمَه ودعاءَه لمعرفة الغيب.

***

٤ - دعوة إدريس

بسبب عظمة قَدْر هذا النبي في الإسلام؛ وعدم وضوح أسباب هذه المكانة العظيمة بالتفصيل، أصاب الكثيرُ من عُلماء المسلمين على مرِّ السنين فضولًا بحثيًّا حول قصته وماهِيَّة قومه أو زمانه؛ الذي لم يغذهم بهم القرآن الكريم ولا حتى السنة النبوية بشكلٍ مفصَّل، فبرغم عظمة مكانته لم ترد قصته بشكل مُشبع؛ كما ورد مثلًا عن «هود» و«صالح» و«إبراهيم» و«موسى» و«عيسى»؛ وغيرهم من أنبياء الله – عليهم جميعًا السلام، وبسبب عدم تحديد موضع وِلادتِه على الأقل في القرآن والسنة النبوية؛ تعدَّدت فرضيات مسقط رأس نبي الله «إدريس»؛ فهناك من ادّعوا أنه فِلسطيني الأصل؛ بينما جادل آخرون بأن موطنه الأول مصر؛ وغيرهم قالوا: بابلَ؛ وافترضوا أن الجبلَ المقدَّس كان ببابل، وأقوال أخرى ادّعت له مواطنَ عديدة[139].

لكن بالرجوع لما ورَد في كُتب المفسِّرين الأوائل؛ التي أجمعت غالبيتها أن «إدريس» هو نفسه «أخنوخ»؛ سنجد أن معسكر «بني قابيل» نجَح في استقطاب نفرٍ كبير من «بني شيث»، ورغم ذلك لم تتأثر عقيدة «إدريس»، الذي نشأ على الطاعة والصلاح؛ إرث «بني شيث»، ومن أهم التحديات؛ أن في حياته ظهَرت المساوئ والشرور، وأفسَد «بنو قابيل» في الأرض المُتعارف عليها في زمنهم، ولما كبر «إدريس» أنعم الله عليه بالنبوةِ؛ في مجتمعٍ انتشر فيه الملاهي والمعاصي، ومع زيادة الفتن لم يمتثل أهلُ الجبل لنصائحه؛ فخرجوا عن وصيته؛ وجحَدوا وأحبُّوا مفاتن الدنيا؛ وعاندوا عظاته بالصلاح، ولم يمتثل لدعوة «إدريس» إلا قِلة قليلة؛ يُقال: ألف نفس على اجتهاد من علماء الاسلام - وبحسب رأيهم - حاجَّه باقي قومه، ولم يُنصتوا لتعاليم السماء، وصِبغة آبائهم «آدم» و«شيث» وخَلَفِهم؛ فقرَّر «إدريس» ومَن آمنوا الارتحال خارج الجبل المقدَّس، وعندما ارتحلوا في شَصَبات[140] الصحراء، اشتدت عليهم المسالكُ وتحجَّرت؛ حتى قالوا لنبيهم:

-إذا خرجنا من أرضنا أين نجدُ مثلها؟ (وفي رواية أخرى: إذا خرجنا من بابلَ، أين نجد مثلها؟).

فقال لهم:

- الله رازقنا فيها وفي غيرها.

وعن ارتحاله ذُكِرت روايات عديدة؛ أشهرها أنه خرج من الكوفة: (سنرويها بعد قليلٍ في القصة الشيعية) وروايات أخرى قالت إنه خرج من بابلَ لمصر: (سنرويها في قصته التاريخية)؛ فقصة وصوله لمصر منتشرة بكثرة، لكنها قصة تاريخية غير دينية؛ ولم تؤكَّد في القرآن والسنة أو أثر الصحابة والتابعين، بل مروية في كتب التاريخ؛ وغالبًا من مؤرخين مصريين، لذلك خصصنا لما ذُكِر عن نزوله لمصر فصلًا خاصًّا لِما ورَد عن ذلك، والسبب أن هذه الروايات هي مربط الخِلاف الذي استدعانا لطرح هذا الموضوع، فحتى لا يختلط الأمر؛ هذا الفصل الحاليّ خاصٌّ بقصة «إدريس» في الدين الإسلامي؛ بعيدًا عن المزاعم التاريخية التي لم يوازيها ذِكْر في الإسلام.

ذُكِر أن نبي الله «إدريس» كانت له مواعظ وآداب؛ عَلَّمَ بها المُتقينَ في زمانه، ولم يتوانَ عنِ الدعوة لعبادة الله والإخلاص له؛ من أجل الفوزِ بالجنة والخلاصِ من النار، وكان زاهدًا يحثُّ على الزُّهد، ويأمر قومه بالصلاة والصيام والزكاة، وعلَّم الناسَ الطهارةَ، وشدَّد على النهي عن المُسكرات والملاهي، وأنه كان يؤجَر على عبادة أهل الأرض جميعهم في زمانهم، بسبب إخلاصه في العبادة لله.

***

٥ -عبادة إدريس لله

اجتهد بعض الباحثين والمفسرين المسلمين؛ وذكَروا أن «إدريسَ» أوحَى إليه اللهُ في عامِه الأربعين، وهو نفس العُمر الذي بُعث فيه «محمد» ﷺ، وأن «إدريس» بُعث كنبيٍّ لجميع سكان الأرض المسكونة في زمانه، ورغم كل هذا العلم؛ لم ينسَ فضل الله، ولم يمل من دعوة قومه للرجوع إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ليخلّصوا أنفسهم من العذاب[141]، ومن جَمّ إخلاصه في العبادة لله لم يتمكن منه إبليسُ؛ حتى احتار في

أمره وتشخّص له في شكلِ آدميٍّ.

إدريس وإبليس

هناك روايةٌ ضعيفةُ الإسنادِ ورَدت في تفاسير الصوفية؛ عن مقابلةِ «إدريس» مع إبليس، تقول: إن «إدريس» كان يخِيطُ في بيته؛ فجاءه ذات مرة إبليسُ في صورة إنسان، فكان «إدريس» يغرز و يخيط، فقال له إبليس:

-إن الله قادرٌ أن يجعل الدنيا في هذه؟ و أشار إلى قِشرة صغيرة جدًّا (في روايةٍ أخرى: قشرة فُسْتقةٍ).

فرفع إدريس الإبرة التي يخيطُ بها لأعلى وقال:

-إن الله قادرٌ أن يجعل الدنيا في سَمِ هذه الأبرة.

ثم غرَز الإبرةَ في عينِ إبليسَ اللعين[142].

وعن ذلك قال ابن عجيبة في «البحر المديد»:

«قول إدريس بأن اللهَ تعالى قادرٌ أن يجعل الدنيا في سَمِ هذه الإبرة، أنه أراد به أن الله تبارك وتعالى قادرٌ أن يصورَ الدنيا أصغر من سَمِ الإبرة ويجعلها فيها، أو يجعلَ سَمَ الإبرة أكبر من الدنيا، فيجعلها - أي الدنيا - في سَم الإبرة؛ لأن الله تبارك وتعالى على كل شيءٍ قديرٍ، ولم يفصِّل له «إدريسُ» الجوابَ؛ لأنه معاندٌ؛ ولهذا عاقبه على هذا السؤال بنخسِ عينه»[143].

وهذه القصة المُتداولة ليست ثابتة من حيث الإسناد، لكن يتداولها الصوفيون.

إدريس والملائكة

عن عبادته التي لم يَسبِق لها مثيلٌ؛ روَى أهلُ الأخبار أنه قسَّم الأسبوعَ إلى قسمين: ثلاثة أيام للدعوة والوعظ؛ وأربعة أيام خصّصها فقط للزُهد وعبادة الله، وورد عن «إدريسَ» أخبارٌ معظمها مأخوذة من الإسرائيليات وأهل الأخبار؛ وخاصة عن طريق «كعب الأحبار» و«وهب بن مُنبِّهٍ»، يتضح منها أن «إدريس» كان من أنشط الصالحين في الأرض، فلم يترك شخصًا إلّا وعلمه الخير والصلاح، فأوحَى اللهُ له أن يا «إدريس» ما من يوم إلا ويُكتب لك مثل عمِل أهل الأرض كلهم؛ ففرح «إدريس» ودعا ربه أن يمد في عُمُره، ومن هذا المنطلق؛ وردت قصص وأخبار عديدة تتحدث عن رغبته في إطالة أجله، وأخبار أخرى ذَكَرت أنه جرَّب الجنة والنار؛ وغيرها تقول: إن الله تحدَّى الملائكةَ بأن تماثل نفس عبادة «إدريس».

على سبيل المثال، ذكَر القرطبيُّ في تفسيره؛ عن وهب بن منبه أنه قال:

« كان يُرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لأهل الأرض في زمانه، فعَجِب منه الملائكة؛ واشتاق إليه ملكُ الموت، فاستأذن ربه في زيارته فأذن له، فأتاه في صورة آدميٍّ، وكان إدريس يصوم النهار؛ فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامِه فأبَى أن يأكلَ، ففعل به ذلك ثلاث ليالٍ فأنكَره إدريسُ؛ وقال له: مَن أنتَ؟! قال: أنا مَلكُ الموت؛ استأذنتُ ربي أن أصحبك فاذن لِي، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: وما هي؟

قال: أن تقبض روحِي، فأوحَى الله تعالى إليه أن اقبِضْ روحَه، فقبضه وردَّه إليه بعد ساعة، فقال له ملك الموت: ما الفائدة في قبض روحك؟ قال: لأذوقَ كرب الموت فأكون له أشد استعدادًا، ثم قال له إدريس بعد ساعة: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: أن ترفَعني إلى السماء فأنظر إلى الجنة والنار، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السماوات؛ فرأى النار فصَعِق، فلما أفاق قال: أرني الجنةَ، فأدخله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرِّك، فتعلق بشجرة وقال: لا أخرج منها، فبعث الله تعالى بينهما ملكًا حَكَما، فقال: ما لك لا تخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وأنا ذُقته، وقال: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقد وردتُها؛ وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ فكيف أخرج؟! فقال الله تبارك وتعالى لملك الموت: بإذني دخَل الجنة؛ وبأمري يخرجُ، فهو حي هنالك، فذلك قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾».

وعن استشهاد «إدريس» بآياتٍ من القرآن قبل نزوله؛ قال المفسرون أمثال «النحاس»: عن قول إدريس: يجوز أن الله أعْلَم هذا «إدريس»؛ قبل أن ينزل القرآنُ بهذه الكلمات، ثم نزل القرآن به بعد ذلك.

وينتهي أثَرُ «وهب بن منبه» الذي أورده القرطبيُّ بقوله:

«فإدريس تارة يرتَعُ في الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء»(144).

وهذه القصة مُكررة بشكل كبير في كتب المفسرين المسلمين وأصحاب السِّير والأخبار بألفاظ متاشبهة، فقد أخرَج شَبِيهتها ابنُ أبي حاتمٍ من طريق داودَ بنِ أبي هندٍ؛ عن بعض أصحابه، وغيره الكثير الذين ذكروها في كتبهم؛ فلا داع لتكرارها حتى وإن تغيرت ألفاظها؛ ما دامت لم تأت بخبرٍ مختلف، لكن ما سنركِّز عليه هو تشابُهَا مع منتصف روايةٍ أخرى، تجعل للقصة بقية غريبة؛ حيث ضافت عليها فتنة «هاروت وماروت» والملك الثالث؛ اللذين دخلوا التحدي مع «إدريس» في عبادته، وهو الحديث الذي رفعه عمرُ بنُ عبد الله، مولى غفرة بنت رباح أخت «بلال بن رباح»؛ إلى النبي ﷺ؛ والذي أخرجه «ابنُ المنذر»، وفي نهايته سأوضُح سنده، وليس لي غرضًا من ذكره إلا توضيح كيف حِيكَت الظنونُ في نفس الشاطحين بأفكارهم، وكيف ربطوا قصة «إدريس» بالقوة الروحية؛ وأنه مات وبُعث، وجعلوا لقصتِه علاقة بهاروت وماروت والسحر.

رفع عمرُ مولى غُفرة الحديثَ إلى رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن إدريسَ كان نبيًّا تقيًّا زكيًّا، وكان يقسِّم دهره على قسمين؛ ثلاثة أيام يعلِّم الناس الخيرَ، وأربعة أيام يسيحُ في الأرض ويعبد الله مجتهدًا، وكان يصعدُ من عمله وحده إلى السماء من الخير مثلما يصعد من جميع أعمال بني آدم، وإن ملك الموت أحبه في الله، فأتاه حين خرج للسياحة (متنكرًا في شكل آدمي) فقال له: يا نبي الله، إني أريدُ أن تأذن لي في صُحبتك، فقال له إدريس، وهو لا يعرفه: إنك لن تقوى على صُحبتي، قال: بلى؛ إني أرجو أن يقويني الله على ذلك، فخرج معه يومه ذلك، حتى إذا كان من آخر النهارِ مرّ براعي غنم، فقال ملك الموت لإدريس: يا نبي الله؛ إنا لا ندري حيث نُمسي، فلو أخَذنا جُفْرة من هذه الغنم فأفطرنا عليها؟ فقال له إدريس: لا تعُدْ إلى مثل هذا، أتدعوني إلى أخذ ما ليس لنا، من حيث نمسي يأتينا الله برزق،

فلما أمسى أتاه الله بالرزق الذي كان يأتيه، وقال لملك الموت: تقدَّم فكُل، فقال ملك الموت: لا، والذي أكرمك بالنبوة ما أشتهي، فأكل إدريس وقاما جميعًا إلى الصلاة، ففتر إدريس وكَلّ وملَّ ونعس، وملك الموت لا يفتر ولا يمل ولا ينعس، فعجب منه وقال: قد كنت أظن أني أقوى الناس على العِبادة، فهذا أقوى مني! فصَغُرت عنده عبادته عندما رأى منه، ثم أصبحا فِساحًا، فلما كان آخر النهار مرَّا بحديقة عنبٍ، فقال ملك الموت لإدريس: يا نبي الله، لو أخذنا قِطفًا من هذا العنب؛ لأنا لا ندري أين نُمسي؟ فقال له إدريس: ألم أنْهكَ عن هذا؟ أنا وأنت حيث نمسي يأتينا الله برزق، فلما أمسيا أتاه الله الرزق الذي كان يأتيه؛ فأكل إدريس، فقال لملك الموت: هلم فكُل، فقال: لا والذي أكرمك بالنبوة يا نبي الله لا أشتهي، فعجب؛ ثم قاما إلى الصلاة، ففتر إدريس أيضًا وكلَّ وملَّ، وملك الموت لا يكلُّ ولا يفتر ولا ينعس، فقال له عند ذلك إدريس: لا والذي نفسي بيده؛ ما أنت من بني آدم! فقال له ملك الموت عند ذلك: أجل لست من بني آدم، فقال له إدريس: فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، فقال له إدريس: أُمرت فيّ بأمرٍ؟ فقال له: لو أمرت فيك بأمر ما ناظرتك، ولكني أُحبك في الله وصحبتك له، فقال له إدريس: يا ملك الموت؛ إنك معي منذ ثلاثة أيام بلياليهن لم تقبض روحَ أحدٍ من الخلق! قال: بلى، والذي أكرمَك بالنبوةِ يا نبي الله، إنِّي معكَ حين رأيت، وإني أقبض نفس من أُمرتُ بقبضِ نفسِه في مشارق الأرض ومغاربها، وما الدنيا كلها عندِي إلا بمنزلة المائدة بين يدَيِ الرجلِ؛ يمدُّ يدَه يتناولُ منها ما شاء، فقال له إدريس: يا مَلَك الموتِ، أسألك بالذي أحببتني لهُ وفِيه؛ إلّا قضَيْتَ لِي حاجةً أسألكَهَا، فقال له ملك الموت: سَلْنِي يا نبيَّ الله ما أحببتَ، فقال: أُحبُّ أن تُذيقَني الموت، وتفرق بين روحي وجسدي؛ حتى أجدَ طعم الموت، ثم تردّ إليَّ رُوحي، فقال له ملك الموت: ما أقدرُ على ذلك إلّا أن أستأذنَ فيه ربِّي، فقال له إدريس: فاستأذِنْه في ذلكَ، فعرج ملكُ الموت إلى ربه فأذِن له، فقبَضَ نفسَه وفرَّق بين روحه وجسدِه، فلمّا سقَط إدريس ميتًا ردّ إليه روحه، وطَفِق يمسَح وجهه وهو يقول: يا نبي الله، ما كنتُ أريد أن يكون هذا حظّك مِن صُحبتي، فلمّا أفاق قال له ملك الموت: يا نبي الله، كيف وجدتَ؟ قال: يا ملك الموت، قد كنتُ أحدَّث وأسمَع، فإذا هو أعظم مما كنتُ أحدَّث وأسمَع، ثم قال: يا ملك الموت، أريدُ منك حاجةً أخرى، قال: وما هي؟ قال: تريني النارَ حتى أنظر إلى لمحةٍ منها، فقال له ملك الموت: وما لكَ والنار؟! إنّي لأرجو ألّا تراها ولا تكون من أهلِها! قال: بلى أُريد ذلك ليكونَ أشد لرهبتني وخوْفِي منها، فانطلق إلى باب من أبواب جهنم؛ فنادَى بعض خزَنتها فأجابوه وقالوا: من هذا؟ قال: أنا ملكُ الموت، فارتعدت فرائصُهم، وقالوا: أُمرت فينا بأمْرٍ؟ فقال: لو أُمرت فيكم بأمر ما ناظَرْتُكم، ولكنَّ نبيَّ الله إدريس سألَني أن تروه لمحةً من النار، ففتَحوا له قَدْرَ ثُقْبِ المِخْيَطِ، فأصابه من حرها ولهَبها وزَفيرها ما صعقَ، فقال ملك الموت: أغلِقوا، فأغلقوا، فمسح ملك الموت وجهه وهو يقول: يا نبي الله، ما كنتُ أحب أن يكون هذا حظّك من صُحبتي، فلما أفاق قال له ملك الموت: يا نبي الله؛ كيف رأيت؟ قال: يا ملك الموت، كنتُ أحدَّثُ وأسمَع، فإذا هو أعظم مما كنت أحدث وأسمع! ثم قال له: يا ملك الموت؛ قد بَقِيت لِي حاجة أخرى لم يبقَ غيرها، قال: وما هيَ؟ قال: تُريني لمحةً من الجنة، قال له ملك الموت: أبشر فإنّك إن شاء الله من خِيار أهلها، وإنها إنْ شاءَ الله مَقيلكَ ومصيركَ، فقال: يا ملك الموتِ إني أُحبُّ أن أنظُر إليها؛ فلعلّ

ذلك يكونُ أشدّ لشوقي وحِرصِي وطلبي، فذهب به إلى باب من أبواب الجنة، فنادى بعضَ خزنتها فأجابوه؛ فقالوا: من هذا؟ قال: ملك الموت، فارتعدت فرائصُهم وقالوا: أُمرت فينا بشيء؟! فقال: لو أُمرت فيكم بشيء ما ناظَرْتُكم، ولكن نبيَّ الله إدريس سألَ أن ينظر إلى لمحةً من الجنة فافتَحوا، فلما فتَحوا أصابَه مِن بردِها وطِيبها وريحانِها ما أخَذ بقَلْبِه، فقال: يا ملك الموت؛ إنِّي أُحبُّ أن أدخُل الجنة فآكُل أكلةً من ثِمارها، وأشرب شَربة من مائِها، فلعل ذلك أن يكون أشد لطلبي ورغبتي وحرصي، فقال له: ادخل؛ فدخل؛ فأكل من ثمارها وشرب من مائها، فقال له ملك الموت: اخرج يا نبي الله؛ قد أصبتَ حاجتكَ، حتى يردك الله مع الأنبياء يوم القيامة، فاحتَضَن ساقَ شجرة من شجر الجنة وقال: ما أنا بخارجٍ منها؛ وإن شئتَ أن أخاصمكَ خاصمتُك، فأوحَى الله إلى ملك الموت: قاضِه الخصومةَ، فقال له ملك الموت: ما الذي تُخاصمني به يا نبي الله؟ فقال إدريس: قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾؛ فقد ذُقت الموت الذي كتبه الله على خلقه مرة واحدة، وقال الله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾، وقد ورَدتها أفَأَرِدها مرة بعد مرةٍ، وإنما كتَب الله ورودها على خلقِه مرةً واحدة؛ وقال الله لأهل الجنة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، أَفَأخرُج من شيء ساقه الله إليَّ؟ فأوحَى الله إلى ملك الموت: خَصَمك عبدِي إدريس؛ وعزَّتي وجلالي إن في سابِق علْمِي قبل أن أخلُقَه أنه لا موتَ عليه إلا الموتةَ التي ماتَها، وأنه لا يَرِد جَهنّم إلّا الوِرْدَ التي وردها، وأنه يدخل الجنة في الساعة التي دخلها، وأنه ليس بخارج منها، فدعه يا ملك الموت، فقد خصمك، (أي قد احتجَّ عليك بحجة قوية)، فلما قرَّ قرار«إدريس» في الجنة، وألزَمه الله دخولها قبل الخلائق، عجَّت الملائكةِ إلى ربِّهم فقالوا: ربنا خلقتنا قبل «إدريس» بكذا وكذا ألف سنة، ولم نَعْصِكَ طَرْفةَ عينٍ، وإنما خلقت «إدريس» منذ أيام قلائل، فأدخلتَه الجنة قبلنا، فأوحى الله إليهم: يا ملائكتي، إنما خلقتُكم لعبادتي وتسبِيحي وذِكْري، وجعلت فيها لذّتكم، ولم أجعل لكم لذّة في مطعمٍ ولا مشرَبٍ ولا في شيء سواها، وقويتكم عليها، وجعلت في الأرض الزينة والشهوات واللذات والمعاصي والمحارم، وإنه اجتنب ذلك كله من أجلي، وآثر هواي على هواه، ورضاي ومحبتي على رضاه ومحبته، فمَن أراد مِنكم أن يَدْخُل مدخلَ «إدريس» فليهبِط إلى الأرضِ، فليعبدني بعبادةِ «إدريس»، ويعمل بعمل «إدريس»؛ فإن من يعمل بعمل «إدريس» أُدخِلْه مدخَلَ «إدريسَ»، وإن غيّر أو بدَّل استوجَبَ مدخل الظَّالِمِينَ. فقالت الملائكة: ربنا لا نطلبُ ثوابًا ولا تُصيبنا بعقابٍ، رضِينا بمكانِنا منك يارب وفضيلتك إيانا... »[145]

لم ينته الحديث عند ذلك؛ لكن بدا منه أن اللهَ انتدب ثلاثة من الملائكة: «هاروت» و«ماروت» وملك آخر رضوا به؛ من أجل خوض تجربة ملاقاة التحديات التي تحداها «إدريس» في عبادته.

تحدِّي هاروت وماروت

بحسب نفس الحديث؛ أوحَى الله إلى الملائكة الثلاثة المكلَّفين:

«... أما إذا اجتمعتم على هذا؛ فاحْذَروا إن ينفعكم الحذرُ فإنِّي أُنذركم؛ اعلموا أن أكبر الكبائر عندي أربعٌ: فما عمِلتم سواها غفَرتُه لكم، وإن عملتموها لم أغفر لكم، قالوا: وما هي؟ قال: ألَّا تعبُدوا صنمًا، ولا

تسفِكوا دمًا، ولا تشربوا خمرًا، ولا تَطئُوا محرَّمًا، فهبِطوا إلى الأرض على ذلك، فكانوا في الأرض على ما كان عليه «إدريس»؛ يقيمون أربعة أيام في سياحتِهم؛ وثلاثة أيام يعلِّمون الناسَ الخيرَ ويدعونهم إلى عبادة الله وطاعته، حتى ابتلاهم الله بـ «الزهرة»، وكانت من أجمل النساء، فلما نظروا إليها افْتُتِنوا بها؛ لِما أراد الله ولِما سبَق عليهم في عِلْمه، مع خِذلان الله إياهم - فنسوا ما تقدّم إليهم - فسألوها نفسَها، فقالت لهم: نعم، ولكن لِي زوجٌ لا أقدِرُ على ما تُريدونَ منِّي إلّا أن تقتُلُوه؛ وأكونُ لكُم، فقال بعضهم لبعض: إنا قد أُمرنا ألَّا نسفكَ دمًا ولا نَطَأَ محرَّمًا، ولكنا نفعلُ هذا معَ هذَا، ثُم نتوب مِن ذلك كله، فلما أحسَّ ثالثُهما بالفِتنة؛ عصَمه الله من ذلك كله بالسماء، ودخَلها فنَجَا، وأقام «هاروت» و«ماروت» لِما كُتب عليهما؛ فشَّدا على زوجِها فقتَلَاهُ، فلما أراداها قالت: لِي صَنَمٌ أعبُدُه وأنا أكْرَه مَعْصيتَه وخِلافه، فإن أردتما فاسجُدَا له سجدةً واحدةً، فدعاهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنا قد أُمرنا ألّا نسفكَ دمًا، ولا نطأ محرمًا؛ ولكنا نفعله ثم نتوب من جميعه، فسجدا لذلك الصنم، فلما أراداها قالت لهما: قد بَقِيتْ لي حاجة أخرى، قالا: وما هي؟ قالت: لِي شَراب لا يَطِيب لي شَيء من العَيْش إلا به، فقالا: وما هو؟ قالت: الخمر، فدعاهما الفتنة إلى ذلك، فقال أحدهما لصاحبه: إنا قد أُمرنا ألَّا نشربَ خمرًا، فقال له الآخر: إنا قد أُمرنا ألَّا نسفك دمًا ولا نطأ محرمًا، ولكنا نفعله ثم نتوب من جميعِه، فشربا الخمر، فلما أراداها قالت: قد بَقِيت لي حاجة أخرى، قالا: وما هي؟ قالت: تُعلِّمانِي الكلامَ الذي تَعرُجان به إلى السماء، فعلَّماها إياه، فلما تكلَّمت به عرجت إلى السماء، فلما انتهت إلى السماء مُسخَت نَجْمًا، فلما ابْتُليا بما ابْتُليا به عرَجا إلى السماء، فغُلِّقت أبوابُ السماء دونهما، وقيل لهما: إن السماء لا يدخلها خَطَّاء، فلما مُنعا من دخول السماء، وعلِما أنهما قد افتُتنا وابتُليا، عجَّا إلى الله بالدعاء والتضرُّع والابتهال فأوحى الله إليهما: حلَّ عليكُمَا سخَطِي، ووجَبت لكما عُقوبتي فيما تعرَّضْتمَا واستوجبتما، وقد كنتما مع ملائكتي في طاعتي وعبادتي حتى عصيتما، فصِرتُما بذلك إلى ما صِرْتُما إليه من معصيتي خِلَاف أمْري، فاختارا إن شِئتما عذابَ الدنيا، وإن شِئتما عذابَ الآخرة. فعلما أن عذاب الدنيا وإن طال فمصيره إلى زوال، وأن عذاب الآخرة ليس له زوال ولا انقطاع، فاختارَا عذاب الدنيا؛ فهُما ببابلَ مُعلَّقين مَنكوسَين مقرنين إلى يوم القيامة»[(146)]. انتهى الحديث الطويل.

وبحسَب هذا الحديث المزعوم؛ خسر «هاروت وماروت» والمَلَك المُنسحب التحدِّي، ولم يتمكّنوا من مماثلة عِبادة وعَمَل «إدريس»؛ الذي استحق الرفعَ إلى السماءِ والدخول إلى الجنة برغبته الخاصة.

وقد ورد في مُصنَّف «ابنِ أبي شيبةَ» قصة مشابهة على لسان «كعبِ الأحْبارِ»؛ حيث قال:

«لما رأت الملائكة بني آدم وما يذنبون، قالوا: يا ربّ يذنبون، قال: لو كنتُم مثلهم فَعلتُم كما يفعلون، فاختاروا مِنكم مَلَكين»، ويروى أنهم اختاروا هاروتَ وماروتَ، فقال لهما تبارك وتعالى: «إن بيني وبين الناس رسولًا، فليس بيني وبينكم أحدٌ، لا تُشركا بي شيئًا ولا تَسرِقَا ولا تَزنِيَا...» قال كعبٌ: «فما استكملا ذلك اليوم حتى وقَعَا فيما حُرِّم عليهما»[(147)].

وبالرجوع لحديث «مولى غُفْرَةَ» سنجده ضعيفٌ السَّند، مُنتشرٌ في كتُب غالبيتها التفاسيرُ الصوفية، وهو

على الأرجح من الإسرائيليات، وبحسب أهل الحديث؛ هذه الأخبار ليست من كلام رسول الله ﷺ، وإنما هِي أخبارٌ مُنكَرةٌ ومن الإسرائيليات[148]، وقال الألبانيُّ في كتابه «السلسلةِ الضعيفة»: «قصةٌ باطِلةٌ مُخالِفةٌ للقرآنِ»، وقال شُعَيب الأرناؤوط في تحقِيقه لِمُسند الإمامِ أحمدَ: «إسنادُها ضعيفٌ ومَتنُها باطِلٌ».

والصحيحُ أنَّ الحديثَ لا يصحُّ نَسَبُه إلى النبيِّ ﷺ، وإنما هو من قصصِ كعبِ الأحبارِ، نقله عن كُتب بني إسرائيل، وقال ابن كثير:

«ما كان من أمرهما آثارٌ كثيرةٌ غالبها إسرائيليات، وأما ما يذكره الكثيرُ من المفسرين في قصة «هاروت وماروت» من أن الزُّهرةَ كانت امرأة فراودَاها على نفسِها ... فهذا أظنه من وَضْع الإسرائيليين؛ وإن كان قد أخرجَه كعبُ الأحبارِ وتلقّاه عنه طائفةٌ من السَّلف؛ فذكَروه على سبيل الحِكاية والتحديث عن بني إسرائيل. اهـ».

وقال القرطبيُّ: «هذا كله ضعيفٌ لا يصِحُّ منه شيء، فإنه قول تَدْفَعُه الأصول في الملائكة الذين هم أمناءُ الله على وحْيِه، وسفراؤه إلى رُسله لا يعصون الله ما أمرَهم ويفعلون ما يؤمرون».

لذا؛ يتضح لنا أن هذه الأخبار من الإسرائيليات و في بعضِها نَكارةٌ، وسنعلِّق عليها بشكل مجمع في الفصل الأخير من هذا الكتاب؛ كما سبَق وأشرنا.

***

٦ - ورفَعناه مكانًا عليًّا

أكَّد القرآنُ الكريمُ على رَفْعِ «إدريسَ» عليه السلام، مكانًا عَليًّا ولا شكَّ في ذلك، بنص واضح وصريح في الآية الكريمة:

﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ولكن يظهر أمامنا سؤال جوهري:

الرفع معنوي أم حسّي؟

تعددت أقوال المفسِّرين في كيفيّة رفع «إدريسَ» عليه السلام؛ منهم من قال: رَفْعٌ معنوي؛ ومنهم من قال: رَفْع حسيّ [149]، والثاني لا يُنافي الأوّلَ.

أصحاب رأي الرفع المعنوي يقولون: أنه رُفِع روحيًّا؛ تقديرًا لمنزلته العالية ومكانته العظيمة، وأن الله رفعه لديه بمكانٍ روحي عَلِيٍّ، لم يُعرف بالضبط، لأن مكانة الأنبياء مُبهمة وغير معلومة.

أما أصحاب رأي الرفع الحسيِّ فيقولون: إنه رُفِع حِسيًّا وجسديًّا؛ بدليل أن النبي ﷺ قابله في السماء بواقِعَة المِعْراج.

والمؤمنون بالرفعِ الحسيّ أنفسهم؛ لديهم آراء مختلفة في كيفية الرَّفْع، هل مات في السماء؟ أم رُفع ولا يزال حيًّا كـ «عيسى ابنِ مريمَ»؟ عليه وعلى «إدريس» السلام، فمنهم من قال: يَحْيَا الآن في الجنة، ومنهم من قال:

إنما الجنة في علّيين وأنه في السماء الرابعة – نسبةً لحديث الإسراء والمعراج – وغيرهم قال: ليس شرطًا؛ فربما قدره بين الأنبياء وضَعه في الرابعة؛ وأنه رُفِع في البداية للسماء السادسة، وهذا كله سنعرضه فيما يلي.

في أي سماء رُفِع؟

في حديث الإسراء والمعراج الطويل على لسان «مالكِ بنِ صَعْصَعَةَ الأنصاريِّ» في البخاري؛ عن «أنس بن مالك»؛ والذي يبدأ بـ :

« أنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عن لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: بيْنَما أنَا في الحَطِيمِ – ورُبَّما قَالَ: في الحِجْرِ – مُضْطَجِعًا....

سنجد قبل منتصفه بقليل؛ يقول رسول الله ﷺ:

«... ثُمَّ صَعِدَ بي حتَّى أتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فاسْتَفْتَحَ، قيلَ: مَن هذا؟ قالَ: جِبْرِيلُ، قيلَ: ومَن معكَ؟ قالَ: مُحَمَّدٌ، قيل أوَقَدْ أُرْسِلَ إلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ.... إلى آخر الحديث» (150).

أي إنه في السماء الرابعة.

وكذلك ورد في «صحيح مسلم» حديثٌ صحَّحه الألبانيُّ؛ والذي يبدأ بـ : « أُتيتُ بالبُراقِ، وهو دابَّةٌ أبيضُ طويلٌ، فوقَ الحِمارِ، ودُونَ البَغلِ...

في منتصف الحديث:

«... ثم عُرِجَ بنا إلى السماءِ الرابعةِ، فاستَفْتَحَ جِبريلُ، فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وَقَدْ بُعِثَ إلَيهِ؟ قال: قد بُعِث إلَيْهِ؟

ففُتِح لنا، فإذا أنا بـإدريسَ، فرحَّب بي، ودعا لي بخيرٍ.... إلى آخرِ الحديث» (151).

وهذا حديثٌ صحيحٌ يؤكِّد السماء الرابعة كذلك.

ونحو ذلك قال بعضُ العلماءِ والمفسِّرين الأوائل أنه بالرابعة، وتركوا آثارًا تؤكد ذلك؛ على سبيل المثال، ذكر «ابنُ أبي شيبةَ»:

«حدثنا وَكِيعٌ عن سفيانَ عن منصورٍ عن مُجاهدٍ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، قال: في السماء الرابعة، وكذلك حدَّثنا وكيعٌ عن سفيانَ عن أبي هارون عن أبي سعيد قال: في السماء الرابعة» (152).

وكذلك ذكر القرطبي في تفسيره:

«قال السدي: إنه نام ذات يوم، واشتد عليه حر الشمس، فقام وهو منها في كَرْبٍ؛ فقال: اللهم خفِّف عن مَلكِ الشمس حرَّها، وأعِنْه على ثِقلِها، فإنه يمارس نارًا حامية، فأصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور عنده سبعون ألف ملك عن يمينه؛ ومثلهم عن يساره يخدمونه، ويتولّون أمره وعمله من تحت حُكمه؛ فقال ملك الشمس: يا رب، مِن أين لي هذا؟ قال: دعا لك رجلٌ من بني آدم يُقال له إدريس، فقال: يا رب اجمع بيني وبينَه، واجعل بيني وبينه خَلَّة، فأذن الله له حتى أتى إدريس، قال: فقال له ملك الشمس: أتريد حاجة؟ قال: نعم، وددتُ أني لو رأيت الجنةَ، قال: فرفعه على جناحه؛ ثم طار به، فبينما هو في السماء الرابعة التقَى بملك الموت ينظر في السماء؛ ينظرُ يمينًا وشمالًا، فسلَّم عليه ملك الشمس؛ وقال: يا إدريس

هذا ملك الموت فسلّم عليه، فقال ملك الموت: سبحان الله! ولأي معنى رفعته هنا؟ قال: رفعته لأريه الجنة، قال: فإن الله تعالى أمرَني أن أقبض روح إدريس في السماء الرابعة، قلت: يا رب، وأين «إدريس» من السماء الرابعة، فنزلت فإذا هو معك، فقبض روحه فرفعها إلى الجنة، ودَفَنت الملائكةُ جثته في السماء الرابعة، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[153].

وقد روى ابنُ حجَرٍ ما ذكره «الطبري» أن كَعبًا (كعب الأحبار) قال لابنِ عباس في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾:

«إن إدريسَ سأل صديقًا له من الملائكة، فحمَله بين جناحيه، ثم صَعِدَ به إلى السماء، فلما كان في السماء الرابعة تلقَّاه ملك الموت فقال: أُرِيدُ أن تُعْلِمني كم بقِي من أجَلِ إدريسَ، قال: وأين إدريس؟ قَالَ: هو معي، فقال: إن هذا لشئ عجيب، أُمِرْتُ بأن أقبض روحه في السماء الرابعة، فقلت: كيف هذا وهو في الأرض؟ فقبضَ روحهُ، فَذلك قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾، وَهَذه من الإسرائيليات بِقَوْل ابنِ حجَرٍ العسقلانيِّ[154].

وبهذا الشكل؛ نجد آثار هؤلاء متشابهة من حيث مرتبة السماء؛ مع ما ذكر في الحديثين الصحيحين السابقين، ورغم ذلك؛ هناك إشكاليةٌ جديدة؛ فهناك حديثٌ نبويٌّ ثالث صحيحٌ ذكَر أن النبيَّ ﷺ قابلَ «إدريس» في واقعة المعراج بالسماء الثانية لا الرابعة.

ففي الحديثِ الذي ورَد في «صحيح البخاري» وأخرجه «مسلم» باختلاف يسير، والذي يبدأ بقول أنس بن مالك:

« لَيْلَةَ أُسْرِيَ برَسولِ اللهِ ﷺ مِن مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، أنَّه جَاءَهُ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أنْ يُوحَى إلَيْهِ وهو نَائِمٌ في المَسْجِدِ الحَرَامِ...

في منتصف الحديث على لسان «أنس»:

«... فأوْعَيْتُ منهمْ إدْرِيسَ في الثَّانِيَةِ، وهَارُونَ في الرَّابِعَةِ، وآخَرَ في الخَامِسَةِ لَمْ أحْفَظِ اسْمَهُ، وإبْرَاهِيمَ في السَّادِسَةِ، ومُوسَى في السَّابِعَةِ بتَفْضِيلِ كَلَامِ اللهِ... إلى آخر الحديث»[155].

كما أن هناك لفظًا آخر لهذه الأحاديث ذَكَر أنّ النبي ﷺ؛ لم يحدِّد من الأساس منزلة «إدريس» في السماء؛ ففي صحيح مسلم أيضًا يروي «أنس بن مالك» ما سمِعه من «أبي ذر» عن النبي ﷺ، والذي يبدأ بـ :

« فُرِجَ عن سَقْفِ بَيْتي وأَنَا بمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بمَاءِ زَمْزَمَ...

في منتصف الحديث على لسان «أنسٍ» نقلًا عن أبى ذرٍّ:

«... فَذَكَرَ أنَّه وجَدَ في السَّمَاواتِ آدَمَ، وإدْرِيسَ، وعِيسَى، ومُوسَى، وإبْراهِيمَ صَلَواتُ الله عليهم أجْمَعِينَ، ولَمْ يُثْبِتْ كيفَ مَنازِلَهُمْ، غيرَ أنَّه ذَكَرَ أنَّه قدْ وجَدَ آدَمَ عليه السَّلامُ في السَّماءِ الدُّنْيا، وإبْرَاهِيمَ في السَّماءِ السَّادِسَةِ... إلى آخر الحديث »[156].

وهذه الأحاديثُ صحيحةٌ ولا تُعارُض بعضَها؛ لكنها متعددة الألفاظ، فالأجدى أنها تحكي قصة الإسراء والمعراج، ولا تحكي قصة النبي «إدريس» بالخصوص، ومن أسباب تعدد ألفاظ الحديث الواحد في بعض الكتب عمومًا؛ أن يكون كل راوٍ سمعه من النبي ﷺ في مكان أو مجلس أو مناسبة غير التي سمعه فيها غيره، أو أن الراوي نقل الحديث بالمعنى، كذلك لا يُضعف الحديث اختلاف الألفاظ؛ ولا سُوء حفظ الراوي ما دام ثِقة، فعن ذكر بعض الألفاظ في حديث وعدم ذكرها في الآخر؛ قال أهل الحديث: ربما أحد الرواة سمِعها وغيره لم يسمعها، أو قِيلت في مناسبة حضَرها بعضهم ولم يحضرها آخرون، وكذلك بسبب اختصار بعض الأحاديث في مواضع أخرى؛ النابع عن اقتصار بعض الرواة عند الاستشهاد بالحديث؛ إيمانًا بأن الحديث محفوظ بصيغته الأولى في محلِّ الشاهد منه.

وقد قال «ابنُ الصَّلاحِ» في موضوع تعدُّد الحديث بألفاظٍ أخرى:

«قد رأيت تقسيم ما ينفرد به الثِّقة إلى ثلاثة أقسام: أحدُهما أن يقع مخالفًا منافيًا لما رواه سائر الثقات، فهذا حُكمه الردّ كما سبَق في نوعِ الشَّاذِّ.

الثاني: ألَّا تكونَ فيه مُنافاة ومخالفة أصلًا لِما رواه غيره كالحديث الذي تفرد برواية جُملته ثِقة، ولا تعرُّض فيهِ لِما رواه الغيرُ بمخالَفةٍ، فهذا مقبولٌ.

الثالث: ما يقعُ بين هاتين المرتبتين مثل زيادة لفظة في حديثٍ لم يذكرها سائر من روى ذلك الحديث [(157)].

وهذه الاختلافات التي ذكَرناها بين هذه الأحاديث الصحيحة جميعها عن موضِع «إدريس» في السماء؛ لم تُشبع شغَف الباحثين عن هذا الأمر، ولم تضع ردًّا قاطعًا لذلك؛ منهم من قال: بل بالسماء السادسة؛ مثلما أخرج «ابن أبي حاتم» عن «السدي» في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾:

«كان إدريس أول نبي بعثه الله في الأرض، وإنه كان يعمل فيُرفَع عملُه مثل نصف أعمال الناس، ثم إن ملكًا من الملائكة أحبه، فسأل الله أن يأذن له فيأتيه؛ فأذن له فأتاه، فحدَّثه بكرامته على الله؛ فقال: يا أيها الملك أخبرني كم بقِي من أجَلي؛ لعلِّي أجتَهِد لله في العمَل، قال: يا إدريس؛ لا يعلم هذا إلا الله، قال: فهل تستطيع أن تصْعَدَ بي إلى السماء، فأنظر في مُلك الله، فأجتهد لله في العمل؟ قال: لا؛ إلا أن أتشَفَّع، فتشفع فأمر به، فحمله تحت جناحه فصعِدَ به، حتى إذا بلغ السماء السادسة استقبل ملك الموت نازلًا من عند الله، فقال: يا ملك الموت، أين تريد؟ قال: أقبض نفس إدريس، قال: وأين أُمرت أن تقبض نفسه؟ قال: في السماء السادسة، فذهب الملك ينظر إلى إدريسَ، فإذا هو برجليه تَخْفِقانِ قد مات، فوضعه في السماء السادسة»[(158)].

وعن هذه الاختلافات قال الطبريُّ في «جامع البيان»:

«قال بعضهم: رُفع إلى السماء السادسة، وقال آخرون: الرابعة».

وكذلك قال ابنُ كثيرٍ في «تفسيره»:

«قال سفيانُ، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: رُفِع إلى السماء الرابعة»، وقال العَوْفي عن

ابن عباس: رُفع إلى السماء السادسة فمات بها، وهكذا قال الضحَّاك بنُ مُزَاحمٍ».

ومن كل هذا؛ يتضح أنه لا يوجد إجماعٌ على السماء التي رُفِع إليها، ولكن مالت الغالبية إلى أنه رُفِع إلي الرابعة.

واستمرارًا لهذه الاجتهادات؛ اختلف البعضُ حول موته من الأساس: هل رُفِع ولم يمت؛ أم أن روحه قُبضت في السماء تأكيدًا لما ذكَرناه؟

هل ما زال حيًّا في السماء؟

ذكر الكثيرُ من المفسرين هذا الاختلاف؛ ومنهم «البغويُّ» الذي قال في تفسيره:

«واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت؟ فقال قوم: هو ميتٌ، وقال قوم: هو حيٌّ؛ وقالوا: أربعةٌ من الأنبياء في الأحياءِ؛ اثنان في الأرض: الخَضِر وإلياس، واثنان في السماء: إدريس وعيسى»[159].

وبالإضافة لروايات الفقرة السابقة التي ذكَرت أنه مات في السماء؛ نُضيف التأكيد الذي ذكره البغوي والقرطبي وغيرهما في تفسير سورة «مريم»، حيث أوْرَدوا قصةً مشابهة لقصة مَلك الشمس بألفاظٍ أخرى؛ تقول:

«قال ابنُ عباسٍ وكعبٌ وغيرُهما: أنه سار ذات يوم في حاجةٍ (يُقصَد إدريس)، فأصابه وهج الشمس، فقال: يا رب أنا مشيت يومًا، فكيف بمَن يحملها خمسمائة عام في يوم واحد! اللهم خفِّف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرِّها (يعني الملكَ الموكلَ بفلك الشمس)، فلمَّا أصبَح الملك وجَد مِن خِفة الشمس والظِّل ما لا يُعرف، فقال: يا رب؛ خلقتني لحَمْل الشمس، فما الذي قضيتَ فيه؟ فقال الله تعالى: أمَا إنّ عبدِي إدريس سألني أن أُخفف عنك حملها وحرها فأجبته، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيني وبينه خلة، فأذن الله له حتى أتى إدريس، فسأله إدريس: أُخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت، فاشفع لي إليه ليؤخِّر أجَلي، فأزداد شُكرًا وعِبادة، فقال الملك: لا يؤخِّرُ الله نفسًا إذا جاء أجلها، فقال إدريس: قد علِمتُ ذلك؛ ولكنه أطيب لنفسي، قال: نعم، ثم حمله على جناحه فرفَعه إلى السماء ووضَعه عند مطلِع الشمس، ثم قال لملك الموت: لي صديقٌ من بني آدم تشفَّع بِي إليك لتؤخِّر أجلَه، فقال: ليس ذلك إليَّ (بمعنى أن أجله ليسَ بيدِي)؛ ولكن إن أحببتَ علمه؛ أعلمته متى يموت، فقال: نعم، ثم نظر في ديوانه، فقال: إنك تسألني عن إنسان ما أراه يموت أبدًا، قال: وكيف؟ قال: لا أجده يموت إلّا عند مطلع الشمس، قال: فإني أتيتُكَ، وترَكتُه هناك، قال: انطلق، فما أراك تجدُه إلا وقد مات؛ فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء، فرجَع الملك فوجَده ميتًا» [160][161].

هذه الرواية بالإضافة للروايات السابقة تقول إنه مات.

وقد أخرج ابنُ أبي شيبة في «المصنف»، عن ابنِ عباسٍ قال: سألت كعبًا عن رفع «إدريس» مكانًا عليًّا، فقال:

«كان عبدًا تقيًّا، يُرفع له من العمل الصالح ما يُرفَع لأهل الأرض في أهل زمانه؛ فعَجِب المَلك الذي كان

يصعَد عليه عمَلُه، فاستأذن ربّه؛ وقال: رب ائذن لي إلى عبدك هذا فأزوره، فأذن له، فنزل، فقال: يا إدريس أبشر؛ فإنه يرفَعُ لك من العمل الصالح ما لا يُرفع لأهل الأرض، قال: وما عِلْمُك؟ قال: إنِّي ملكٌ، قال: وإن كنت ملكًا؟ قال: فإني على الباب الذي يصعَدُ عليه عملكَ، قال: أفلا تشفع إلى ملك الموت، فيؤخِّر من أجَلي لأزدادَ شكرًا وعِبادة؟ قال الملك: لا يؤخِّر الله نفسًا إذا جاء أجلها، قال: قد عَلِمتُ؛ ولكنه أطيب لنفسي، فحمله الملك على جناحه؛ فصَعِد به إلى السماء، فقال: يا ملك الموت؛ هذا عبدٌ تقيٌّ نبيٌّ يُرفع له من العمل الصالح ما لا يُرفع لأهل الأرض، وإني أعجبني ذلك، فاستأذنت ربي إليه، فلما بشرته بذلك؛ سألني لأشفع له إليك لتؤخر له من أجله، ليزداد شكرًا وعبادة لله، قال ملك الموت: ومن هذا؟ قال: إدريس، فنظر في كتاب معه حتى مرَّ باسمه فقال: والله ما بقي من أجل إدريس شيء، فمحاه فمات مكانه»[162].

وهذه الرواية كذلك تقول إنه مات.

كما أخرج ابنُ أبي حاتم، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال:

«كان إدريس خياطًا، وكان لا يغرز إلّا قال: سبحانَ الله، فكان يُمسِي حين يُمسِي وليس في الأرض أحدٌ أفضلَ عملًا منه، فاستأذن مَلكٌ من الملائكة ربَّه فقال: يا رب؛ ائْذَن لي فأهبِطَ إلى إدريس...» الى آخر الرواية المتشابهة[163]، التي تؤكِّد أن روحه قُبِضت بالسماء بين جناحي الملك.

بخلاف الروايات المتشابهة التي تؤكِّد أنه مات، هناكَ روايةٌ اخرى تقولُ إنه حيٌّ في السماء ولم يَمُت، فقد أخرج ابنُ أبي شيبةَ، وعبدُ بنُ حُميدٍ، وابنُ المُنذرِ، وابنُ أبي حاتمٍ عن مجاهِدٍ في الآيةِ قال: «رُفِع إدريس كما رُفع عيسَى ولم يَمُت»[164].

ورغم وجودِ رواياتٍ تؤكد أنَّه حيٌّ في السماء؛ يميلُ غالبيةُ المفسرينَ إلى أنَّه ماتَ في السماء، بسببِ كثرةِ الرواياتِ التي ترجِّحُ ذلك.

وعن عُمْره قبلَ الرَّفْع؛ نقل المفسرون الأوائلُ ما يتداوله أهل الكتاب بأنه رُفِع وعمره ثلاثمائة سنة وخمسًا وستين سنة، بينما استحسن آخرون ما قاله ابنُ قُتيبةَ: أنَّ إدريس رُفِع في عمر ثلاثمائة وخمسين سنة فقط[165].

هذا كل ما ورَد في الكُتب الإسلامية، ولم يختلِف فيه الشِّيعة؛ لكنهم أضافوا آثارًا وأخبارًا أُخرى على ذلك سنذكرها فيما يلي...

***

٧ ـ ما تفَرَّد به الشيعةُ عن إدريسَ

يعتقدُ الشيعةُ أن «إدريس» نبيٌّ بالإجماع، ويتداولون بعض الأحاديث والآثار والأخبار التي ذكرناها؛ ولكن بسندهم وطُرقهم الشيعية؛ لذا ستجدُها عندَهم بألفاظٍ أخرى؛ لكن المعنى لم يختلف كثيرًا من حيث النقاط الرئيسية، وإضافةً لما ورد؛ لديهم أحاديث وآثار وأخبار أخرى لم يذكرها أهل السُّنة، ورد غالبيتها عن

آئمة الشيعة، وكذلك الأَخْبَاريون كـ «كعبِ الأحبار» و«وهب من مُنبِّه»؛ سنذكرها بعدَ وَصْفهم لنبيِّ الله «إدريس».

وصفه لدى الشيعة

ذكر أبو جعفرِ بنُ بابويه القميُّ والمعروف بـ «الشيخ الصدوق» - وهو أحَد الأربعة المشهورين بجَمْع الأخبار؛ ومؤلِّف كتاب «مَن لا يحضره الفقيه» أحد الكُتب الأربعة عند الشيعة الاثنا عشرية - أن وهبَ بن منبِّه قال:

«إدريس عليه السلام كان رجلًا طويلًا، ضخمَ البطن، عظيم الصدر، قليل الصّوت، رفيق المَنطِق، قريب الخطأ إذا مشى، وإنّما سُمِّي إدريسُ لكثرة ما يدرس من كلام الله تعالى»[166]، وهذه المواصفات يتداولها أهل الشيعة؛ وبعكس أهل السنة هذه الرواية لم يطعنوا في سندها.

دعوته لدى الشيعة

كذلك أسند الشيخ الصدوق عن أن وهبَ بن منبهٍ؛ قال عن إدريس عليه السلام:

«وهو بين أظهر قومه يدعوهم إلى عبادة الله، فلا يزال يُجيبه واحد بعد واحد، حتّى صاروا سبعة وسبعين، إلى أن صاروا سبعمائة ثم بلغوا ألفًا، فاختار منهم سبعة، فقال لهم:

-تعالوا فليدع بعضنا وليؤمنّ بقيتنا.

ثم رفعوا أيديهم إلى السّماء؛ فنَبَّأه الله ودلّ على عبادته، فلم يزالوا يعبدون الله حتّى رفع الله تعالى إدريس عليه السلام إلى السّماء؛ وانقرض من تابعه، ثم اختلفوا حتى كان زمن نوح[167]» عليه السلام.

أي إن بعد رفع «إدريس» عليه السلام؛ انقرض الإيمان؛ وتبدَّلت الأجيال.

وتقول نفس الرواية:

«وأنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة؛ وهو أوّل من خطَّ بالقلمِ، وأوّل من خاطَ الثِّيابَ ولبِسَها، وكان مَن كان قبله يلبسون الجلود، وكان كُلّما خاطَ سبَّح الله وهلّله وكبّره ووحّده ومجَّده، وكان يعد إلى السّماء من عمله في كل يوم مثل أعمال أهل زمانه كلّهم، وكانت الملائكة في زمن إدريس صلوات الله عليه يُصافحون النّاس ويسلّمون عليهم ويكلّمونهم ويُجالسونهم، وذلك لصلاح الزمان وأهله، فلم يزلِ النّاسُ على ذلك حتى كان زمن نوح عليه الصّلاة والسلام وقومه، ثم انقطع ذلك»[168].

ثم يتشابه باقي محتوى هذه الرواية مع الروايات السُنية السابقة التي حكَت مصاحبته ملك الموت.

من ناحية أخرى؛ ورَد عن الإمام أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ البَاقِر - الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية الاثنا عشرية والإسماعيليين، ومن المعصومين وأهل البيت لدى الشيعة - أنه قال: إن «إدريس» أحْيا الموتَى؛ عندَما استعاد روحَ طِفل صغيرٍ؛ بعدما أكَل طعامه بسببِ الجوع والقَحْط، في قصة قومه والملكين الجبارين.

إدريس يُحي الموتَى

يروي «الراوندي» أن الإمامَ أبا جعفرٍ الباقر قال:

« كان في زمان نبوة إدريس ﷺ مَلِك جبّار، وأنّه ركِب ذات يوم في بعض نُزهه (يقصدُ المِلكَ)، فمرَّ بأرض خضرةٍ نضِرةٍ لعبدٍ مؤمن فأعجبته، فسأل وزراءَه:

-لمن هذه ؟

-فقالوا: لفلان.

فدعا به، ثم قال له:

-أمتعني بأرضك هذه.

-فقال: عِيالي أحوج إليها منك.

فغضب المَلِك وانصرف إلى أهله، وكانت له امرأة من الأزارقة (يقصدُ الخارجين عن دينِ إدريسَ) يشاورها في الأمر إذا نزَل به؛ فخرَجت إليه فرأت في وجهه الغضَب، فقالت:

-أيّها المِلك إنّما يغتم ويأسف من لا يقدر على التّغيير، فإن كنتَ تكره أن تقتله بغير حُجة؛ فأنا أكفيك أمره وأُصيّر أرضه بيدِك؛ بحُجة لك فيها العُذر عند أهل مملكتك.

-فقال: ما هي ؟

-قالت: أبعث أقوامًا من أصحابي الأزارقة حتى يأتوك به، فيشهدون لك عليه عندك أنّه قد برئ مِن دينِكُم، فيجوز لك قتله وأخذ أرضه.

-قال: فافعلي.

وكان أهلُها يرون قتل المؤمنين، فأمرتهم بذلك، فشهدوا عليه أنّه برئ من دين المَلِك، فقتَلَه واستخلَص أرضه، فغَضِب اللهُ تعالى للمؤمنِ، فأوحَى إلى إدريس ﷺ أنِ ائْتِ عبدِي الجبّار فقل له:

-أما رَضِيت أن قتَلْت عبدي المؤمن ظُلمًا حتى استخلَصت أرضَه، فأحوجت عِيالَه من بعدِه وأجَعتَهم، أمَا وعزّتي لأنتقِمنَّ له منكَ في الآجل، ولأسلُبنّكَ مُلكَكَ في العاجِلِ، ولأطعِمنَّ الكلابَ من لحمِكَ، فقد غرّك حِلْمِي.

فأتاه إدريس برسالة ربِّه؛ وهو في مجلسه وحوله أصحابه.

-فقال الجبار (يقصِدُ المِلكَ): اخْرُج عنِّي يا إدريس.

ثمَّ أخبر امراته بما جاءَ به إدريس.

-فقالت: لا تهولنّك رسالة إدريس؛ أنا أُرسل إليه من يقتُله وأكفيك أمْرَه.

وكان لإدريس أصحابٌ مؤمنون يأنسون به ويأنس بهم، فأخبرهم بوحي الله ورسالته إلى الجبّار، فخافوا على إدريس منه، ثم بعثت امرأة الجبار أربعين رجلًا من الأزارقة ليقتُلوا إدريس، فأتوه فلم يجدوه في مجلِسه، فانصرفوا؛ ورآهم أصحاب إدريس، فأحَسُّوا بأنّهم يريدون قتل إدريس، فتفرّقوا في طلبه وقالوا له:

-خُذْ حذْرَك يا إدريس.

فتنحَّى عن القريةِ من يومِه ذلك ومعه نفرٌ من أصحابه، فلمّا كان في السَّحر ناجَى ربَّه، فأوحَى الله إليه أن تنحَّ عنه وخَلِّني وإيّاه (يقصد المِلكَ).

-قال إدريس: أسألك ألّا تمطر السّماء على أهل هذه القرية، وإن خربت وجهدوا وجاعوا.

-قال الله تعالى: إنّي قد أعطيتك ما سألته.

فأخبر إدريس أصحابه بما سأل الله من حبس المطر عليهم وعنهم، وقال:

-اخرجوا من هذه القرية إلى غيرها من القُرى.

فتفرقوا، وشاعَ الخبرُ بما سأل إدريس ربّه، وتنحَّى إدريس إلى كهفٍ في جبل شاهق، ووكّل الله تعالى ملَكًا يأتيه بالطّعام عند كل مساء، وكان يصوم النّهار، وبعد ذلك: ظَهَرَ في المدينة جبّارٌ آخرُ، فسَلَبَ «المَلِكَ الأولَ» مُلْكه، وقتَله وأطْعَمَ الكلابَ لحْمَه ولَحْم امرأته، فمكثوا بعد إدريس عشرين سنة لم تمطر السماء عليهم مطرة، فلما جهدوا ومشى بعضُهم إلى بعض؛ قالوا:

-إنَّ الّذي نزل بنا مما ترون بسؤال إدريس ربّه (أي بدعاء إدريس لربِّه)، وقد تنحَّى عنّا ولا علم لنا بموضعه، والله أرحم بنا منه.

فأجمعوا أمرهم على أن يتوبوا إلى الله تعالى، فقاموا على الرّماد، ولبسوا المسوح، وحثوا على رءوسهم التّرابَ (فيما يُشبه الطريقة الشيعية)، وعجُّوا إلى الله بالتّوبة والاستغفار والبكاء والتّضرع إليه، فأوحى الله تعالى إلى الملَكِ الّذي يأتي إدريس بطعامه:

-أن احْبِس طعامه عنه.

فجاع إدريس ﷺ ليلة، فلمّا كان في ليلة اليوم الثّاني لم يؤتَ بطعامه؛ قلّ صبره؛ وكذلك اللّيلة الثّالثة، فنادى:

-يا ربّ، حبَست عنّي رزقي من قبل أن تقبض روحي.

فأوحى الله إليه:

-اهبط من موضعك، واطلب المعاش لنفسك.

فهبط إلى قرية، فلمّا دخلها نظر إلى دخان بعض منازلها، فأقبل نحوه؛ فهجم على عجوز كبيرة وهي ترفق قرصين لها على مِقلاة، فقال:

-بيعي منّي هذا الطّعام.

فحلَفت أنّها ما تَمْلِك شيئًا غيرهما؛ وقالت:

-واحد لي وواحدٌ لإبني.

-فقال: إنّ ابنك صغير يكفيه نصف قرصة فيحيا به؛ ويجزيني النّصف الآخر.

فأكلت المرأة قرصَها، وكسرت القُرص الآخر بين إدريس وبين ابنها، فلمّا رآى ابنها إدريس يأكل من قرصته اضطرب حتّى مات، فقالت:

-يا عبد الله قتلت ابني جزعًا على قوته؟

-فقال لها إدريس: أَحييه بإذنِ الله ولا تَجْزَعي.

ثمَّ أخذ إدريس بعَضُد الصّبيّ وقال:

-أيتها الرّوح الخارجة عن هذا الغلام؛ ارجعي إليه وإلى بدنه بإذن الله تعالى، أنا إدريس النبيّ.

فرجعت روح الغلام إليه، فقالت:

-أشهد أنك إدريس النّبيّ.

وخرجت ونادت في القرية بأعلى صوتها:

-أبشروا بالفرج؛ قد دخل إدريس قريتكم.

ومضى إدريس حتى جلس على موضع مدينةِ الجبّار الأوّلِ (الملِك الذي قُتِل)؛ وهي تلٌّ، فاجتمع إليه النّاس من أهل قريته.

-فقالوا: مسّنا الجوعُ والجهد في هذه العشرين سنة، فادع الله تعالى لنا أن يمطِرَ علينا.

-فقال إدريس: لا أدعوا حتّى يأتيني جبّاركم (أي الملِك الجديد)؛ وجميع أهل قريتكم مُشاة حُفاة.

فبلغ الجبّار قوله، فبعث إليه أربعين رجلًا يأتوه بإدريس، فآتوه وعنفوا به، فدعا عليهم فماتوا، فبلغ الجبار الخبرَ، فبعث إليه خمسمائة رجل.

-فقالوا له: يا إدريس إنّ الملِك بعثنا إليك لنذهب بك إليه.

-فقال لهم إدريس: انظروا إلى مصارع أصحابكم.

-قالوا: متنا بالجوع، فارحم وادع الله أن يُمطر علينا.

-فقال: حتّى يأتي الجبّار.

ثمَّ إنهم سألوا الجبّار أن يمضي معهم، فأتوه؛ ووقفوا بين يديه خاضعين.

-فقال إدريس: الآن، فنعم.

فسأل الله أن يمطر عليهم؛ فأظلّتهم سحابة من السّماء، فأرعدت وأبرقت وهطلت عليهم[(169)]».. اهـ.

عند قراءتك لهذه القصة الواردة في التُّراث الشيعي؛ ستتعجَّب كثيرًا من ورود لقب (الأزارقة)، وقد شرح العلماء الشيعة في تفسيرهم لهذا الحديث، أن لقبي «رافضة» و«أزارقة» ألقاب قديمة، فقالوا: إن مصطلح الرافضة يرمز إلى المؤمنين الذين يرفضون الباطل وحكّام الجَوْر، ولقب الأزارقة يرمز إلى الخوارج الذين يستحلون قتل المؤمنين من الروافض؛ على حدِّ تفسيرِهم.

والجديرُ بالذِّكر أن هذه القصة مُثبتة ولا تشكيك فيها لديهم؛ لأن حديث الأئمة وآل البيت من منزلة حديث النبي ﷺ لديهم، ولا يصح رده على الإطلاق.

رفعه لدى الشيعة

تتشابه قصة رفع «إدريس» للسماء لدى الشيعة مع ما ذُكِر لدى أهل السُّنة؛ ويتداولون ما أوردناه عن ابنِ عباس بخصوص أن»إدريس» جرَّب الجنةَ والنار وغير ذلك، لكن بإسناد شيعي خاص بهم كإسناد «ابن

أورمة»، ولم أجد معارضة لديهم فيما سبق، إلا إنهم استحسنوا رفْعَه وموته وأنه لم يَعِش، وأنه استقر بين السماء الرابعة والخامسة تحديدًا، فقد ورد في تفاسير الشيعة الروائية؛ كتفسير «نور الثقلين» للمفسر الشيعي «الحويزي»؛ تعليقًا على حديث منسوب للرسول ﷺ، ورَد في كتاب «الكافي في الأصول والفروع» المشهور باسم «الكافي» – من أبرزِ كُتب الحديث عند الشيعة ويُعد أكثر الكتب الأربعة اعتبارًا – أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«أخبرني جبرئيل أن ملَكًا من الملائكة كانت له عند الله منزلة عظيمة، فتَعتَّب عليه فأهبطه من السماء إلى الأرض، فأتَى إدريس عليه السلام فقال له: إن لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك، فصلى ثلاث ليال لا يَفتُر؛ وصام أيامها لا يُفطِر، ثم طلب إلى الله عز وجل في السَّحَر للمَلَك، فقال الملك: إنك قد أعطيت سُؤلك؛ وقد أطلقَ الله لي جناحي وأنا أحب أن أكافئك؛ فاطلب إليَّ حاجة، فقال: تُريني ملك الموت لعلي آنس به؛ فإنه ليس يُهنيني مع ذكره شيء، فبسط جناحه ثم قال: اركب، فصَعِد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا، فقيل له: اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك: يا ملك الموت مالي أراك قاطبًا؟ قال: العجب، إنى تحت ظل العرش حيث أمرتُ أن أقبض روح آدمي بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس عليه السلام فامتعض؛ فخرَّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه »[170].

أي إن روحه قُبضت بين الرابعة والخامسة.

كذلك ذكر ابُن إبراهيمَ القميُّ – الراوي والفقيه الشيعي، ومن أشهر رواة الشيعة وأبرزهم – روايةً عن أبِي عبدِ الله الشيعي – وأبو عبد الله الشيعي؛ هو الحسين بن محمد بن زكريا، المعروف بالشيعي والمُلقب بالمعلِّم، وهو أول من مهَّد للدولة الفاطمية، والداعي لـ «عبيد الله المهدي»، ويعتبر من أبرز المبشِّرين بالتشيع – يقول القميّ: في تفسيره لقول الله تعالى:

﴿وَ□ذْكُرْ فِي □لْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[171].

عن أبي عبد الله الشيعي؛ قال:

«إن الله تبارك وتعالى غضِبَ! على ملَك من الملائكة؛ فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر، فلما بعث الله إدريس عليه السلام جازَ ذلك الملَك إليه؛ فقال:

–يا نبي الله؛ ادعُ الله أن يرضَى عنِّى ويردَّ عليّ جناحي.

–قال: نعم.

فدعا إدريس؛ فرد الله عليه جناحَه ورضِي عنه.

–قال الملك لإدريس: ألك إليَّ حاجة؟

–قال: نعم، أحب أن ترفَعني إلى السماء حتى أنظُر إلى ملك الموت فإنه لا عيش لي مع ذكره.

فأخذه الملك على جناحه حتى انتهى به إلى السماء الرابعة، فإذا ملك الموت يحرك رأسه تعجبًا؛ فسلم إدريس على ملك الموت وقال له:

-مالك تحرِّك رأسك؟

-قال: إن رب العزة أمرني أن اقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة فقلت: يا رب وكيف هذا وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الثالثة إلى الثانية خمسمائة عام، وكل سماء وما بينهما كذلك، فكيف يكون هذا.

ثم قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة»[172].

وبناءً على ذلك؛ يُجمع غالبيةُ الشيعة أن «إدريسَ» عليه السلام؛ قُبضت روحه بين السماء الرابعة والخامسة.

وعن بيته يقول الشيعة إنه موجودٌ حاليًّا في الكوفة بالعراق.

بيت إدريس بالكوفة

يعتقد الشيعة أن بيت «إدريس» الذي خاطَ فيه يقع الآن بـالكوفة، وأنه هو نفسه «مسجد السهلة»، وكان اسمه قبل ذلك «مسجد بني ظفر»، نسبةً لمن بَنَوْه «بنو ظفر»، ويقع هذا المسجد شمال غرب مسجد الكوفة، وقريب بمئات الأمتار لخان المصّلى، وكربلاء المقدسة.

وعن الاعتقاد بأنه بيت «إدريس»؛ روى الشيخ الصدوق؛ عن الإمام «جعفر الصادق» - الإمام السادس لدى الشيعة الاثنا عشرية والإسماعيلية، وعلى اسمه لُقبت الشيعة الإمامية بالجعفرية - أنه قال:

«إذا دخلت الكوفة فأتِ مسجد السهلةِ فصلِّ فيه؛ واسأل الله حاجتك لدينك ودنياك، فإن مسجد السهلة بيت إدريس النبي صلى الله عليه وآله، الذي كان يخيط فيه ويصلي فيه، ومن دعا الله فيه بما أحب؛ قضى له حوائجه ورفعه يوم القيامة مكانًا عليًّا إلى درجة إدريس؛ وأُجير من مكروه الدنيا ومكائد أعدائه»[173].

وهذا المسجد به مشاهد ومقامات عديدة أخرى غير بيت ومقام «إدريس» كـ :

مقام «المهدي المنتظر» الذي يزعمون فيه - ومقام الخَضِر- ومقام الإمام «جعفر الصادق» - ومقام وبيت إبراهيم - ومقام الصالحين الذي هو مقام الأنبياء هود وصالح[174].

واعتقادهم هذا نسبةً لإسناد سعدِ بنِ عبدالله لقول «أبي عبد الله الشيعيّ»:

«كان بيت إبراهيم صلوات الله عليه الّذي خرج منه إلى العمالقة، وكان بيت إدريس عليه السلام الّذي كان يخيط فيه، وفيه صخرة خضراء فيها صورة وجوه النّبيين، وفيه مناخ الرّاكب، (يعني الخَضِر عليه السلام)»[175].

وكذلك في موضعٍ آخرَ بإسناد «الشيخ الصدوق»؛ عن أَبِي بصيرٍ، أنَّ «أبا عبد الله الشيعيَ» قال:

«يا أبا محمد؛ كأنِّي أرَى نزول «القائم» عليه السلام في مسجد السهلة بأهله وعياله.

-قلت: يكون منزله جُعِلتُ فداك؟

-قال: نعم، كان فيه منزل إدريس، وكان منزل إبراهيم خليل الرحمن، وما بعث الله نبيًّا إلّا وقد صلَّى فيه، وفيه مسكن الخَضِر، والمُقيم فيه كالمُقيم في فُسطاط رسول الله صلى الله عليه وآله، وما مِن مؤمنٍ ولا

مؤمنة إلا وقلبه يحنُّ إليه»[176].

هذا باختصارٍ ما قاله السُّنَّةُ والشيعةُ عن قصةِ ﴿إدريس﴾ عليه السلام، أمّا عن قصةِ ﴿أخنوخ﴾ التي رُبِطَت به؛ فشرحُها كما يلي:

***

# الفصل الثالث

## أخنوخ

«خنوخ» الذي هو بالعربية «أخنوخ»؛ هو الشخصية الدينية في اليهودية والمسيحية التي ربطها البعضُ بشخصيةِ «إدريسَ» في الإسلام، وورَدت في المذاهب والطوائف التي تفرَّعت منهما؛ وكذلك في المندائية والعديد من المعتقدات غير السماوية، وأثارت سيرتها جدلًا كبيرًا لِمئات السنين؛ بسبب سِماتها الخارقة التي أضافتها الرّوايات الزائدة، وفي الطوائف المنسوبة لليهودية والمسيحية؛ تعمقَ الأمرُ وحمل أخبارًا أغرَب مما ذكَرناه؛ لذلك حُظِرت أسفارٌ وكتبٌ وأساطيرَ شطّت في سِمات «أخنوخ»؛ وعُدّت أسفارًا وكُتبًا غير قانونية.

١ - نبوة دنانوخ في الصابئة المندائية

نبدأ بالصابئةِ التي اعتَبروها هي الأقدم، حيث يزعم أتباعها أنها ديانة الله الأولى التي أُنزلت على نبيِّه «آدمَ» - كما سبَق وذكرنا - وفي الحقيقة لم يكن ذلك سببًا لإدراجها في هذا الفصل، بل إن السبب الذي جمعها هنا: شخصية «أخنوخ» وتشابُه الاسم؛ وكذلك ترتيبه لديهم بما يوازي «جدول الأمم» المُدرج في اليهودية والمسيحية، فهذا الفصل غير محدَّد للشرائع السماوية خاصةً، هو فقط باسم «أخنوخ» وكل مايعترف بنبوته؛ بما في ذلك الطوائف الباطنية، ولم يُخصِّص الكتابُ فصلًا كاملًا لشخصية «إدريس» في الإسلام إلا لأن اسمَه «إدريس»، وإن كان اسمه في الإسلام: «أخنوخ»؛ لَتمَّ إدراج قصته الإسلامية هُنا؛ كذلك إن كان في أي مُعتقد آخر اسمه «إدريس» أو مشابهًا له؛ لَتَمَّ ذِكْر المُعتقد الآخَر في نَفْس فصلِ «إدريس» في الإسلام؛ لذا لَزِم التنويه.

ربط الكثير بين «دنانوخ» الوارد ذكره في كُتب الصابئة؛ و«أخنوخ» الوارد ذكره في اليهودية والمسيحية، وفي الصابئة تجدُ «دنانوخ» نبيًّا عظيمًا؛ ورابع الأنبياء الخمسة الكبار في مُعتقدهم، بعدَ «آدمَ»، و«شيتل»، و«هبة الله» (الذي هو أنوش)، وله في هذه العقيدة مكانة خاصة، وهذا ما اتَّضح من نصوصهم في كتابهم العقائدي «الكنزا ربّا» (الكَنزُ العظيمُ) الذي يُعتقد أن بين فصوله؛ الصحف التي نزلت على «دنانوخ» من الله - على حد زعمهم.

يتم تبجيل «دنانوخ» في مُعتقدهم؛ لأنه أحد الأنبياء الأوائل الذين نقَلوا رسالة النور والنقاء والهداية إلى البشر من «آدم» و«شيتل»، ويرون أنه قام برحلات روحية عظيمة إلى السماء، حيث قابل كائنات نورانية؛ وتلقَّى رؤًى إلهية مباشرة، وهو انتقالٌ روحيٌّ أبعد من الوجود المادي بحسب مُعتقدهم، وهذا حدَث بعدَما أُنزل إليه ملاك نوراني يُدعَى: «هيبل زيوا» (يُعتقد جبرائيل أو جبريل في المعتقدات الأخرى) ودعاه إلى العروج إلى السماء، وفي الأعلى تلقَّى النبوة، وعاد حاملًا المعرفة الإلهية لتعليمها للبشرية.

لهذه الأسباب هو بالنسبة لهم مثالٌ يُحتَذى به في البحث عن الحقيقة والمعرفة الروحية، ورمزًا للنقاء الروحيِّ.

***

٢ - نبوة أخنوخ في اليهودية

رغم تبجيلِه في التقاليد اليهودية؛ وورود اسْمِه في جدول الأمم التوراتِي بـ «سِفْر التكوين - العهد القديم - كأحَدِ أسلاف النبي «نوح»[177]؛ لا يوجد إجماع تام حول نبوة «أخنوخ»، لذلك هناك إشكالية ومحاورة قائمة إلى الآن حول هذا الأمر؛ بسبب عدم ورود نصٍّ قاطعٍ في الأسفار العبرانية يؤكد نبوته؛ رغم تقديس شخصيته، لذلك انقسم اليهود على نبوته؛ لرأيين:

- **الرأي الأول**

ترى من خلاله طائفة كبيرة أنه نبيٌّ، واستدلوا بتفسير الآيات التي دلّت على اصطفائه بالنبوة، أبرزها: مشيُه مع الله واختفاؤه من بعدها؛ لأن الله أخَذه عنده[178]؛ بعد أن عاش ٣٦٥ سنةً، وهي أقصر من حياة بطاركة ما قبل الطوفان الآخرين[179]؛ الذين تم تسجيل أعمارهم على أنها تعدَّت سبعمائة سنة، وقد مشي مع الله بعد سبعة وخمسين عامًا من وفاة «آدم»، وقبل تِسعة وستين عامًا من ولادة «نوح»، وبرغم قصته الموجزة في سفر التكوين؛ ما اعتبروه دليلًا على نبوته هو مشيُه مع الله؛ لذلك ترجمة «خنوخ» يقابلها بالعربية: نس الله»أنس الله».

من ناحية أخرى، هناكَ ما يُعرف بـ «الترجمة السبعينية»؛ الترجمة الحديثة للتوراة من العِبرية إلى اليونانية الكوينية، والتي تُمِّمت في القرن الثالث قبل الميلاد، بعدما قرَّر «بطليموس الثاني» (فيلادلفوس) (٢٨٥ – ٢٤٧ ق.م) البَدءَ في مشروعِ تجميع الكِتاب المقدَّس العِبري، ضِمن مشروعه الأكبر «مكتبة الإسكندرية القديمة»، وقام بعملية الترجمة سبعون يهوديًّا – وعن أقوالٍ أخرَى اثنان وسبعون – بعددِ ستة أحبار من كل سبط من أسباط بني إسرائيل الاثني عشر[180]؛ لذلك عُرِفت بـ «الترجمة السبعينية»، ويُرمَز لها بعددها اللاتيني LXX الذي يعني سبعون، وهي أقدَم ترجمة يونانية موجودة للكتاب المقدس العبري من الأصل العبري[181].

أثناء ترجمة النص العبري الأصلي لليونانية في هذه الترجمة؛ نقَلوا عبارة «أخَذَه اللهُ» مع الفعل اليوناني (μετατίθημι) metatithemi[182]، بمعنى الانتقال من مكان إلى آخر، والكلمة اليونانية المستخدمة هنا للإشارة إلى الجنة «باراديسوس» (παράδεισος)؛ مشتقة من كلمة فارسية قديمة تعنِي «الحديقة المُغلقة»، واستُخدمت في الترجمة السبعينية هذه لوصف «جنة عدن»، أي إنهم آمنوا بأنه ذهب لجنَّة عدنٍ، ولكن فيما بعدُ أصبح المصطلح يعني «السماءَ العُلْيا»[183].

- **الرأي الثاني**

أقرَّ بعدم نبوة «خنوخ»، استنادًا على عدم وُرُودِ نصٍّ صريحٍ في التوراة يؤكد نبوته، حيث ورد أن أقصى درجات التبجيل هو مَشْيُه مع الله فقط، وهذا ربما يكون بسبب صلاحه؛ أي ليس شرطًا أنه نبيٌّ ذو رسالة.

أخنوخ في الحاخامية الكلاسيكية

أما في الأدبِ الحاخامي الكلاسيكي أو الأدب اليهودي القديم؛ الذي تم إحياؤه وازدهر إنتاجه مجددًا مع ظهور الثقافة اليهودية العلمانية الحديثة؛ فهُناكَ وجهات نظرٍ مختلفة حول شخصية «خنوخ»:

- **وجهة النظر الأولى**

تم العثور عليها في «ترجوم جوناثان الزائف» (المعروف أيضًا باسم ترجوم القدس أو ترجوم يروشالمي أو ترجوم يوناثان)، وهو عبارة عن ترجمة وتفسير للتوراة أو «أسفار موسى الخمسة» المعروفة بالعهد القديم باللغة الآرامية (وهي لغة سامية شرقية أوسطية مقدَّسة، انطلقت مع قيام الحضارة الآرامية في وسط

سوريا).

يَعتقِدُ البعضُ أنَّ مصدرَ هذا الترجوم القدس منذ زمن عتيقٍ؛ بينما ظهر رأي جديد يرشِّح أنه ظهر لأوَّل مرة بإيطاليا بالقرن الثاني عشر [184].

وقد سُمِّي هذا النصَّ بـ«ترجوم» عوضًا عن ترجمة؛ لأنه يتضمن مصادر متنوعة ومختلفة؛ تحتوي على مزيج من الترجمة والشرح، وبعض النصوص الحاخامية التي تتضمن الفولكلور والحكايات التاريخية والمواعظ الأخلاقية والنصائح العملية، في مجالات مختلفة من الأعمال إلى الطب، وهذا «الترجوم» تم جمعه من المواد والمصادر المختلفة في وقت متأخرٍ؛ مثل «تكوين رباح المدراش»، بالإضافة إلى مواد سابقة مقتبسة من التلمود، لذلك هو مزيج من التعليق والترجمة على حدٍّ سواء، وهو أيضًا نصٌّ مُركب؛ يشتمل على الترجوم الفلسطيني القديم، و«ترجوم أونكلوس»، ومزيج متنوع من المواد الأخرى المختلفة [185].

اعتقد هذا الترجوم أن «أخنوخ» كان رجلًا تقيًّا تم نقله إلى السماء، وحصَل على لقب «سافرا رابا» (الكاتب العظيم)، وبعد أن انفصلت المسيحية تمامًا عن اليهودية؛ أصبح هذا الرأي هو الفِكرة الحاخامية السائدة عن شخصية «أخنوخ» وتم تمجيده [186].

- **وجهة النظر الثانية**

هي وجهة نظر طرحها «شلومو يتسحاقي» (٢٢ فبراير ١٠٤٠م - ١٣ يوليو ١١٠٥م)، والمعروف عمومًا بالاختصار «راشي»، وهو حاخام فرنسي من العصور الوُسْطى، ومؤلِّف التعليقات الشاملة على التلمود والكتاب المقدس العبري؛ في السلسلة أو مجموعة التعليقات القديمة على كل أجزاء التناخ المعروفة باسم «تكوين رباح المدراش»، والذي ذكر أن «أخنوخ» كان رجلًا بارًّا؛ لكنه لم يكن معصومًا من الخطأ، حيث كان من السهل أن يرتد ليعود إلى فعل الشر، لذلك أسرع القدوس مباركته وأخذه بعيدًا؛ و«تسبب في موته قبل أوانه» -على حدِّ وصف هذا التكوين - ولهذا السبب غيّر الكتاب الصياغة في رواية وفاته؛ وكتب «ولم يعد» في العالم [187].

- **وجهات نظر أخرى**

ظهرت وجهات نظر أخرى طرحها بعض «المدراشيم» التي عمِلَت على تفسير النصوص ودراستها، وتم فيها توسيع السمات الباطنية لـ «أخنوخ»؛ وتلقيبه بـ «حارس جميع الكنوز السماوية»، وأنه تحوَّل لرئيس رؤساء الملائكة وسُمِّي: الملاك «ميتاترون»؛ خادم عرش الله المباشر، وعالِم الأسرار الباطنية، وناقل كلمة الله، ويتناقل بعضُهم أن «أخنوخ» بعدما تحوّل لرئيس الملائكة والكاهن السماوي «ميتاترون»؛ قاد «موسى» وشعبه في خروجهم من مصر بعد بطش فرعون.

وعن حياة «أخنوخ» قبل المشي مع الله؛ ذكرت تفسيراتهم أنه كان زاهدًا تقيًّا، بشر بالتوبة؛ وجمع (على الرغم من قِلة عدد الناس على الأرض) مجموعة كبيرة من التلاميذ وطلبة العلوم والمعارف، إلى الحدِّ الذي تم فيه إعلانه ملِك، وبحِكمتِه يُقال إن السلام قد ساد على الأرض، ونجاحه في تلك المهمة؛ كان سببًا

لاستدعائهِ إلى السماء ليحكُم أبناء الله بعد ذلك[188].

* * *

٣ - أسفار أخنوخ المحرَّمة

هناك ثلاثة كُتب مُبهمة غير قانونية تُنسَب إلى «أخنوخ»، دائمًا ما يُطلق عليها المصطلح المُتداول: «أبوكريفا أخنوخ»، ومصطلح «أبوكريفا» في تعريفه المبسط: يعني الكِتابات التوراتيةَ أو حتى المسيحية؛ التي لم يعترِف بها اليهود؛ أو التي لم يتم إدراجها في الكتاب المقدَّس المسيحي لعدم الاعتراف بفحواها؛ نظرًا لوجود شكوك واضحة حول صحتها، وهذا المصطلح اليوناني يشمل المعاني: (خفِيٌّ - غامضٌ - مبهمٌ - عويصٌ)، وهذه الكُتب أو الأسفار الثلاثة بحسب مسمى معتقدوها؛ هي:

سِفر أخنوخ الأول

يَنسُب البعضُ إلى «أخنوخ» سِفرًا باسمه؛ اسمه «سِفر أخنوخ»، وهذا السِّفر يحتوي على رحلة «أخنوخ» في السماوات السبع وما شاهده في الملكوت؛ والقدرات الخارقة التي امتلكها وإعلانات الله له؛ وتحدِّيه للملائكة المتمردة على الله أو «الملائكة الساقطة» - حَسْبما يزعمون - وحماية البشرية من شرورهم، وكذلك يحتوي على ما يقولون إنه تحذيرات «أخنوخ» لأبنائِه وتبشيرِه بقدوم شخصٍ اسمه «المختار البار» في نهاية الزمان.

هذا الكتابُ هو سِفر محظور غير قانوني؛ يؤمن به يهود إثيوبيا وقلة قليلة من يهود العالم، عادةً ما يُعرَف هذا السِّفر باسم: «نسخة أخنوخ الإثيوبية» أو «الحبشية»، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل اليهودية المنسوبة لـ «أخنوخ»؛ كُتبت أصلًا باللغة الآرامية المقدَّسة، ثم فُقِد الأصلُ الأرامي، وبعد فترة تم العثور على أجزاء من هذا الكتاب في الترجمة اليونانية.

كذلك توجد نُسخة حبشية باللغة الجعزية - (التي تُستَخدم اليوم باعتبارها اللغة الليتورجية الرئيسية لكنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإريترية، وكنيسة التوحيد الأرثوذكسية الإثيوبية، والكنيسة الكاثوليكية الإثيوبية، والكنيسة الكاثوليكية الإريترية، والمجتمع اليهودي «بيتا» إسرائيل المعروف بـ «يهود الفلاشا») وقد تُرجمت هذه النسخة أساسًا عن النسخة اليونانية؛ التي بدورها تُرجمت عن الأصل الآرامي المفقود؛ الذي يرجح أنه كُتب بين سنة ١٦٣ و٨٠ قبل الميلاد، وسافرت النسخة الإثيوبية نفسها من إثيوبيا إلى أوروبا لأول مرة على يد الرحالة والكاتب الإسكتلندي «جيمس بروس»، ثم تُرجِم السِّفر من الإثيوبية إلى الإنجليزية على يدِ «أوغست ديلمان» و«القُس شودي»[189].

بعد وصول هذا النص لأوروبا؛ اقتبس بعض الآباء في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السِّفر، أمثال: «جاستن الشهيد» المعروف أيضًا بالقدِّيس «يوستينوس»، والقدِّيس «إيرينيئوس»، وعالم اللاهوت المُعلِّم: «تيتوس فلافيوس إكليمندس» المعروف بـ«أكليمندوس الإسكندري»، وعالم اللاهوت المُعلِّم:

«أوريجانوس»، وعميد مدرسة الإسكندرية اللاهوتية: «أثيناغوراس الأثيني»، والمؤلف الأمازيغي المسيحي «ترتليانوس»، والمؤرخ «لاكتانتيوس» مستشار «قسطنطين الكبير» فيما بعد، وجميعهم لديهم كتابات تحتوي على تلميحات من «سفر أخنوخ» الممنوع حاليًّا، وفي بعضِ الحالات أيّدوا صَراحةً استخدام «سِفر أخنوخ» ككتابٍ مقدَّس[190].

مع مرور الوقت؛ استشعر المسيحيون الرِّيبة حِيال هذا السِّفر، وتم رَفْضه واستنكاره من لَدُن قادةَ المسيحيين وآباء الكنيسة، أمثال: «يوحنا فم الذهب» و«أغسطينوس» و«جيروم أو أورينيموس»، وقالوا إنه مزيفٌ وغير حقيقي وبه أخطاء، وقرَّر غالبيةُ اليهود والمسيحيين اعتبار هذا الكتاب من ضمن الأسفار غير القانونية والمكذوبة[191].

بناءًا على ذلك؛ تم استبعاد «كتاب أخنوخ» من كلٍّ من: التناخ العبري والترجمة اليونانية الكوينية للكتاب المقدّس العِبري المعروفة بـ «السبعينية»، ولم يعتبره القُراء اليهود أو المسيحيين الأوائل سِفرًا قانونيًّا، وبعد انفصال الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية عن الكنيسة الكاثوليكية في القرن الخامس؛ اقتصر استخدام «سفر أخنوخ» في المقام الأول على الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، ومع مرور الوقت؛ أصبح في النهاية استخدامه مقتصرًا على الدوائر الإثيوبية في الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وما دون ذلك اعتبروه سِفرًا مُزيفًا.

يحتوي هذا الكتابُ على أسرار غريبة عن نظام الكون؛ والسماء؛ والأقدار؛ والأرواح؛ والملائكة؛ ووصف العرش؛ و«المختار البار» الذي وجده «أخنوخ» قبل خلق البشر في الملأ الأعلى وبشَّر بقُدُومه في نهايات الزمان (يعتقدُ بعضُ المسيحين المعترفين بهذا السِفر أنه السيد المسيح)، حيث يقول كاتب «سفر أخنوخ»: إن «ابن الإنسان» كان موجودًا قبلَ خلقِ العالم.

كما يقدِّم السِّفر نفسَه صورة غَنية عن حياة «أخنوخ» وخصائصه ورسالته، وذَكَر أنه كان رجلًا بارًّا وعادلًا؛ عاش حياةً صالحة في طاعةِ الله وسار معه[192]، وأبًا صالحًا ربَّى أبناءه على التقوَى والبِرِّ[193]، وأنه نبيٌّ مُلهَم نالَ رؤى إلهية وكشفًا عن أسْرَار السماء والأرض والمُستقبل[194]، وأمورٍ أخرى متعلِّقة بوساطته بين الله والإنسان؛ ونقل الرسالة للإنسانية[195]، كما ذكر أنه رُفع حيًّا إلى السماء دون أن يذوق الموت[196]، وبعدها نالَ مكانة مُميزة في السماء؛ ونُصّبَ حاكِمًا على الملائكة؛ وكبيرًا على البشر[197]، وكانَ له دَور بارزٌ في حماية البشريةِ من شرور «الملائكة الساقطين» أو«فساد المراقبين».

● أخنوخ ومحاربة الملائكة الساقطين

يبدأ «سفر أخنوخ» برؤية «أخنوخ» السماوية في مِعراجه، وأثناء تجوُّله في السماء كي يرى أسرار الخليقة والملائكة؛ قابله الملاك «ميخائيل» ليُرشده ويشرح له أسرار الكون، فرأى «أخنوخ» مجموعةً من الملائكة الذين تمرَّدوا على الله وتركوا أماكنهم المقدَّسة، فعلم أن هؤلاء الملائكة يُطلق عليهم اسم «الغريغوري» وقائدهم «عزازيل»[198]، وأنهم خطَّطوا لإفساد البشرية والتمرُّد على الله؛ من خلال نزولهم إلى الأرض

وزواجهم من بنات البشر من جنس «قايين» (قابيل)، فأنتج هذا الزواج غير المشروع أبناءً عمالقة أشرارًا؛ يُعرفون باسم «النيفيليم».

رأى «أخنوخ» العُنف والبشاعة والفساد التي أحدَثتها سلالة «النيفيليم» في الأرض، فتوسَّل البار «أخنوخ» إلى الله لينقذ البشرية من شرّ: «الغريغوري» وأبنائهم النصف إنْسِيِّين: «النيفيليم»؛ فيستجيب له الله؛ ويأمره أن ينذر «الغريغوري» بعقابٍ إلهيٍّ قادم، فبلغ «أخنوخ» الرسالة وحذَّرهم من عواقب أفعالهم؛ لكنهم لم يُبالوا، فأنزل الله عِقابه عليهم بطوفانٍ كبيرٍ لتدمير الأرض الأولى التي عبثوا بها؛ وإبادة «النيفيليم» (أبناء الملائكة المتمردة وبنات «قابيل»)، فتمَّ تدميرهم بالطوفان؛ وأنقذ الله «نوحًا» وأتباعه في سفينة من الطوفان، أما الآباءُ «الغريغوري» الساقطون؛ فحُبِسوا في ظُلمة أبَدِيةٍ حتى يوم الدينونة.

كما يشرح السِّفر؛ أن اللهَ كافأَ «أخنوخ» على إيمانِه وإخلاصه؛ ورفعه إلى السماء ليُخلّد فيها، ومُنح اسمًا جديدًا وهو رئيس الملائكة «ميتاترون»، الذي أصبح وسيطًا بين الله والبشر.

● القصة بين سفر أخنوخ والأسفار القانونية

يُقدّم «سفر أخنوخ» تفاصيلَ غنية عن دور «أخنوخ» وعلاقته بـ «الملائكة الساقطة» بوصف مفصَّلٍ، ويُصوِّره كوسيطٍ مهمٍّ بين الله والبشر؛ وأثنى على دوره في إنقاذ البشرية.

وجزئيًّا؛ تَتَشابه القِصة الواردة في «سِفر أخنوخ» مع السفر القانوني من العهد القديم «سفر التكوين» الإصحاح السادس؛ وتحديدًا الآيات:

**[وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ، وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ، ٢ أَنَّ أَبْنَاءَ الله رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا. ٣ فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». ٤ كَانَ فِي الأَرْضِ طُغَاةٌ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَبَعْدَ ذلِكَ أَيْضًا إِذْ دَخَلَ بَنُو الله عَلَى بَنَاتِ النَّاسِ وَوَلَدْنَ لَهُمْ أَوْلاَدًا، هؤُلاَءِ هُمُ الْجَبَابِرَةُ الَّذِينَ مُنْذُ الدَّهْرِ ذَوُو اسْمٍ. ٥ وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. ٦ فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. ٧ فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ». ٨ وَأَمَّا نُوحٌ فَوَجَدَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ ]** **(199)**

ويظهر مما ورد أن النص لم يوضح أن «أبناء الله» المذكورين كانوا ملائكة، بعكس القصة التي أوردها «سفر أخنوخ» من وصفهم ومسمياتهم بزيادات وتوضيحات أوسع؛ لكن السؤال الأهم هنا:

● من هم أبناء الله المذكورين في الآيات القانونية السابقة؟

لهذا النص تفسيرات متباينة ومختلفة، على سبيل المِثال في:

- **التفسيرات الكلاسيكية القديمة**

يرى بعض المفسرين الأوائل أن «أبناء الله» هم ملائكة ساقطون تزوَّجوا من نساء بشريات (بنات قابيل)؛ مُفسدين بذلك خط الله للبشرية، ويستند هذا التفسير إلى استخدام مصطلح «أبناء الله» في أماكن أخرى من العهد القديم، مثل «سفر أيوب ١:٦»[200]، وكذلك «سفر أيوب ٣٨:٧»[201]، وقالوا إنها إشارة إلى الملائكة، لكن في نفس الوقت؛ لم يقبل الكثيرون هذا التفسير بسبب صعوبة تعليل سبب معاقبة الله للبشر على خطيئة الملائكة؛ لذلك ظهرت تفسيرات أخرى حديثة.

- **التفسيرات الحديثة**

يرى المفسرون والمعلّقون الحديثون أنَّ المقصود بـ «أبناء الله»: نَسْل «شيث بن آدم»، الذي يُعتبر «ابن الله» على حدِّ تفسيرهم للآية الواردة في سفر التكوين:

**[ وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثًا، قَائِلَةً: «لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلًا آخَرَ عِوَضًا عَنْ هَابِيلَ». لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ ]** [202]

وبحسب تفسيرهم لهذه الآية؛ رأوا أن «شيث» وذريته هم أبناء الله الذين كانوا في البداية يتَّبعون طريقِ الصلاح، حينما قرَّر نسل «قايين» اتّباع مسار الشر، ولكن الخطيئة وقعت عندما تخلَّ «أبناء شيث» عن صلاحِهم؛ وخالَفوا الوصايا بعدَم الاختلاط، وغرّهم جمال «بنات «قابيل» (بنات الناس)، فخرَج منهم نسلًا جبارين، ويدعم هذا التفسير التركيز على «الشر» و«الجبابرة» في سياق النص.

بينما اقترح بعض المفسرين المعاصرين أن «أبناء الله» هولاء؛ كانوا كهنة أو زعماء دينيين أو أشخاصًا ذوي نفوذٍ؛ خالفوا وصايا الله واستغلّوا منصبهم وسلطتهم للتّعامل مع النساء بشكل غير أخلاقي، ممّا أدّى إلى انتشار الفساد والعُنف.

- **التفسير الرمزي**

يرى بعض الباحثين أن «أبناء الله» المذكورين؛ هم رمزٌ للخطيئة بشكلٍ عامّ أو لانهيار القِيم الأخلاقية في المجتمع، أي إن النصَّ مجردَ رمزٍ غير مرتبطٍ بشخصياتٍ محددة، وتركز وجهة النظر هذه على الرسالة الأخلاقية للنص وحُكم الله على الخطيئة.

وبهذا الشكل يتضح أن الأسفار القانونيةَ بشكلٍ عام؛ لم يُذكَر بها قصةُ «الملائكةِ الساقِطين» بشكلٍ مباشر، بل لا يوجد لها تفسير واحدٌ مُجمَع عليه لماهية «أبناء الله»، وهي إلى الآن مفتوحة للتأويل، و تعتمد على وجهة نظر المُفسّر وفهمه للنصّ، كذلك لا يُقدّم «سفر التكوين» أيَّ تفاصيل عن علاقة أخنوخ بـ «الملائكةِ الساقطين» حتى وإن تم تأكيدها في أيٍّ من التفسيرات.

لهذا السبب والأسباب التالية؛ تم حظر سِفر «أخنوخ».

- أسباب حظر سفر أخنوخ الأول

لم يتمّ إدراج «سفر أخنوخ» في التناخ اليهودي (الكتب المقدّسة لدى اليهود) أو في العهد الجديد (الكتب المقدَّسة لدى المسيحيين) عند الإجماع على الكتب المقدسة الرسمية؛ وبرَّروا ذلك بما يلي:

- **١ – محتوًى غير تقليدي**

يحمل «سفر أخنوخ» أفكارًا ومفاهيمَ؛ تختلفُ عن العقائد الأساسية والمُتعارف عليها في اليهودية والمسيحية، مثل: الوصف المبالغ فيه لقصةِ «الملائكةِ الساقطين»، وكذلك «النهاية المُروّعة للعالم»: حيث يصف السِّفر نهاية العالم بشكلٍ مُخيف ومُفزِعٍ، ممّا قد يُثير الخوف والقلق لدى المؤمن – على حد زعمهم.

- **٢ – التناسُخ**

تُشير بعض فِقرات السِّفر إلى فِكرة تناسُخ الأرواح وعودتِها في بشرٍ آخرين بعدَ موت أصحابها، وهي فِكرة مُستبعدة في الرسائل السماوية.

- **٣ – تاريخه مبهم**

لا يُعرَف إلى الآن مَن كاتِبه؟ أو ظروف كتابتِه؟ أو توقيت كتابتِه بشكلٍ دقيق؟

- **٤ – اختلافات في النسخ**

توجد العديدُ من النسخ لـ «سِفر أخنوخ»، والنُّسخ نفسها بينها اختلافات جوهرية في الفحوى والتفاصيل، وأدّت هذه الاختلافات إلى صعوبة التحقُّق من صحة المعلومات الواردة في السِّفر، ممّا زاد الريبة والشكوك حوله.

- **٥ – الاقتباس من الديانات القديمة**

يرى البعضُ أنّ «سِفر أخنوخ» تأثَّر بأفكار ومعتقدات من ديانات وثقافات أخرى قبل اليهودية، ممّا جعله غير مُتوافق مع العقائد اليهودية والمسيحية المُستقرة من وجهة نظرهم.

وعلى الرغم من حظره؛ فإنَّ «سفر أخنوخ» حَظِي باهتمامٍ كبيرٍ من قِبَل بعضِ الباحثين والمؤرِّخين، كما أنَّ بعض الطوائف الدينية والمذاهب الباطنية تعتبرُ «سِفر أخنوخ» نصًّا مُقدسًا وتؤمن بِما ورَد فيه؛ كما سبق وذكرنا.

سِفر أخنوخ الثاني (أسرار أخنوخ)

كتاب» أسرار أخنوخ»؛ – ومن أسمائه الأخرى :»كتاب أخنوخ السلافي»، أو «سفر أخنوخ الثاني» لتميزه عن «سفر أخنوخ الأول» السابق ذكره – هو كتاب محفوظٌ بلغة الكنيسة السلافية القديمة (أول لغة أدبية سلافية)، وتمَّ ترجمته للإنجليزية لأول مرة على يدِ المؤرخ الإنجليزي من القرن التاسع عشَر «ويليام مورفيل»[203]، ويرجِع تاريخ النصِّ الأصلي – على الأرجح – إلى القرنِ الأوّل المِيلادي.

كالكتاب السابق؛ يصفُ هذا الكتاب – غير القانوني – صعودَ البطريرك «أخنوخ»؛ واختراقه عشر سماوات من الكَوْن المتمركزِ حول الأرض، ويحملُ هذا الكتابُ خيالات مُتعلِّقة بعلم الكونيات، وقُدرة أخنوخ غير العادية، التي كانت تتناسبُ مع مُعتقدات أوائل العصور الوسطى حول البِنْية الميتافيزيقية للكون.

ورَد فيه أيضًا وبشكلٍ متشابهٍ: تفاصيلَ اصطحاب الملائكة لـ «أخنوخ» في رحلة معراج عبر السماوات، وخلال الرحلة شاهد الملائكة وعمالتهم؛ والجنة؛ والجحيم؛ ومصير الخُطاة، كما تناول السِّفر هو الآخر قصة «سقوط الملائكة المتمردين»؛ الذين خانوا الله وخطَّطوا لفساد البشرية، ويشرح هذا السِّفر دور «أخنوخ» في رؤية هذه الأحداث؛ وتلقين البشر تحذيرًا من خُطط الملائكة الشريرة، كما يُقدِّم رواية مفصِّلة عن «النيفيليم»، ويتعمَّق في وصف سلوكهم الشرير؛ ويوضح دورَ «أخنوخ» في كشفِ خُططهم؛ وكَبْح شروروهم؛ وتخليص البشرية من بِيقانهم.

في نصفه الثاني؛ يتنبأُ السِّفر بـ «طوفان نوح» ويصفه للقارئ، بما في ذلك سبب حدوثه ودوره في تطهير الأرض من الشرّ، ويُظهر السِّفر دورَ «أخنوخ» الصالح ومؤازرته في تحذير حفيده «نوح» من الكارثة القادمة؛ وإرشاده لبناء الفُلك لإنقاذ نفسه وعائلته.

وعن مصير «أخنوخ»؛ يُشير الكتابُ إلى رفعه للسماء؛ ليُصبحَ ملاكًا ومقيمًا أبديًّا في حضرة الله؛ كالكاتب المذكور آنفًا.

فُقد النصُّ الأصلي لهذا السِّفر لعدةِ قرون في ظروف مبهمة، لكن تم استعادته ونشره في نهاية القرن التاسع عشر، والنص الكامل موجود إلى الآن فقط باللغة السلافية الكنسية، وتُمثل هذه النسخة (التي تُقرها الكنسية السلافية نفسها)؛ ترجمة من نسخة يونانية سابقة مجهولة المصدر[204].

ينسب البعضُ كتابةَ «سِفر أسرار أخنوخ» إلى طائفة يهودية غامضة وغير معروفة، بينما يعتقدُ البعض أنها كتابات مسيحية من القرن الأول الميلادي؛ أو القرون الميلادية القليلة الأولى[205].

ورغم عدم قانونية هذا السِّفر وطرده من الشرائع اليهودية والمسيحية؛ فإنه تم استخدامه بكثافةٍ من قِبل طائفةِ «البوغوميل» المسيحية، وهي طائفة غنوصية باطنية ثنائية، تأسَّست في الإمبراطورية البِلْغارية الأولى على يدِ الكاهن «بوغوميل» في عهد القيصر «بطرس الأول» في القرن العاشر[206].

يرى غالبيةُ اليهود والمسيحيون أن هذا النصَّ مزيف من النوع المروع؛ لما يحمله من خيالات من وصف للسماء وتخيلات لعرش الله وسقوط الملائكة؛ ووصف ما رآه «أخنوخ» في مِعْراجه؛ بصورةٍ لا تصح.

● أسباب حظر سفر أخنوخ الثاني

هو الآخر لم يتم إدراجه في التناخ اليهودي؛ أو في العهد الجديد، وبرَّروا ذلك بنفس الأسباب تقريبًا وأسباب أخرى إضافية:

- **١ – محتوى غير تقليدي**

كـ «سِفر أخنوخ الأول»؛ يحمل هو أيضًا أفكارًا ومفاهيم تختلف عن العقائد الأساسية والمتعارف عليها في اليهودية والمسيحية.

- **٢ – التناسخُ**

كـ «سِفر أخنوخ الأول» تُشير بعض الفِقرات إلى فِكرة تناسخ الأرواح وعودتها في بشر آخرين بعد موت أصحابها، وهي فكرة غير مقبولة في الرسائل السماوية.

- **٣- تاريخه مُبهمٌ**

كذلك؛ لا يُعرف إلى الآن مَن كاتِبُه؟ أو ظروف كتابته؟ أو توقيت كتابته؟ وكل ما استطاعوا التوصُّل إليه هو مجرد تخمين بأنه ربما كُتب في القرن الأول قبل الميلاد، بينما يرى آخرون أنه أحدَث من ذلك، وبسبب عدم اليقين اعتبروا معلوماته غير مؤكَّدة.

- **٤ - فُقدان النصِّ الأصليِّ**

لم يتم العثور على النسخة الأصلية من كتاب «أسرار أخنوخ» باللغة التي كُتِب بها إلى الآن؛ وما هو موجود مجرد ترجمات قديمة للسِّفر، ممّا يُثير تساؤلات حول مدَى دقَّة وسلامة هذه الترجمات، وعن حالة وجَودة عملية النقل أثناء الترجمة.

- **٥ - اختلاف الترجمات**

المخطوطات المتَرجَمة نفسُها شهدت اختلافًا وتباينًا في بعض التفاصيل، ممّا يُشير إلى احتمال وجود تحريفات أو تعديلات على أو مِن الأصل المفقود.

- **٦ - الاقتباس من الديانات القديمة**

كسابقه؛ يرى البعضُ أنّ «سِفر أخنوخ» تأثَّر بأفكارٍ ومعتقدات من ديانات وثقافات أخرى قبل اليهودية.

سفر أخنوخ الثالث (سفر الكاهن الأكبر إسماعيل)

هذا الكتاب عبارة عن نصٍّ حاخاميٍّ باللغة العبرية، يعود تاريخه إلى القرن الخامس الميلادي، عادةً ما يُطلق عليه أيضًا: «كتاب القصور»، أو «كتاب الحاخام إسماعيل الكاهن الأكبر»، أو «ارتفاع ميتاترون»، ويُختصر بـ «أخنوخ الثالث»[207].

يتحدث هذا الكتاب؛ عن أن «الحاخام إسماعيل» دعاه الله لرؤى الصعود إلى السماء، فزار السماء السابعة، وفيها التقَى بـ «أخنوخ» في عليِّين، فحكى له الحكاية السابقة لسقوط الملائكة؛ وأن الأرض في عصره فَسدت على يدِ الشياطين «شمازاي»، و«عزازيل»، وأن اللهَ نقلَه للسماء محبّةً منه له لإثبات أنه لم يكن قاسِيًا.

كما يَصِفُ السِّفرُ كيفية مِعراج «أخنوخ» إلى السماء كما سبَق وذكَرنا، وكيف تم تعيينه حارسًا لجميع الكنوز السماوية، ووصف الأجواء التي تسلّم فيها منصب رئيس رؤساء الملائكة؛ الخادم المباشر على عرش الله، وبناءً على هذه المهام تعلم كل الأسرار والإبطان؛ ومعه كلّ الملائكة خلفه؛ يتمِّم من تِلقاء نفسه كل ما يخرج من فم الله؛ منفذًا أحكامه.

وبحسب السِّفر: «أخنوخ» هو نفسه المعروف بالملاك «ميتاترون»؛ الملاكُ الذي ينقل كلمة الله؛ وقد ورد بهذه الوصوف في الأدبيات الباطنية؛ لذلك نُظر إلى «أخنوخ» من خلال هذا الأدب والقَبالة الحاخامية

للتصوف اليهودي[208]؛ على أنه الشخص الذي نقل إعلان الله إلى «موسى» عليه السلام.

يصف العلماء المُعاصرون هذا الكتابَ بأنه كتابٌ كاذبٌ نصًّا ومضمونًا؛ لذا لم يتم تضمينه في الشرائع اليهودية والمسيحية القانونية.

● أسباب حظر سِفر أخنوخ الثالث

كسابقيه لم يتم إدراجه في التناخ اليهودي؛ أو في العهد الجديد، وبرروا ذلك بالأسباب التالية:

- **١ – محتوى غير تقليدي**

يتضمّن «سفر أخنوخ الثالث» أيضًا العديدَ منَ الأفكار والمُعتقدات التي تختلِفُ عن المسيحية واليهودية، ويتبنَّى الوقائع التي ذُكِرت بالسِّفرين السابقين، وكأنّهم نقلوا عن بعضِهم؛ أو عن مصدرٍ واحدٍ.

- **٢ – التناسخ**

كسابقيه؛ يُشيرُ إلى فِكرة تناسخ الأرواح غير المقبولة.

- **٣ – أسلوب الكتابة**

يتميز أسلوب كتابة «سفر أخنوخ الثالث» بالغموض والإبهام، مما يجعل فَهمه صعبًا على القارئ العادي، وصعوبة التصديقِ بأنه وحي من السماء.

- **٤ – الاقتباس من الديانات القديمة**

كالسفرين السابقين؛ يعتقدُ بعضُ العلماء أن «سفر أخنوخ الثالث» تأثّر بأفكار ومعتقدات من دِيانات وثقافات أخرى.

- **٥ – من تأليف الكاهن إسماعيل**

تم الإجماع على أنّه مِن تأليف «الحاخام إسماعيل» نفسه، والذي أصبحَ «رئيسًا للكهنة» بعد ما ادَّعى رؤى الصعود إلى السماء[209].

● مَن هوَ الكاهن إسماعيل؟

هو (تانا) من الجيل الثالث؛ ويعدُّ شخصيةً رائدةً في «تصوف ميركابا» – وهي مدرسة للتصوف اليهودي المبكر ركّزت على الرؤى؛ خاصةً المُتعلقة بقصص الصعود إلى القصور السماوية وعرش الله.

لكن هناك مشكِّكينَ في هذا الانتساب؛ وأنه مجرد تشابه في الاسم، وقالوا: لا يُمكنُ أن يكون هو رئيس كهَنة إسرائيل؛ لأنه وُلِد بعدَ حصارِ «القُدس» وما ارتبط به من تدمير الهيكل الثاني في ٧٠ م – على حدِّ زعمهم – لذلك أشار الإسناد البديلُ الى كاهنٍ آخرَ يحملُ نفس الاسم: «الكاهن إسماعيل»، من نَسْل عائلة كهنوتية ثَرية في الجليل الأعلى[210]، ويعتقدُ البعضُ أن مولِدَه كان سنة ٩٠ م، وقالوا: إنه هو الطفل الذي قُبض عليه في سنِّ الصِبا، ثم تَمَّ افتداؤه بواسطة «يشوع بن حَنَنيا»، وظلّ زميلًا مقربًا للحاخام

«جوشوا»[211]، الذي كان يسكن بكفر عزيز جنوب مدينة الخليل، ويظن البعض أنه كان من «شهداء بيتار»[212] في ثورة «شمعون بار كوخبا» ضد الإمبراطورية الرومانية؛ خلال الموجه الثالثة من الحرب اليهودية الرومانية عام ١٣٢ م، ورغم ذلك، لم يلقَ هذا الإسناد البديل رواجًا، والرأي الأكثر شيوعًا الآن أنه لم يكن هوَ، وأنَّ أحد الشهداء كان يحمل الاسم نفسه فقط (ذكر موت الحاخام إسماعيل في نداريم ٩:١٠ )[213]، والسبب في هذا التخبُّط أن كاتب هذا السِّفر لم يعترف بكتابته له؛ مدّعيًا أنه أُمِلِي عليه من السماء، ولم يُدلِ بأيِّ معلومات عن نفسِه.

***

٤ - أخنوخ في الكُتب الدينية المحظورة

ثمةَ كُتُب «أبوكريفي» أُخرى تحدَّثت عن «أخنوخ»، لا تُنسب إليه كأسفار؛ لكنها تحدَّثت عن تقديسه وقُدراته الهائلة، وهي كُتب دينية محظورة.

أخنوخ في كتاب العمالقة المحظور

كتاب «العمالقة»: هو كتابٌ تعود كتابته إلى ما قبل القرن الثاني قبل الميلاد[214]، يعده غالبيةُ اليهود والمسيحيين ككتابٍ يهودي مزَوَّر وكاذِبٌ، يندرج هو كذلك تحت مصطلح «أبوكريفي» السابق ذِكْره، ويتوسَّع هذا الكتاب في سرد سِفر التكوين للكتاب المقدَّس العِبري، بطريقةٍ مشابهة لـ «سِفر أخنوخ» المحظور، تم العثور على أجزاء مما لا يقل عن ستة؛ وما يصل إلى إحدى عشرة نسخة؛ بين مجموعات «مخطوطات البحر الميت»[215].

● مخطوطات البحر الميت

هي مخطوطات عَثَر عليها بالمصادفة راعٍ فلسطيني بدوي؛ اسمه «محمد الديب»، في أول مارس من عام ١٩٤٧ م؛ ففي أثناء بحثه عن عنزته الضالّة؛ رمَى حجرًا في ثقب على مغارة مرتفعة، تقع هذه المغارة على الشاطئ الغربي للبحر الميت، وتبعُد عن مدينة أريحا الفلسطينية بثمانية أميالٍ.

عندما رمى الحجرَ كمحاولة لاكتشاف وجود العنزة بالداخل أم لا؛ اندهش «الديب» بعد سماع صوت تحطُّم آنية فَخاريةٍ داخل المغارة، فأخبر ابني عمه «جمعة محمد» و«خليل موسى» بما حدَث معه، وبعد التقصِّي وتتبُّع مصدر الصوت؛ تفاجئوا بأن التَّلَّ يحتضن مغارة سرية؛ تضم العديد من الأواني الفخارية التي تحتوي على مخطوطات جلدية ملفوفة في قماش من الكَتَّان، وبسبب إغلاق الأواني بإحكام؛ كانت المخطوطات بحالة جيدة رغم أنّها عاشت ما يُقارب من ألفي سنةٍ، حيث تُشير الأدلة إلى أنها وُضِعت في الكهف حوالي سنة ٦٨ م، وترجع كتابة هذه المخطوطات إلى الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي[216].

استمرت عملية اكتشاف المخطوطات في كهوفِ «قمران» لمدة عشر سنوات؛ من: ١٩٤٦ م إلى: ١٩٥٦ م، وفي النهاية تمَّ الإعلان عن اكتشاف ما يُقارب ٨٥٠ مخطوطة؛ جميعها ذات أهمية عالية بالنسبة لليهودية والمسيحية، معظمها باللغة العبرية؛ وبعضها باللغة الآرامية، وقِلة بلغات ولهجات إقليمية مختلفة بما في ذلك النبطية[217]، وقلة أُخرى باللغة اليونانية واللاتينية، وجميع اللفائف وأجزاء اللفائف البالغ عددها ١٥٬٠٠٠ قطعة؛ محفوظة في مزارِ الكتابِ بـ«مُتحف القدس» بالأراضي المحتلة، وإلى الآن هناك نِزاعٌ بين الأردن وحكومة الاحتلال على أحقية اقتناء مخطوطات البحر الميت، حيث تبرر الأردن أن غالبية هذه المخطوطات اكتُشفت في فترة الإدارة الأردنية للضفة الغربية، واستحوذ الاحتلال عليها وسرقها بشكل غير قانوني؛ بعد خسارة الأردن في نكبة ١٩٦٧م[218].

● محتوى كتاب العمالقة

«كتاب العمالقة» المذكور الذي كان من ضمن هذه الاكتشافات؛ تخصَّص في الوقوف والتأمل كمحاولة لشرح كيف أصبح الشر منتشرًا وقويًّا قبل «طوفان نوح» العظيم، محاولًا توضيح المبرر حول إرسال الله لهذا الطوفان الجامح، حيث يحكي هذا الكتاب عن خلفية ومصير الذين سبقوا الطوفان وآبائهم، وقد وصفهم بشكلٍ صريحٍ بالعمالقة[219].

كذلك تتشابه قصة «أخنوخ» الواردة فيه مع ما ورد في الأسفار المحظورة من تخيلات وخوارق، حيث نقلها دون إضافة تُذكر.

● أسباب حظر كتاب العمالقة

تم حظر هذا الكتاب لنفس الأسباب السابق ذِكْرها، واعتبر البعض محتوى هذا الكتاب مُهرطقًا يتناقض مع العقائد الدينية الرسمية، بسبب احتوائه على تلميحات وتفسيرات بديلة لخَلْق الكَوْن وتاريخ البشرية؛ غير المُجمع عليهم في العقيدة القانونية، بالإضافة إلى الصيغة المُخيفة والمُقززة؛ خاصةً فيما يتعلق بتصوير العمالقة.

***

٥ ـ أخنوخ في الكتب الدينية المختَلَف عليها

الكتب الدينية المختَلف على قانونيتها؛ أو المعروفة بالمصطلح «الديوتروفونوكانية»؛ هي الكُتب المُدرجة في الكتاب المقدّس الكاثوليكي والأرثوذكسي؛ بينما لم تُدرج في الكتاب المقدَّس البروتستانتي، ومن هذه الكتب كتاب مهمٌّ تحدث عن «أخنوخ»؛ وهو: «سِفر يشوع ابن سيراخ».

أخنوخ في سفر يشوع بن سيراخ

«سِفر ابن سيراخ»، أو «حِكمة ابن سيراخ»، أو «مُصفّرة الحكمة»، هو تلك العمل اليهودي المكتوب في الأصل باللغة العبرية التوراتيّة، والذي يُعتَبر أطول كتاب حكمة موجود من العصور القديمة[220]، والمكوَّن من تعاليم أخلاقية كتَبها «يشوع بن العازار بن سيراخ»، بين عامي ١٩٦ و١٧٥ قبل الميلاد تقريبًا، وهو كاتبٌ يهودي هلنستي من فترة الهيكل الثاني، وأحد حكماء اليهود الذين درسوا التوراة واختبروا الحكمة؛ فكتب فيها [221].

تم ذِكر أخنوخ في «كتاب سيراخ» مرتين:

- **الأولى في الإصحاح ٤٤:**

[أَخْنُوخُ أَرْضَى الرَّبَّ فَنُقِلَ، وَسَيُنَادِي الأَجْيَالَ إِلَى التَّوْبَةِ] [222]

تُشير هذه الآية إلى أن «أخنوخ» عاش حياته إرضاءً لله، فاستحق أن يُنقَل من الأرض دون أن يمرَّ بالموتِ، وأنه سيُرسَل في المستقبل للدعوة إلى التوبة.

- **الثانية في الإصحاح ٤٩:**

[لَمْ يُخْلَقْ عَلَى الأَرْضِ أَحَدٌ مِثْلَ أَخْنُوخَ الَّذِي نُقِلَ عَنِ الأَرْضِ] [223]

تُؤكّد هذه الآية على مكانة «أخنوخ» المميَّزة، فهو الشخص الوحيد الذي نُقل من الأرض دونَ أن يمرَّ بالموتِ، نتيجةَ أنه لم يُخلَق على الأرض مثله.

● سفر ابن سيراخ بين الحظر والقانونية

باستثناء البروتستانت؛ تُجمِع كل الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية في العالم على الاعتراف بهذا السِّفر، ومن أقوى الأدلة على قانونية السِّفر لديهم؛ اقتباسات بعض رسائل العهد الجديد بعض أفكاره في مواضع عديدة.

مر «سفر ابن سيراخ» بمراحلَ مختلفة من التقييم والمكانة الدينية على مرِّ العصور:

**١ - العصر اليهودي**

لم يُدرَج في التناخ (العهد القديم) اليهودي: لِأسباب غير واضحةٍ تمامًا، مع وجود ترجيحات تشمل: عدم تطابُق محتواه مع بعضِ التعاليم اليهودية، وتأثُّره بالفلسفة اليونانية من وِجْهة نظرهم آنذاك.

**٢ - العصر المسيحي المُبكر**

اعتبرته الكنيسة الكاثوليكية من ضمن الكُتُب المُقدَّسة (الدوتروفونوكانية)، أما بعض الكنائس البروتستانتية فاعتبرته من ضمن الكُتب «المُشكوك فيها» أو «غير القانونية».

**٣- العصر الحديث**

في العصر الحديث استمرَّ الجدلُ حول مكانته الدينية، ما بين الدفاع عن قيمته الدينية وأهميته الروحية، وبين التشكيكِ في بعضِ مضامينِه وعدم انسجامها مع العقائد المُؤسِّسة.

الجديرُ بالذِّكر، أنّ من بين جميع كُتّاب العهد القديم والأبوكريفا، يُعتبر «ابن سيراخ» فريدًا من نوعه؛ لأنه الوحيد الذي ادَّعى أنه مؤلّف عمله، ولم يُملَى عليه من السماء[224].

***

٦ - نبوة أخنوخ في المسيحية

لدي الشريعة المسيحية القانونية المعتدلة؛ تجد «أخنوخ» شخصًا مميزًا رُفع إلى السماء عند عُمْر: ثلاثمائة وخمس وستين سنة، إقرارًا بما ذكَره «سِفر التكوين العهد القديم القانوني»[225]، وقد فسَّروا ذلك بأنه عدد أيام السنة الكاملة، وكأن «أخنوخ» عاش حياة كاملة غير ناقصة؛ وفي نهايتها أُصعِد إلى السماء، وأنه رمزٌ للمسيحِ الحيِّ الذي عاش على الأرض حياة كاملةً، ثم بَعْد موته صَعِد إلى السماء بقوةِ لاهوتِه وبمجدِه الذاتي، واستمرارًا لربطِهم كل الإشارات الرمزية ببعضها؛ تجدهم يفسِّرون بأن قتلَ «هابيل» هو رَمزٌ لموت «المسيح» على الصليبِ، وأن صُعود «أخنوخ» حيًّا يُعتبر رمزًا لحياة المسيح وصعوده إلى السماء حيًّا، فالرمز لا يمكن أن يكتمل في شخصٍ واحد من وجهة نظرهم، وأن المسيحَ وحده هو الذي تجتمِعُ فيه جميع المعاني[226].

وفي «العهد الجديد»، ذُكِر «أخنوخ» ثلاث مرات:

- **أخنوخ في إنجيل لوقا**

ذُكر بشكلٍ مُختصر؛ كأحدِ أسلاف آباء يسوع في «إنجيل لوقا»، ولم تظهَر أي إشارة عن نبوَّته بشكلٍ قاطعٍ[227].

- **أخنوخ في رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين**

ذُكِر «أخنوخ» في رسالة «بولس الرسول»، وقد وضح فيها أن صعود «أخنوخ» للسماء سره إيمانه الشديد، حيث ورَد في رسالته المعروفة باسم «رسالة بولس الرسول للعبرانيين» قوله:

**[بالإيمانِ نُقِلَ أخنوخُ لكَيْ لا يَرَى الموتَ، ولم يوجَدْ؛ لأنَّ اللهَ نَقَلَهُ. إذ قَبلَ نَقلِهِ شُهِدَ لهُ بأنَّهُ قد أرضَى اللهَ. ولكن بدونِ إيمانٍ لا يُمكِنُ إرضاؤُهُ؛ لأنَّهُ يَجِبُ أنَّ الذي يأتي إلَى اللهِ يؤمِنُ بأنَّهُ مَوْجودٌ، وأنَّهُ يُجازِي الذينَ يَطلُبونَهُ][228]**

وهذا تأكيدٌ إلى أنه لم يرَ الموتَ المُميت المنسوب إلى نسل آدم الآخرين، وهو ما يتوافق مع سِفر تكوين العهد القديم العبراني: ٥: ٢٤ الذي يقول:

**[ وسارَ أخنوخ مع الله ولم يَكُنْ؛ لأنَّ اللهَ أخَذَهُ»]**

- **أخنوخ في رسالة يهوذا**

ذُكِر في رسالة أحَدِ رُسُلِ المَسيح الاثني عشر: القديس «يهوذا»، أو «تداوس»، المعروف باسم «يهوذا الرسول» (وهو غير يهوذا الإسخريوطي الذي خان المسيح)؛ صاحب «سفر يهوذا» أو رسالة يهوذا، وهو

أحد أسفار العهد الجديد، وقد نُسب في رسالته مقطعًا غير موجود في أسفار العهد القديم العبرانية؛ قائلًا:

**[وتنبّأَ عن هؤُلاءِ أيضًا أخنوخُ السّابِعُ مِنْ آدَمَ قائلًا: هُوَ ذَا قد جاءَ الرَّبُّ في رَبَواتِ قِديسيه][229]**

العبارةُ التمهيديةُ التي ضافَها يَهُوذَا الرسول التي تقول: «أخنوخُ السابِعُ مِن آدمَ»، لم ترد في أسفار العهد القديم التوراتية القانونية، لكنها موجودة في «سِفر أخنوخ الأول» المحظور فقط، وكان هذا سببًا قد شجَّع الآباء المسيحيين الأوائل للاعتراف بهذا السِّفر في بادئ الأمر؛ كما ذكَرنا في شرحه قبل قليل.

حيث يعتقدُ معظمُ العلماء المعاصرين أن هذا المقطع مقتبَس من سِفر أخنوخ الأول ١: ٩ الموجود باللغة اليونانية، على الرغم من أن نفسَ العلماء يدركون أن أخنوخ ١: ٩ في حدِّ ذاتِه هو مجرد تعليق على تثنية ٣٣: ٢ [230]، وكذلك يوجد لبعضِ الأقوال الخاصة بأواخِر الأيام في العهد الجديد ما يُقابلها في سِفر أخنوخ المحظور.

ويرى بعضُ مفسِّروا رسالة يهوذا، أن من تفسير الآية المذكورة سابقًا[231]؛ يتضح بأن تَنبأ «أخنوخ» بمجيء يسوع للدينونة رغم أنه لم يَرِد في أسفار العهد القديم؛ إثباتًا بأنه كان محفوظًا في التقليد الشَّفَهي اليهودي، وذهَب البعضُ لاعتبار «أخنوخ» نبيًّا وليس بارًّا؛ لأن ذلك من صفات الأنبياء.

لذلك ترى طائفةٌ مسيحيةٌ كبيرةٌ أن «أخنوخ البار» كانت له روح النبوة، رمزًا للسيد المسيح الذي أخبرهم بكلِّ مشيئة الآب، وفسَّروا قول المُعلِّم «يهوذا الرسول» أن «أخنوخ هو السابع من آدم» تفسيرًا عَمِيقًا يؤكِّد على قُدسية «أخنوخ» رقم سبعة من آدم؛ لأن رقم سبعة يَدُل على كمال الزمان؛ حيث إن الزمن مقسَّم إلى أسابيع؛ والأسبوع يكتمل بعد سبعة أيام؛ وكأنه رمزٌ واضحٌ لكمالِ الزمان الأول الذي أتى في نُهْيَتِه «أخنوخ»، لكي يأتِي بعده الثامن الذي هو بداية الزمان الجديد «نوح»، كما يرون أن «أخنوخ» استحقَّ المشي مع الله، واستحق أن ينقله الله حيًّا إلى السماء، ومن ثَم العيش أمامه حياة كاملة مُقدَّسة بالإيمان.

والجديرُ بالذِّكر أنَّ ورود «أخنوخ» في رسالة يَهُوذا، كان له تَفْسيرات عَديدة في العصورِ المسيحية الأولى، منهم مَن لم يُعطه أهمية واضحة كـ «أغسطين» و«أوريجانوس» و«جيروم»، أمّا غيرهم فقد أعطوه أهميةً زائدة؛ كـ «جاستن» و«أثيناغوراس» و«إيرينيئوس» و«إكليمندس» السكندري، وبناءً على الاهتمام والتعمُّق الزائد استعاروا من قصة «أخنوخ» الاقتناع بفِكرة أن الملائكة تزوَّجوا بنات الإنسان فولدوا العمالقة في بادئ الأمر، كما ذكَرنا.

أما في المسيحية الحديثة؛ فنجدُ الكثيرَ من الكاثوليك لا يعترفون بأنه قديسٌ، بعكس الكنيسة الآرمنية التي تعترف بقدِّسيتِه، ويحتفلون بعيدٍ يُسمَّى: «عيد القِدِّيس أنس»، أما الكنيسة الإثيوبية؛ فتُكِنُّ له تَقديسًا وتَبجيلًا كبيرًا، وأدرَجت سفره غير القانوني كسِفر رابع عشر في كتابِهم المقدَّس.

من ناحية أخرى، اعتبره بعض المبشرين الإنجيليين أحدَ الشاهدَيْن المذكورَيْن في «سفر الرؤيا»؛ الذَين سيدعوهما الله كشاهدين له في الأيام الأخيرة[232]، حيث افترضوا أنهما: «أخنوخ» و«إيليا»، (وإيليا يُعتَقد أنه إلياس في الإسلام)، بينما هناك أراء تفسيرية تُعارض ذلك، وتقول: سيكونا «موسى» و«إيليا».

❊ ❊ ❊

المورمون: هي مجموعة دينية وثقافية تَنسُب نفسَها للمسيحية دون قبولِ المسيحيين المعتدلين ذلك، اشترك هؤلاء على اعتناق «الديانة المورمونية»؛ التي بدأها الأمريكي «جوزيف سميث» في شمال نيويورك؛ خلال أواسط القرن التاسع عشر، وغالبية هذه الطائفة أعضاء في «كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة» حاليًّا؛ وقِلة قليلة منهم أعضاء في الكنائس المستقلة الأخرى، وتُعتبر هذه الطائفة نفسها جزءًا من الديانة المسيحية، رغم اعتراض بعض المسيحيين.

يستند أعضاء «كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة» في مُعتقدهم؛ على أن شخصيةَ «مورمون» المُلقبّين على اسمه؛ كان نبيًّا ومؤرخًا وعضوًا في قبيلة من الأمريكيين الأصليين تُعرف باسم «النافيين»، وهي إحدى المجموعات الأربع؛ إلى جانب (اللامانيين واليارديين والموليكيتيين) المذكورين في كتابهم المقدس: «كتاب مورمون».

● يحي بن زكريا هاجر إلى أمريكا

يصفُ النافيون أنفسهم بأنهم ينحدرون من الشخصية «نافي»، ابنِ النبيِّ «يحي» (في الإسلام) أو «يوحنا المعمدان» (في المسيحية)، ويدَّعي هؤلاء أنه هاجر من القدس – بناءً على طلب من الله – في حوالي عام ٦٠٠ قبل الميلاد، وسافر مع عائلته إلى نصف الكرة الغربي بعد عَناءِ طويل، حتى وصل إلى الأمريكتين حوالي عام ٥٨٩ قبل الميلاد، أي إن رحلته عَانَت إحدى عشرة سنة، ويُشير «كتاب مورمون» إلى أن النافيين كانوا في البداية أشخاصًا أبرارًا، لكن في النهاية تبدَّلت طِباعهم، وسقَطوا في حالة من الكُفر والشَّر والفساد الفظيع[233]؛ لذا استحقوا تسليط اللامانيون عليهم من الرب، فدمّروهم وسحَقوا غالبيتهم في حوالي عام ٣٨٥ م .

● انقسام الطائفة

بعد وفاة مبشر الديانة الأول «جوزيف سميث» عام ١٨٤٤ م؛ انقسمت الحركة إلى عدة مجموعات تتبع قادة مختلفين، لكن في نهاية المطاف اندمَج معظمُ هذه المجموعات الصغيرة في «جماعة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة»، وهي طائفة كبيرة حاليًّا، ومنذ عام ٢٠١٨ م؛ أكّدت هذه الطائفة على رغبتها في الإشارة إلى أعضائها باسم «أعضاء كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة»، أو ببساطة باسم: « قديسي الأيام الأخيرة»، بدلًا من المورمونين[234].

لِهَذه الجماعةِ أربعة كُتبٍ مقدَّسة تسمى بـ «الأعمال القياسية»، وهي الكُتب الأربعة التي تشكل حاليًّا قانونها الكِتابي المفتوح.

● كتب المورمونين المقدسة

١- نسخة الملك جيمس المعتمدة: باعتبارها النص الكتابي الرسمي للكتاب المقدس لديهم.
٢- كتاب مورمون: المترجم منذ عام ١٩٨١ م؛ باسم «عهد آخر ليسوع المسيح».
٣- كتاب المبادئ والعهود.
٤- اللؤلؤة ذات الثمن العظيم ويحتوي على:
(كتاب موسى ، كتاب إبراهيم ، جوزيف سميث - متَّى ، جوزيف سميث - التاريخ ، ومبادئ الإيمان).

- **أخنوخ في اللؤلؤة**

ورد في مجموعة «اللؤلؤة ذات الثمن العظيم»؛ أن «أخنوخ» واحدٌ من الأنبياء السبعة القُدماء الذين ظهروا قبل المسيح، وتم وصفه بأنه «رجل عظيمٌ وبارٌّ»؛ و«نبيٌّ عظيمٌ»[235]؛ لذلك «أُخذ من أمام الناس ولم يَذُقِ الموتَ»[236].

- **أخنوخ في المبادئ والعهود**

تُشير مجموعة «المبادئ والعهود» - كباقي كُتب «المورمونية» - إلى أن «أخنوخ» كان قِدِّيسًا وَرِعًا، لم يَمُتْ، بل رُفع إلى السماء حيًّا بسبب تقواه وإيمانه[237]، وأن «أخنوخ» تنبَّأ أن من نَسْله سيخرج رجلٌ اسمُه «نوح»، وسيُرسِل الربُّ لقومه طوفانًا كبيرًا، لكنه سينجوا مع عائلته والفئة الصالحة، ثم يحفظ الجنس البشري من الهلاك، ويحفظ معه الكِتابَ المقدَّس.

- **أخنوخ في كتاب موسى**

من بين مجموعة كُتبهم المعروفة بـ «اللؤلؤة الثمينة»؛ يتضمّن «كتاب موسى» فصولًا تَصِف صلاح «أخنوخ»، وتوضِّح رؤاه ومُحادثاته مع الله، وحال الدنيا في زمانه؛ حيث ذُكِر أن أيّامه كانت ملئية بالصراعات والحروب والكوارث الطبيعية، وقام الكِتابُ بوصف معجزات «أخنوخ» وسِمَاته الخارقةِ في ظل هذه الظروف الصعبة، كذلك ذَكَر أنَّ «أخنوخَ» قام بترجمة لغة «آدم» الأصلية، والتي فُقدت بعد «طوفان نوح»[238].

وفي مواضعَ أُخرى من نفس الكِتاب؛ ذُكِر أنّ: «أخنوخ» تلقَّى رؤى مِن الله أظهرت له المُستقبل، بما في ذلك مجيء المسيح وسقوط بابلَ، وكذلك وسقوط العالم[239].

والجديرُ بالذكر؛ يرَى الكثيرُ من العلماء أن «كِتاب موسى» هذا؛ مُقتبَس من ترجمة «جوزيف سميث» للكتاب المقدَّس، والتي تم نشرها كاملةً مع هذه الفصول المتعلقة بـ «أخنوخ»؛ بواسطة «جماعة المسيح».

أخنوخ باني مدينة صهيون

ذُكر في «المبادئ والعهود» وأعمالهم القياسية جميعها: أن «أخنوخ» قامَ بتأسيس مدينة صالحة لم يأت مثيلُها في التاريخ، تُسمَّى «مدينة صهيون»، كانت في زمانها مدينة استثنائية في الأرض، وقفت شامخةً فاضلةً وسط عالم شِرِّير؛ امتلأ بالفَساد من حولِها، بينما يُضيف كتاب «المبادئ والعهود» فقط: بأنَّ أخنوخَ لم يكن وحده

وَرِعًا، بل إن سُكان صهيون جميعهم كانوا صالحين، رُفِعوا جنبًا إلى جنبٍ مع «أخنوخ» إلى السماء بسببِ تقواهم، وتم نقلهم جميعًا إلى السماء دون أن يمروا بالموت[240].

وهم يرون أن «مدينة صهيون» ستعودُ إلى الأرض بعد المجيء الثاني لـ «يسوع»، في تشابُهٍ لِمَا ذكَره «كتاب موسى»: أن «أخنوخ» سيلعب دورًا هامًّا في خُطَّة الله للخلاص، حيث سيعود إلى الأرض لجمع «أبناء صهيون» ويساعد في تأسيس مدينة صهيون الجديدة على الأرض[241].

وهذا توضيحٌ لمن يبحثون عن تبريرٍ؛ لمساعدةِ الأمريكان المورمونيون؛ المعروفون حاليًّا بجماعة «كنيسة يسوع المسيح لقدِّيسي الأيام الأخيرة»؛ للكيان الصهيوني من أجل هدم «المسجد الأقصى» وبناء «الهيكل المزعوم» بكل ما أوتوا من قوة.

الغريبُ في الأمرِ؛ إشارة كِتابِهم «المبادئ والعهود» في موضعٍ آخرَ إلى الشخصية المعروفة ببنائِها لمدينة «أورشليم»؛ أو كما يسمونها «مدينة صهيون» على أنه الملك اليبوسي العظيم ورئيس الكهنة «ملكي صادق أو ملكيصادق»، وتحديدًا في المادة ١١٩[242]، وهذا يُظهِر تناقضًا واضحًا بين نصوصهم، فأيّ منهم بنَى أورشليم في مُعتقدهم؟

«أخنوخ» أم «ملكيصادق»؟

بعد انتقادهم؛ ردّوا بأنّ «ملكيصادق» مجرد ملك وليس مؤسِّس، وأن تفسيرَ الآية غيرُ صحيحٍ.

### آدم وحواء هبطوا بأمريكا

ذَكَر «المبادئ والعهود»: أن «آدمَ» رفع «أخنوخ» إلى مرتبة الكاهن الأعظم في سن الخامسة عشرة، وباركه في سن السادسة والخمسين، وعاش حتى سن أربعمائة وثلاثين سنة؛ ثم رُفع إلى السماء، كما ذكر نفس الكِتَاب أن «أخنوخ» هو الكاتب الذي سجَّل بركات «آدم» ونبوته في معبد «آدم - أوندي- أهمان»، في مقاطعة «ديفيز» بالولايات المتحدة الأمريكية الآن، وبحسب مُعتقدهم، هُوَ الموقعُ الذي عاش فيه «آدم» و«حواء» بعد طردهما من «جنة عدنٍ»، أي إن «الجبل المقدَّس» كان بالولايات المتحدة الأمريكية! وكذلك يَزْعمون أن هذا المكان سيكون مقر تجمع قيادة الكهنة، بما في ذلك الأنبياء جميعهم؛ ومعهم الصالحين والأبرار، قبل المجيء الثاني لـ «يسوع المسيح»[243]!

***

## ٨ - نبوة أخنوخ في الثيوصوفيا

«الثيوصوفيا» ليست ديانة توحيدية أو طائفة متفرعة من اليهودية والمسيحية، ووجودها في هذا الفصل سببُه أنَّها آمنت بـ «أخنوخ» الكتابي؛ بنفس المسمَّى والصفات.

«الثيوصوفيا» مُصطلحٌ دينيٌّ فلسفيٌّ قديمٌ؛ ظهَر بشكله الكلاسيكي الأول على شكل ممارسات وتأملات روحية في الشرق الأقصى القديم بشكل خاص[244]، وقد طُرِح هذا المُصطلح لأوَّل مرة في العصر الهلنستي

على يدِ «أمونيوس الصقاس» مؤسِّس الأفلاطونية الحديثة.

● تأسيس الدِّيانة الحديثة

ظلَّت هذه الفلسفةُ الدينية تُمارَس في الجمعيات الباطنية والسِّرية لقرونٍ، حتى تم تأسيسها في الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر؛ على يدِ الثيوصوفية والمؤلِّفة الروسية الأمريكية «هيلينا بلافاتسكي» التي شاركت في تأسيس الجمعية الثيوصوفية في عام ١٨٧٥ م، واكتسبت متابعة دولية باعتبارها المُنظِّر الرائد للثيوصوفيا، والواضع لمبادئ الحكمة الأزلية.

استمدت العقيدة تعاليمها غالبًا من كتابات «بلافاتسكي»، وقد تم تصنيف هذه العقيدة من قِبَل عُلماء الدين على أنّها حركةٌ دينيةٌ مستحدثةٌ، كجزءٍ من التيار السحري للباطنية الغربية الذي ظهر آنذاكَ، وهي تعتمِد على الفلسفات الأوروبية القديمة مثل الأفلاطونية الحديثة، مع الديانات هندية المنشأ: مثل الهندوسية والبوذية[245].

ترى «بلافاتسكي»؛ أن الأديان رغم اختلافها في الشكل؛ جوهرها واحدٌ، وتنبَثِق من الحقيقة الإلهية الواحدة، وأن ثمةَ أنبياء أوائل حملوا لاهوتًا واحدًا قديمًا؛ وهوَ «لاهوت بريسكا»؛ الذي يتخلّل جميع الأديان، والذي أعطاه الله للبشر الأوائل قديمًا[246] - وسنشرحه أكثر في الفصل القادم - ونعَتت «بلافاتسكي» الثيوصوفيا بـ «دين الحِكمة»، على الرغم من أنها صرَّحت قبل ذلك بأن الثيوصوفيا لا علاقة لها بدينٍ محدَّد.

ويرى أتباعها أن هناكَ أخوية قديمة وسرية من الخبراء الروحيين المعروفين باسم السادة، الذين - على الرغم من وجودهم في جميع أنحاء العالم - قالوا إنهم يتمَركَزونَ في مِنطقةِ التِّبت في الجُزء الأوسط من شرق آسيا، ويؤمنون بأن هؤلاء الأساتذة اكتسَبوا حِكمة عظيمة وقوَى خارقة للطبيعة، ويعتقد «الثيوصوفيون الجُدد» أنهم هم الذين بدءوا الحركة الثيوصوفية الحديثة؛ من خلال إرسال «هيلينا بلافاتسكي» بالتبشير، وهم يؤمنون بأنَّ هؤلاء الأساتذة يحاولون إحياء المعرفة ونشرها؛ من خلال دينٍ قديم كان موجودًا في جميعِ أنحاء العالم في القِدَم، ومِن ثَم سيأتي مرة أخرى ليطغَّي على الأديان العالمية الموجودة في العصر الحديث[247]، ويعلنون أن الثيوصوفيا هي الإيمان بوجود مطلق إلهي واحدٍ، وأنَّ هذا يشجِّع علم الكون الانبثاقي؛ الذي يُنظر فيه إلى الكون على أنه انعكاسات خارجية من هذا المطلق.

كما يعلنون أن الغرَض من حياة الإنسان هو التحرُّر الروحي، ويؤمنون بأن النفس البشرية تخضَع للتناسُخ عندَ الموت الجسدي؛ أي إن روحَ الميت بعدَ أن تُغادرها تنطلق في العالم الروحاني؛ ثم تظهر في مولود جديد؛ وهو ما تكرر في الأسفار المحظورة - وسنشرحه أيضًا باستفاضة في الفصل القادم - وهذا في مُعتقَدهم يعزِّز قيم الأخوة العالمية والتحسين الاجتماعي، على الرغم من أن عقيدَتَهم لم تطرَح نصوصًا أو قواعد أخلاقية معينة؛ أو تعاليم وضوابط واجبة الاتِّباع.

● أخنوخ في الثيوصوفيا

يُنظر إلى «أخنوخ» في الثيوصوفية على أنه كائن متقدِّم روحيًّا؛ قدَّم تعاليمَ قيمةً حولَ الروحانيات والحياة، وتميَّز بالتقوى والحكمة؛ وعاش حياة استثنائية كنبيٍّ لـ «اللاهوت القديم»، مما سمَح له بالتواصل مع الملائكة والوصول إلى المعرفة الإلهية، ومن صلاحه؛ أنه استغل سِماته لنَشر رسالة الحب والوحدة بين البشر، ويُعتقد أنه لعب دورًا محوريًّا في الحفاظ على المعرفة المقدَّسة؛ ونقلها إلى الأجيال القادمة.

يعترف هؤلاء بـ «سفر أخنوخ الأول» المحظور، كما يتدول «الثيوصوفيون» قصةَ صعوده إلى السماء؛ ويؤمنون برَفْعه جسديًّا؛ مما يرمُز إلى قُدرته على التغلب على الموت والوصول إلى مستوًى أعلى من الوجود؛ لذلك هو بالنسبة لهم؛ رمزٌ للتحوُّل الروحيِّ والوصول إلى الوعي الأعلى، وعدُّوه المُلهم الأول للذين يسعون إلى التطور الروحي والارتقاء بوعيهم.

وبحسب مؤسِّسةِ هذه العقيدة الباطنية «هيلينا بلافاتسكي»، فإن «أخنوخَ» الكتابي هو «هرمس»[248]، هو نفسه «السيد الأكبر ومؤسِّس الماسونية الأول»[249].

وبهذا الشكل؛ «الثيوصوفية» هي نقطة انتقالنا من رؤية «أخنوخ» في الشرائع اليهودية والمسيحية، ودخولنا لرؤيته الجديدة كـ «هرمس» الذي يؤمن به الماسونية، والطوائف السرية الباطنية والسحرية، فهيا بنا نخوض هذا العالم.

***

# الفصل الرابع

## هرمس

«هرمس الهرامسة» أو «مثلَّث العَظَمة»: هي شخصيةٌ ليس لها وجودٌ ملموسٌ، ولم يقف التاريخ على توضيحها بالضبط؛ لذا تُعدُّ لدَى الكثيرين شخصية أسطورية، أطلق عليه القدماء لقب «صاحب ثلاث العَظَمة» (باليونانية: طريس - ميجيسطيس).

وفسَّر البعضُ سبب هذا الاسم أنَّه أوّل مَن وصَف اللهَ بثلاثِ صفاتٍ ذاتيةٍ هي: الوجودُ - والحِكمةُ - والحياةُ.

بينما فسَّر آخرون أنه لقب سببه تحلِّيه بثلاثِ صفاتٍ عِظام؛ وهي: النبوةُ - والمُلكُ - والحِكمة، وأنه طاف العالم القديم ليُعلِّم الناس الحِكمة؛ حيث ذَكَر «ديودور الصِّقِلِّي» أن «هرمسَ» كان له دورٌ بارزٌ في تحديد الكلمات والمسَمَّيات للأشياء التي لم يَكُن لها أسماء، وقال إنه أوّل مَن علَّم الناس الكِتابة والهجاء، ودراسة حركة النجوم، وعلَّم الناسَ عبادة الإله والتضحية، ووصفه بأنه «أبو البيان»؛ لذلك عرفه الناس بأسماء عدَّة بحسَب كلِّ ثقافةٍ ولغتِها.

بينما قال آخرون: إن سبب الاسم تجلِّياته الثلاثة؛ لأنه ظهَر في ثلاثة تُراثيات كُبرى؛ بثلاث تجلِّيات وهي: «أخنوخ» و«إدريس» و«إرميس».

اشتهر «هرمس» بكونه إلهًا ونبيًّا للتقليد الديني الباطني الفلسفي المعروف بـ «الهرمسية»، وهذا التقليد بمثابة دِيانةٍ مُستقاة من «كتبٍ منحولةٍ» تُنسب إلى «هرمس»؛ على رأسهم كتاب «متنون هرمس»، والكتاب المنحول أو (السوديبجرافا) هو مصطلحٌ يتمُّ إطلاقُه على أي كتابٍ منسوبٍ لمؤلِّفٍ غيرِ مؤلِّفِه الحقيقيِّ، أو قام مؤلفه الحقيقيّ بنسبه إلى شخصٍ من الماضي، وقد اقتَرح البعضُ أن «متون هِرْمس» هي كذلك.

هذه المُتون بمثابة دستور عقلاني؛ تحمِل في طَياتِها مجموعة حِكم يونانية - مصرية، وتتناول مواضيع حياتية وفلسفية، وهي أساسُ الفِكر الدِّيني المسمّى بالهرمسي، الذي يتدبَّر طبيعة الله والكون والفكر والطبيعة، وقد جمَعت الحِكمُ المنسوبة إليه بين المعرفة بالعالمين المادي والروحي؛ لذلك أصبح لها أنصار على مرِّ السِّنين؛ ممن يزعمون أنهم مهتمون بالعلاقة المُتبادلة بين الكيان المادي والكيان الإلهي[250]، وفي السطور التالية سنتعرّف على «هرمس» ومتونهِ ونصوصِه الدينية والفلسفة الدينية المنسوبة إليه.

تتنوع النظريات التي تُعرِّف «هرمس» الغامض؛ فلَه ثلاثةُ تعريفات: واحدة تاريخية، والثانية دينية، والثالثة أُسطورية.

النظرية التاريخية

لم يجتمع المؤرخون على رأيٍ موحَّدٍ في كَوْنيةِ شخصية «هرمس» من عدمها؛ فلـ «هرمس» ثلاثة وُصُوفٍ في النظرية التاريخية، ولا يُعرَف إلى الآن مَن فيهم صاحب الوصف الحقيقيِّ:

- **الوصف الأول**

يقول: إنه عاشَ مع القُدماء المصريين الأوائل قبلَ قيام حضارتهم الضخمة، ويقول إن «هرمس» كان قديمًا يسكُن بصعيدِ مصر الأعلى، وهو أوّل شخص قد تكلم في الجواهر العُلوية، وأنه في زمانه السَّحيق كان يحذِّر الناسَ من طوفانٍ قادمٍ سيأتِي في أمَّةٍ بعدَه، وأنه كان عاشقًا للعلوم وخائفًا من ذهابها، وأنه أول من خطَّ الثِّياب، وأنه المُدرس الأول للحِرَف والصَّنائِع، وأنه من علَّمهم إقامة المُدن وبناء الأهرام؛ حيث بنَى لهم مائة وثمانين مدينة؛ وصور فيها جميع الصناعات والآلات، ودوَّنَ عليها كافة العلومِ حتى لا تُنسى مع الزمن؛ بغرض أن يتوارثها القادمون، ورسَم فيها طبقات العلوم حرصًا منه على تخليدِها لمن بعده، وهو أول من علَّم الناس عبادةَ الله والصوم والصلاة والزكاة؛ وتقديم القرابين للربِّ من كل الفاكهة والذبائح والطيب، وهو من حرَّم السُّكْرَ وأكْلَ النجاسة، كما ذكَر المقرِيزي وغيره في هذا الخط، والذي سنذكُره باستفاضةٍ في فصل نبي مصر التالي.

- **الوصف الثاني**

مَصْدرُه البابليونَ؛ الذين قالوا: إن «هرمسَ» أصلًا كان يعيشُ في «بابلَ» قبلَ قيام حضارتهم، وهو الذي علَّمهم نفسَ الأشياء التي ذُكِرت.

بينما يقول الباحث العراقى في علم الأديان المقارن «خزعل الماجدي»: إن «هرمسَ البابليَّ» هذا؛ عاش قبل الطوفان أو بعدَه بقليلٍ، وهذا يعنِي أنّه لم يكن بابليًّا، بل كان سومريًّا؛ لأن جميع المصادر العربية القديمة لم تُدرك أو تعرِف سومرَ التي زالت من الوجود حوالي ٢٠٠٦ ق.م؛ واندثَر اسْمُها تمامًا ولم تكشف عنه إلا الحفريات الحديثة؛ لذلك يرَى أنَّ «هرمسَ» الذي تُشير إليه المصادر القديمة قبل الطوفان؛ هو سومريِّ الأصلِ ولا يمكن أن يكون بابليًّا؛ لأن بابلَ لم تكُن قد وُجِدت قبل الطوفان، وقد ذكَر في كتابه «أنبياء سومريون» أن أخنوخَ كان ملكًا من ملوكِ سومر العشرة الأوائل في زمان ما قبل الطوفان(251).

- **الوصف الثالث**

يقول بأنَّه حكيمٌ سَكَندريٌّ - يوناني، كان يُدعَى: «هِرمس المِصري» أو «هرمس السَّكَندري»، الذي يسمّى»أر - ميس»، وقالوا إنه حكِيم عاش في الإسكندرية خلال العصر الهلنستي، (أي الفترة التي أعقبَت غزو الإسكندر الأكبر للعالم القديم)، وكان فيلسوفًا قديمًا من فلاسفة القرن الثالث الميلادي، وأنّه اشتُهِر بمعرفته الواسعة في مجالات متعددة مثل: الفلك والكيمياء والطب والسحر، ويُعتقد أنه قام بتأليف العديد من الكُتب التي عُرفَت باسم «متون هرمس»؛ التي جمَعها من علوم مصر المُضيئة آنذاك.

النظرية الدينية

النظرية الدينية؛ تربِط شخصية «هرمس» بـ «إينوك» - أو «خنوخ» أو بالعربية «أخنوخ» في الكِتاب المقدَّس، و«إدريسَ» في القرآنِ الكَريم - وأن جميعَهم كِيانٌ واحدٌ؛ وكذلك الأمر في مُعتقدات أُخرى كالبهائية، كما يُنسب إلى «إدريس» كتابة العديد من الصحف والمعارف، وهو ما يتوافقُ مع محتوى «متون هرمس»، وتتميز هذه المتون بأسلوبها الغامض والمُعقَّد، مما يجعلها صعبة الفهم والتفسير.

● هرمِس نبيٌّ:

اعتبر العديدُ من الكُتّابِ المَسيحيين، مثلَ «لاكتانتيوس» و«أوغسطينوس» و«مارسيليو فيسينو» وغيرهم، أنَّ «هرمسَ» نبيًّا وثنيًّا حكيمًا تنبّأ بمجيء المَسيحية[252].

أساسُ هذا الاعتقادِ: هو اللاهوتُ القديمُ؛ «لاهوتُ بريسكا»، صاحب المذهب الذي يؤكِّد على وجود (لاهوتٍ واحدٍ حقيقيٍّ) يتخلَّل جميعَ الأديانِ، والذي أعطاه الله للبَشَر الأوائل قديمًا[253]، فمِن وِجْهة نظَرهم؛ أعطَى اللهُ هذا اللاهوت للإنسان في العصور القديمة، وأنَّه مرَّ عبْرَ سلسلة من الأنبياء؛ بما في ذلك «هرمس»، ورأى بعضُ المفكرين المسيحيين أن تعاليم «هرمس» تتوافَق مع بعضِ تعاليم المسيحية، مثل وجود إلهٍ واحدٍ وخلود الروح؛ لذلك اعتقد البعضُ أن «هرمس» كان مُعاصرًا لنبي الله «موسى» [254]عليه السلام، بينما رأى آخرونَ أنه هو نفسه «أخنوخ» (أو إدريس)[255].

بهذا الشكلِ؛ اعْتَبَره البعضُ نبيًّا حكيمًا في زمن الوثنية؛ حيثُ تنبَّأ بمجيء المسيحية، وبطوا ذلك مع ما ذكَره «بولوس الرسول» عن «أخنوخ»، كذلك بالنظر لـموسوعة «سودا» البيزنطية المسيحية[256]؛ ستجدُ تفسيرًا مثيرًا يقول: إن «هرمس» هذا لُقِّب بالمُثلث؛ بسببِ مَدْحِه للثالوثِ المقدَّس، حيثُ ذكَر أنّ: «هناك طبيعةً إلهيةً واحدةً في الثالوثِ»[257].

من ناحيةٍ أخرى، يعتقِدُ اليَسوعيُّ الفرنسيُّ الذي أُرسِل إلى الصين من أجل التبشير بالقرن الثامن عشر؛ «يواكيم بوفيه»، أن «هرمسَ» و«زرادَشت» والبطل الثقافيّ الصيني «فوكسي» كانوا جميعهم في الواقع: البطريرك الكتابي «أخنوخ»[258].

النظرية الأسطورية

بسبب النَّسيج الأُسطوري لشخصية «هرمس»؛ يرى الكثيرونَ أنَّها مجرد شخصيةٍ أسطورية؛ تمَّ مزجها من نسيج ثقافات وحضارات مختلفة، حيثُ جُمِعت الصفات الأسطورية من كلِّ ثقافةٍ ودُمِجَت في نَسِيج واحدٍ، كـ «ميركوريوس» عند الرومان و«فينتا» عند السلتيك، وغيرهم من أساطير كل أمة، إذ اشتركت هذه الشخصيات مع «هرمس» في بعضِ الخصائص، مثل الحِكْمة والمعرفة والسِّحر والارتباط بالعالم الآخر.

بينما يرَى آخرونَ؛ أنّها خليطٌ لنسيج مصري يوناني فقط، فقصةُ «هرمس» الأسطورية تتشابه بشكلٍ تامٍّ مع صفات إلهين؛ الإله اليوناني «هيرميس»، والإله المصري «تحوت»[259]، وبعد البحث وجَدوا أن بينَهما صلات وثِيقَة[260].

● الإله هيرميس اليوناني

«هرمس» أو «هرميس» أو «هيرميس»؛ من الآلهة الأوليمبية في الديانة اليونانية القديمة، وفي أساطير الإغريق هو رسولُ الآلهة الإغريق، وإله البحّارة والتجار والمسافرين[261]، والرياضيين؛ والرعاة؛

والسرعة؛ والمكر؛ واللغة؛ والخطابة؛ والذكاء؛ والرسائل، وعضو في الاثني عشر أولمبيًّا؛ وثاني أصغر آلهة الأوليمب[262].

هو ابنُ إله السماء والبرق والرعد والقانون والنظام والعدالة؛ الإله الإغريقي: «زيوس» وأمه هي: «مايا» بنت الإله: «أطلس»؛ حامل قبّة السماء على كَتِفَيْه، ابن العملاق: «إيبتوس» والحورية: «كلايموني» أو ربما الحورية: «آسيا»[263].

كان «هرميس» رسولًا لأبيه «زيوس»، ويمتلِكُ قُدرةً خارقة على التجوُّل بسُرعة وحرية بين عوالم البشر وعوالم الآلهة، عن طريق الارتفاع والطيران بصَنْدله المُجنَّح، وكان يرتدي قبَّعة مُجنَّحة كذلك، ويحمل عصًا ذهبية سحرية يلتفُّ حولها ثعبانين؛ ويترأس العصا جناحان، وتسمَّى العصا «القادوسيوس»، وكان يُعتقدُ أنه يمتلِكُ قوى سِحرية على النوم والأحلام، ينقل «هرميس» أرواح الموتى إلى العالم السفلي؛ حيث كان مرشدًا للأرواح في طريقها إلى الحياة الأخرى[264].

رغم صفاته الحميدة المذكورة في الأساطير؛ يُذكَر أنه كان نِدًّا في عدواته مع مخاصميه، فذكَرتِ الأساطيرُ أنه كان ماكرًا وسارقًا ومحتالًا، ففي يوم ولادته سرق قطيعًا من أبقارِ أخيه الإله «أبولو» إله الشمس، وأخفى أثرهُ بإجبار الأبقار على المَشي عكس مجراهم[265].

من المحتمل أن يكونَ «هرميس» إلهًا منذُ ما قَبلَ الهيلينية؛ على الرغم من أن الأصول الدقيقة لعبادته وطبيعتها الأصلية لا تزال غامضة وغير واضحة حتى الآن.

● الإله تحوت المصري

«تحوت» أو «توت» هو إلهٌ مصريٌّ قديمٌ؛ بجسَد إنسانٍ ورأسِ أبو مِنْجلٍ، أحد أرباب «ثامون الأشمونين الكوني»، وهو إله: القمر والحِكْمة والمَعرفة والكِتابة والهيروغليفية، والعِلم والسِّحر والفَن، وهو زوجُ «ماعت»، إلهة: التوازن والنظام والانسجام، والقانون والأخلاق والعدالة، ومُنظِّمة النجوم والفصول وأفعال البشر والآلهة؛ الذين جلَبوا النظام من الفوضَى في لحظة الخلق[266].

آمَن قدماء المصريين بأنَّ الإله «تحوت» هو الذي علَّمهم الكِتابة والحساب؛ بصفته كاتب الآلهة، وهو يصَوَّر دائمًا ماسكًا قلمًا ولوحًا يكتُب عليه، وقد لعب «تحوت» أدوارًا بارزة واستثنائية في أساطير الأدوار الحيوية والبارزة في المصرية القديمة، فهو صاحب الحسابات لتكوين السماء والنجوم والأرض، ومن مهماته الحفاظ على الكَوْن، وفي أُسطورة «أوزوريس»؛ ألقَى «الإله» تحوت إلى «إيزيس» الكلمات اللازمة لاستعادة زوجها، مما سمَح للزوجين بالحمل بـ «حورس»، كذلك تم اعتباره أحد الإلهين (الآخر هو ماعت زوجته) اللذين وقفَا على جانبي «مركَب رع الشمسي»[267]، وفي تاريخ مصر القديمة اللاحق، أصبح «تحوت» مرتبطًا بشكلٍ كبير بالتحكيم في النزاعات الإلهية[268]، وفنون السِّحر، ونظام الكتابة، ومحكمة الموتى[269].

أمَّا عن دَوْره في «محكمة الموتى» تقول الأسطورة: إنّ الميتَ يؤتى به بعد البعث لإجراء عملية وزن لقلبِه

أمام ريشة الحق «ماعت»؛ ويتمثّل دور «تحوت» في تسجيل نتيجة المِيزان، وتقولُ الأسطورة: إذا كان قلبُ الميت أثقل من «ماعت» ريشة الحق - فيكون من المخطئين العاصين - يُلقى بقلبِه إلى أنثى وحش مفترسة تخيُّلية لتلتَهمه؛ اسمها «عممعموت» (أو أمِّت أو أمُّت أو عميمة) - آكلة الموتَى في الأساطير المصرية القديمة - حتى ينتهي المُذنب نهاية أبدية لا بَعْث بعدها، أما إذا كان القلب أخفّ من ريشة الحق «ماعت»، فهنيئًا له، فسيسوقوه إلى الجنة الخالدة؛ وسيستقبله «أوزوريس» على بابها[270].

● أوجه التشابه بين هرميس وتحوت

تشابه الإلهان في سمات عديدة، أبرزها:

**الوظائف**: اعتُبر كلٌّ من «هرميس اليوناني» و«تُحوت المِصري» آلهةً ذات وظائف مُتشابهة، فالاثنان ارتبطا بالوساطة الإلهية والمعرفة والسِّحر، وغيرهم من المتشابهات.

**الرمزية**: تمّ تمثيل كل من «هرميس» و«تحوت» برموز مُتشابهة، مثل العصا المجنَّحة والقَلَم واللوح.

**التبجيل**: حَظِي كلٌّ من «هرميس» و«تحوت» بتبجيلٍ كبيرٍ من قِبَل أتباعهم، حيث اعتبروهم مصدرًا للحِكمة والمعرفة؛ وإرشاد الموتى والوساطة بين البشر والآلهة.

● دمج الإلهين في إله واحد

بناءً على كل هذه المتشابهات؛ اعترف اليونانيون في المملكة البطلمية بمصر؛ بتكافؤ «هرميس» و«تحوت» من خلال التفسير اليوناني، وأعلَنوا أن «تحوت» هو النظير المصري لـ «هرميس»[271]، وتمّ دمجهما في إلهٍ واحد، ثم دمجوا الأساطير والطقوس الخاصة بكلٍّ منهما، وعبَدوا الإلهين كواحدٍ، فيما كان يُعرف ب «معبد تحوت» في خيمينو، والذي عُرف في العصر الهلنستي باسم «هيرموبوليس»[272]، ومكانه الحاليّ قرية الأشمونين - مركز ملَّوى - بمحافظة المنيا المصرية، وأصبح اسم الإلهين بعد الدمج في إله واحد: «هيرميس تريسميجيستوس».

ومن يومها نشأت فلسفة جديدة مُدمجة من الثقافتين؛ عُرِفت باسم «الهرمسية»، التي ركَّزت على العلاقة بين العالم المادي والعالم الروحي.

***

٢ - الديانة الهرمسية الباطنية

توارثَ الأبناءُ هذه الديانة؛ كواحدةٍ من الديانات الوثنية المُنتشرة، وظهرت «الهرمسية» بشكلها المكتمل منذ العصور القديمة المتأخِّرة[273]؛ وأصبحت ديانة متبَعة بالتوازي مع المسيحية المبكّرة، والغنوصية، والأفلاطونية الحديثة، والأقوال الكلدانية، والأدب الأُورفي والفيثاغوري المُتأخر[274]، لكن أفِلَ نَجْمُها مع انتشار المسيحية وتعميمها، خاصةً بعد اعتراف «قسطنطين الكبير» لها كديانةٍ رسمية لعموم الإمبراطورية

الرومانية، ثُم تمَّ قمع أصحاب الدين الوثني القديم بعد ذلك، وهناكَ مزاعم هرمسية تقول: إن الكثير من النصوص الهرمسية حُرِقت في حرائق «مكتبة الإسكندرية القديمة»، خاصةً في أحداث ٣٩١ م؛ عندَما أمَر آخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية الموحّدة قبل أن تنقسم إلى شطرين بعد وفاته؛ الإمبراطور المسيحي المتدين: «ثيودوسيوس الأول» بتدمير الكتب الوثنية؛ وكذلك معابدها ومذابحها؛ أثناء اضطهاده للديانات الوثنية القديمة[275].

● في العصور الوسطى

بعد أكثر من قرنٍ من الأفول؛ بزَغَت الهرمسية مجددًا، بعدما تم الكشف عن بعض المقتطفات لنصوص قديمة تتحدث عن «هرمس» وحِكمته وعلومه، وكان القرن الخامس هو ذِرْوة هذا الانفتاح، عندما جمع «جوان ستوبايوس» أو (جون ستوبي) بمقدونيا؛ أكبر مجموعة تم تصنيفها على الإطلاق من الأقوال المنسوبة إلى الفلاسفة والأدباء اليونانيين، وهذا الجمع الهائل يحتوي على مختارات ضخمة من الأدب اليوناني الشعري والبلاغي والتاريخي والفلسفي، ومن بين مقتطفات الأدب الفلسفي القديم التي احتفظ بها «ستوبايوس» أيضًا؛ عدد كبير من الخطابات والحوارات المنسوبة إلى الإله المُدمج «هيرميس تريسميجيستوس»[276]، لتجد النصوص الهرمسية المُكتَشفة شَغفًا واضحًا تُجاهَها.

تم تقسيم العمل الذي جمعه «ستوبايوس» في الأصل إلى مجلّدين؛ يحتوي كلٌّ منهما على كتابين، وتُشير الطبعات الحديثة الآن إلى كِلَا المجلدين باسم «المختارات»؛ تحتوي المختارات على مُقتطفات من مئات الكُتَّاب، خاصة الشعراء والمؤرِّخين والخُطباء والفلاسفة والأطباء، وتتراوح الموضوعات بين الفلسفة الطبيعية، والجدلية، والأخلاق، والسياسة، والاقتصاد، ومبادئ الحكمة العملية، يحتفظ العمل بأجزاء للعديد من المؤلفين والأعمال التي قد تكون غير معروفة اليوم، وقد سميت باسم «مختارات ستوبايوس» بحسب تسمية الموسوعة البيزنطية المسيحية «سودا»، بينما أطلق عليها الباحث واللاهوتي القسطَنْطيني «فوتيوس» اسم: «النصائح والآداب المختارة».

رغم ذلك؛ لم تتمكن الهرمسية من مجابهة تيار المسيحية المنتشر، بالإضافة إلى التوسع والانتشار الإسلامي الهائل، خاصةً أن الكتابات الهرمسية القديمة كانت لا تزال مختفية منذ عهد الاضطهاد الوثني، باستثناء «مختارات ستوبايوس».

● في عصر النهضة

بعد قرونٍ من فقدان شَعبيته؛ أُعيد تقديم المذهب الهرمسي إلى الغرب؛ بعد ما أمر المصرفي والسياسي الإيطالي «كوزيمو دي ميديشي» - حاكم فلورنسا بعصر النهضة الإيطالية - أن يجوب عملائه بحثًا عن الكتابات القديمة المفقودة التي تتحدّث عن ذلك الإله القديم، وقاموا بعملية مسح كبيرة؛ شمِلت تفتيش الأديرة[277]، حتى نجح العملاء في مهمتهم بالفِعل، وأحضر رجل يُدعَى «ليوناردو دي»[278] في عام

١٤٦٠م؛ مجموعة «Corpus Hermeticum»، أو ما يُعرَف بـ «متون هرمس»، التي تحتوِي على ١٨ كتابًا يونانيًّا، يُنسب تأليفهم تقليديًّا إلى الشخصية الهلنستية المصرية الأسطورية «هيرميس تريسميجيستوس»، وانتشرت الهرمسية على نطاق واسعٍ، بعد تداول محتويات المتنون، وتفاعل روَّاد عصر النهضة مع الهرمسية على نطاق واسع، بسبب اعتقادهم أن «هرْمس» كان معاصرًا لـ «موسى» ﷺ، واهتم الكثيرون بالنصوص الهرمسية التي اكتُشفت، بسبب احتوائها على معلومات مُثيرة تخص مناقشات حول الكيمياء المغطاة بالاستعارة الفلسفية[279].

بعد أقل من قرنين؛ قام عالم اللغة السويسري «إسحاق كازاوبون»؛ بتحليل «متون هرمس» بحثًا عن الأسلوب اللغوي عام ١٦١٤ م، واستنتج بحثه أن الكتابات المُكتَشفة والمنسوبة إلى «هرمس»؛ لم تكن من عمل كاهن مصري قديم كما يظن جميع أتباع الهرمسية، ولكنها في الواقع ترجِع إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي[280]، لكن بعد أقل من أربعة وستون عامًا؛ وتحديدًا في عام ١٦٧٨م؛ ادّعَى «رالف كودورث» اكتشاف عيوب في تأريخ كازاوبون، حيث جادل بأن ادعاء كازاوبون بالتزوير لا يمكن تطبيقه إلّا على ثلاث من الأُطروحات الثمانية عشرة الواردة في « متون هرمس»؛ أما باقي الأُطروحات فجميعها قديمة، واتهمه بأنه تغاضَى عن الاعتراف بأن هذه الكتابات ربما كانت شفهية قديمة؛ لكنها دوِّنت في وقتٍ متأخرٍ؛ وأن هذا لا يعيبها، لكن رغم ذلك؛ تفاعل الكثيرون مع مزاعم «إسحاق كازاوبون» بأن الكتابات الهرمسية بنسبة كبيرة كُتبت بعد ظهور المسيحية، وبناءً على ذلك؛ انهارت هرمسية عصر النهضة بأكملها[281].

● في العصر الحديث

في عام ١٩٤٥م؛ تم العثور على نصوصٍ هرمسية بالقُرب من مدينة «نجع حمادي» بجمهورية مصر العربية، كان أحد هذه النصوص عبارة عن محادثة بين «هيرميس» والحكيم المصري «أسكليبيوس»، كذلك نصّ آخرَ مكتوب باللغة القبطية يحكِي عن مدارس الديانات والطوائف الغامضة[282].

يقول عالم اللاهوت الهولندي والمؤرِّخ المَسيحي والغنوصي: «جيل كيسبيل»، المتوفى عام ٢٠٠٦ م:

«من المؤكَّد أنه كان يوجد في الإسكندرية قبلَ بداية العصر المسيحي وبعده؛ جمعية سرية تشبه المحفل الماسوني، وكان أعضاء هذه الجماعة يُطلقون على أنفسهم اسم «الإخوة»، وقد تأسَّسوا من خلال «معمودية الرب»؛ استقبل الروح بعضهم بعضًا بقبلة مقدّسة، واحتفلوا بوجبة مقدّسة، وقرءُوا الكتابات الهرمسية باعتبارها أُطروحات تنويرية لتقدُّمهم الروحي»[283].

اعترض بعضُ المؤرخين على ذلك؛ وقالوا: لا يوجد دليلٌ عينيٌّ يؤكِّد أن الإسكندرية هي مسقَط رأس المحفل الهرمسي الباطني، وأنها مجرد ذريعة اخترعها الماسونيون لربط فلسفتهم بالهرمسية[284].

يصرح أتباع الهرمسية بأن الديانةَ الهرمسية كانت وما زالت ديانة وسطية مرِنَة؛ تحمِل فلسفةً دينيةً متسامحةً، ومن أهم ركائزها وجودية الفِكر اللامحدودة في المكان؛ وفِكرة طاهرة عن الإله المعبود والكون

والذاتية الفردية، وهي ديانة تشجع معتنقوها للبحث عن الروحانية، وقد اتخَذوا من الصولجان رمزًا لديانتهم.

ولكي نتعمّق بشكلٍ أكبر في الهرمسية، هيَّا بنا نتعرَّف أولًا على كِتَاباتهم ونصوصهم المقدسة جميعها، ومن ثَم فلسفتهم الدينية.

يتضحُ من الكِتابات الهرمسية المبكرة – لا سيما أقْدَمها المكتوبة باللغة اليونانية «متون هرمس»؛ والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني أو الثالث قبل الميلاد على أرجح قول[285] – ارتباط النـزعة الصوفية للهرامسة بالاهتمام الواضح بعلم الكيمياء وعلم الفلك، خاصةً أن الكيمياء قديمًا كانت مرتبطة بالسِّحر، وكذلك علم الفلك كان مرتبطًا بالتنجيم؛ لذلك عندما انتشرت الهرمسية بكثرة خلال العصور الوسطى وعصر النهضة، كان لديها مكانة عالية بين الكيميائين والسَّحرة والفلكيين والمُنجمين، وانقسمت الكتابات الهرمسية التي تأثروا بها إلى فئتين: نصوص هرمسية تقنية عملية، وهرمسية فلسفية مختصة بالفلسفة والتدبُّر.

● الهرموتيكا التقنية العملية

هي نصوصٌ تقنيةٌ، تتعامل مع الكيمياء والسِّحر العملي، ومن خلالها ظهر ما يُعرف بـ «ختم هرمس»؛ وانتشرت عبارة «مختوم بإحكام» بعدما شاعت العملية الكيميائية لصُنع «مادة حَجَر الفلاسفة»، وهي مادة كيميائية أُسطورية، وبحسب أسطوريتها؛ هي قادرةٌ على تحويل المعادن الأساسية الرخيصة مثل الزئبق أو الرصاص إلى ذهبٍ أو فضة أو معادن نَفِيسة، كما شاع في زمانها أنها مادة أسطورية لصُنْع إكسير الحياة، الذي يمنَحُ تجديدَ الشباب؛ ويهب الخلود[286][287].

ولعدة قرونٍ؛ كان «حَجَر الفلاسفة» هو الأكثر طلبًا في الكيمياء، أما الممارسة القديمة المسمَّاة بالخيمياء؛ والتي ارتبطت بعلوم الكيمياء والفيزياء والفلك والتنجيم والفن وعلم الرموز وعلم المعادن والطب والتحليل الفلسفي معًا؛ فكان «حجَر الفلاسفة» هو الرمز المركزي لمصطلاحاتها الصوفية الخيميائية، حيث رمز إلى الكمال في أبهى صوره؛ والإضاءة الإلهية؛ والنعيم السماوي، لدرجة أن الجهود المبذولة لاكتشاف «حجَر الفلاسفة» عُرفَت باسم «العمل العظيم»[288].

عملية تحضير «حجَر الفلاسفة» كانت عبارة عن وضع خليطٍ من المواد في وعاء زجاجي؛ ثم تلاوة بعض العبارات الهرمسية عليها؛ وبعدها يتمُّ إغلاق الوعاء عن طريق غلْقِ العنق، ثم يُترك الوعاء للتفاعل الخيميائي لمدة ثلاثين إلى أربعين يومًا[289].

تُرجِمت العديدُ من الكتابات الهرمسية إلى العربية واللاتينية في وقتٍ لاحق، وقد كُتِب بعضُها في الأصل باللغة العربية؛ فهُناك ما لا يقلُّ عن عشرين هرموتيكا عربية موجودة[290]، وتم العثور على أجزاء هرمسية أيضًا في أعمال الكيميائيين المسلمين مثل «جابر بنِ حيّانَ»؛ الذي استشهد بنسخة مُبكرة من «لوح الزُّمرد» – من النصوص الهرمسية المقدَّسة التالي شرحها – في كتابين من كتاباته، الكتاب الأول: «سر الأسرار: سر الخلق وفن الطبيعة»؛ الذي احتوى على ترجماتٍ لكُتب تعود للعصر اليونانى الرومانى، والكتاب الثانى: «الكتاب الثانى للعناصر الأساسية»[291]، وكذلك اقتبس وعلق «محمدُ بنُ أميل التميميُّ» على أقوالٍ

هرمسية في الكثير من أعماله، من بينها أيضًا تعليق على «لوحةِ الزمرد»[292]، حيث شاعت شُهرتها في هذا الزمان، لذلك ربط الكيميائيون في العصور الوسطى وأوائل العصر الحديث «لوحَ الزُّمرد» بتصنيعِ «حَجَر الفلاسفة»؛ والإنتاج الاصطناعي للذهب[293].

● الهرموتيكا الفلسفية الدينية

هي مجموعة غير متماسكة بشكلٍ كبيرٍ؛ من الأُطروحات الفلسفية الدينية التي تمَّت كتابتها في الغالب في القرنين الثاني والثالث الميلاديين، باستثناء مجموعة أمثال منسوبة لـ «هرمس»، والمعروفة باسم: «تعريفات هيرمس لأسكليبيوس»، فعلى الأرجح يعود تاريخُها إلى القرن الأول الميلادي[294].

تُركِّز نصوصُ الهرموتيكا الفلسفية الدينية بشكلٍ أساسي على العلاقة بين البشر والكَوْن والله، أيّ إنها تجمع بين الأنثروبولوجيا الفلسفية وعلم الكونيات واللاهوت في آنٍ واحدٍ، وغالبية هذه النصوص عبارة عن نصائح أخلاقية تدعو إلى مِنْهاج حياتي يؤدي إلى النهضةِ الروحية؛ يُسمّى بـ «طريق هرمس»، ليتمكَّن الباحثُ عن الحقيقة من الوصول في النهاية إلى الألوهية في شكل صعودٍ سماويّ[295].

❊ ❊ ❊

٤ - ترتيب النصوص الهرمسية

يزعمُ الهرمسيون في وجودِ ٤٢ كتابًا هرمسيًّا دينيًّا يُنسَب إلى «مثلَّث العظَمة»، ويعتقدون أنَّ العددَ كان أكبر من ذلك بكثيرٍ؛ لكن تدمَّرت كُتبٌ كثيرةٌ إمَّا حرَقًا أو تخلُّصًا؛ في «حرائق مكتبة الإسكندرية»، ومِن أهم كُتُبهم الرئيسية:

النصوص المنسوبة لهرمس

• **١ - متنون هرمس**

هو النصُّ الأهمُّ والأكثرُ شُهرةً، وهو كتابٌ يتكون من ١٨ فصلًا، كُتِب ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، ويُعتَقد أنه كُتِب لأوَّل مرةٍ في مدرسة «أمونيوس السقاص» في الإسكندرية، ثم حافظ عليها «ميشال بسيلوس» في مخطوطات القرن الخامس عشر.

وهذه النصوص عبارةٌ عن سِلسلة من الحوارات بين «هرمس» ومجموعة من تلاميذه ورجال آخرين، حيث كانت الحوارات هي الشكل المفضَّل للمواد التعليمية في العصور الكلاسيكية القديمة، ويحتوي الفصل الأول على أول اتصالٍ ونقاش حدَث بين «هرمس» و«بومينادرس» الذي قالوا إنه هو الإله؛ وهذا بمفهومهم هو «هرمس» نفسه، حيث شاع الاسم أيضًا للإشارة إلى التجمِيع ككلٍّ - وهذا ماسنشرحه في فلسفتهم بعد قليلٍ - أمَّا باقِي الفصول؛ فهي عبارة عن حِكَم وعِظات يُدِّرسها «هرمس» للآخرين.

بعد ترجمة المُتون إلى اللاتينية؛ أحدَث ذلك تأثيرًا واضحًا على التقليدِ الباطني الغربي، وكانت هناك

نصوص مهمة خلال عصر النهضة والإصلاح، حيث قدّمت ترجمة المتون إلى اللاتينية في القرن الخامس عشر؛ زخمًا أساسيًّا في تطور فِكْر وثقافة عصر النهضة[296].

وعناوين الثماني عشرة فصلًا كما يلي[297]:

-الفصل الأول: خطاب بويماندريس إلى هرمس.

-الفصل الثاني: خطاب هرمس إلى أسكليبيوس.

-الفصل الثالث: خطاب مقدّس لهرمس.

-الفصل الرابع: خطاب هرمس لتات: وعاء الخلط أو المونـاد.

-الفصل الخامس: خطاب هرمس لتات: هذا الإله غير مرئي ومرئي بالكامل.

-الفصل السادس: خطاب هرمس لأسكليبيوس: إن الخير في الله وحده لا في غيره.

-الفصل السابع: إن أعظم شر في الإنسان هو الجهل بالله.

-الفصل الثامن: خطاب هرمس لتات: لا شيء من الأشياء يهلك، ويخطئ من يقول: إن التغيير موت وهلاك.

-الفصل التاسع: خطاب هرمس لأسكليبيوس: في الفهم والإحساس: [إن الجميل والصالح في الله وحده لا في غيره].

-الفصل العاشر: خطاب هرمس إلى تات: المفتاح.

-الفصل الحادي عشر: خطاب العقل (نوس) لهرمس.

-الفصل الثاني عشر: خطاب هرمس لتات: على العقل المشترك.

-الفصل الثالث عشر: خطاب هرمس إلى تات، حوار سري على الجبل: عن الولادة الثانية، وعن الوعد بالصمت.

-الفصل الرابع عشر: خطاب هرمس إلى أسكليبيوس: صحة العقل.

-الفصل السادس عشر: أسكليبيوس للملك عمون: تعريفات عن الله والمادة والرذيلة والقدر والشمس والجوهر الفكري والجوهر الإلهي والإنسان وترتيب الامتلاء والنجوم السبعة والإنسان حسب الصورة.

-الفصل السابع عشر: أسكليبيوس إلى الملك عمون.

-الفصل الثامن عشر: خطاب تات للملك: على الروح التي تعوقها عواطف الجسد[298].

- **٢- اللوحة الزمردية**

«لوح الزمرد» أو «اللوحة الزمردية» أو «لوح الياقوت»؛ هو عمل قصير جدًّا منسوب هو كذلك إلى «هرمس»، ويزعمون أنه يحتوي على أسرار المادة الحية وطرق تحويلها؛ لذلك حظي بتقدير كبير من قِبل الكيميائيين الإسلاميين والأوروبيين باعتباره أساس علمهم، ويعرض هذا العمل أنواع الحكمة الثلاث التي

تحكم الكون، وبحسب اللوحة؛ يزعُمُ «هرمس» أن معرفته بهذه الحكم الثلاث منَحَهُ لقب «مثلّث العظَمة».

و«اللوحة الزمردية» هي واحدة من النصوص الهرمسية العربية واللاتينية التي نُسِخت على نطاق واسع خلال العصور الوسطى، ذلك النص المحكم والمدمج والمبهم[299]، الذي كان نصًّا تأسيسيًّا يحظَى بتقديرٍ كبير للعديد من الكيميائيين الإسلاميين والأوروبيين[300]. فالغريبُ في الأمر؛ أنه على الرغم من أنه يُنسب إلى الشخصية الأسطورية «هرمس»، فإنَّ نصَّ «لوح الزمرد» ظهر لأول مرة في عدد من المصادر العربية المبكرة في العصور الوسطى، ويعود أقدمها لما بين القرنين السادس والثامن الميلاديين[301]، هو كتاب «سر الخليقة وصَنْعة الطبيعة» المعروف بكتابِ العِلل، والذي يُنسب إلى «بالیناس الحكيم» والمعروف بأبولينوس من طوانة (تيانا)[302]، وهو عبارة عن مخطوطة يوجد منها بعض النسخ الخطية القليلة، وهذه المخطوطة التي كُتبت بالعربية قبل ألف سنة؛ موجودة الآن في مكتبة جامعة (أوبسالا) بالسويد، وقد ورد بها:

«الآن أبيِّن لكم اسمي، لترغبوا في حِكمتي وتتفكروا في كلامي؛ أنا بلنيوس الحكيم، صاحب الطلسمات والعجائب، أنا الذي أوتيت الحِكمة من مدبِّر العالم..

كنتُ يتيمًا من أهل طوانة، لا شيء لي، وكان في بلدي تمثالٌ متلوِّن بألوان شتى، وقد أُقيم على عمود من زجاج، مكتوب عليه بالكتاب الأول (اللغة القديمة):

-أنا هرمس المثلَّث بالحكمة، عمِلت هذه الآية جهارًا ، وحَجَبتُها بحِكمتِي، لئلّا يصل إليها إلا حَكِيمٌ مثلي..

ومكتوب على صدر ذلك العمود، باللسان الأول:

-من أراد أن يعلم سرائر الخليقة وصنعة الطبيعة، فلينظر تحت رجليَّ..

فلم يأبه الناسُ لِمَا يقول، وكانوا ينظرون تحتَ قدمَيه فلا يرون شيئًا..

وكنتُ ضعيف الطبيعة لصغري، فلما قوِيَتْ طبيعتي، وقرأتُ ما كان مكتوبًا على صدر ذلك التمثال؛ فَطِنتُ لما يقول؛ فجئت فحفرت تحت العمود، فإذا أنا بَسَربٍ مملوء ظُلمة، لا يدخله نورُ الشمس.. دخلتُ السَّرَب، فإذا أنا بشيخٍ قاعد على كرسيٍّ من ذهَبٍ، وفي يده لوحٌ من زبرجد أخضر مكتوبًا فيه:

-هذا سرُّ الخليقة وعِلم عِلَل الأشياء.

فأخذتُ الكتابَ واللوح مطمئنًّا، ثم خرجتُ من السَّرَب، فتعلَّمت من الكتابِ عِلْم سرائر الخليقة، وأدركتُ من اللوح صَنْعة الطبيعة، وعزمتُ على شرح جميع العلل في جميع الخَلْق، وأخبركم أيضًا أنِّي إنما وضَعْتُ هذا الكتابَ وأجهدت نفسي فيه، لأحبائي وخاصتي من نَسْلي..

فالآن أقسم وأُحلِّف من سقط إليه هذا الكتابُ من وَلَدِي وقَرابَتِ؛، أو ذوي جنسي من أولاد الحكماء، أن يحفظوه مثل حفظ أنفسهم، ولا يدفعوه إلى غريب أبدًا، والحلف واليمين بالله الذي لا إله إلا هو؛ ألَّا تغيرِّوا كتابي هذا، ولا تدفعوه يا وُلدي إلى غيركم، ولا تُخرجوه من أيديكم، فإني لم أدّع علمًا قلَّ أو كثُر مما علَّمنى ربي؛ إلّا وضعته في هذا الكتاب، ولا يقرأ كتابي هذا أحدٌ من الناس، إلا ازداد علمًا واستغنى عما في

أيدي الناس.. والله الشاهدُ على مَنْ خالفَ وصيَّتي، وضيَّع أمرِي»[303].

ومن العناوين الخاصة بفصول كتاب «سرِّ الخَليقة» أو «العِلل» المذكور:

(القول في علة الأشياء كلها - وصية المؤلف بإخفاء وصيته عن العوالم - في العلة والسبب - القول في التوحيد، والرد على من قال فيه خلاف الحق - نُعوت الإله - القول في الخالق - القول في أسماء الرب - في بَدءِ كون العالم - الردّ على من عَبَدَ النِّيران والنجوم والطبائع - ذِكْر الكواكب السبعة - القول في حركة الكواكب الأولى - القول في الرياح، والليل والنهار، وعلة دوران الفلك - القول في المعادن والنبات والحيوان - لِمَ تناثر ورق الشجر، لِمَ لَمْ يتناثر بعض ورق الشجر - لِمَ صار في النبات ماءٌ أبيض مثل اللبن - لِمَ صار للطير مخالب، ومناقير، وريش - لم صار الطير يبيض - لِمَ صار للسمك قشورٌ مدورة - لِمَ صار السمك الذي لا قشور له أسود، وما كان له قشور فهو أبيض - لِمَ صارت خلقة الإنسان مستوية، وصار رأسه مدورًا - لِمَ صار الذكرُ خارجًا إلى خارج - لِمَ صار الرحم في المرأة - لِمَ أكان في الفم الأسنان - القول في ثدي المرأة - القول في كون الإنسان - القول في ازدواج الطبائع - القول في غذاء المولود..)، هذه بعض العناوين وليست كلها[304].

و«بالِيناس الحكيم» لم يزعم كتابة المحتوى؛ حيث قال إنه وجَد اللوحة بيدِ رجلٍ كبير جالسًا على عرش ذهبي في مخبَأ تحت تمثال «هيرمس»، وإن نصها الأصلي مكتوبٌ من زمنٍ عتيق كما ذكرنا[305]، وقد ذُكِر في النصِّ الأصلي على اللوحة:

«حق لا شك فيه صحيح... إن الأعلى من الأسفل والأسفل من الأعلى.. عمل العجائب من واحد كما كانت الأشياء كلها من واحد بتدبير واحد.. أبوه الشمس، أمه القمر.. حملته الريح في بطنها، غذته الأرض.. أبو الطلسمات، خازن العجائب، كامل القوى.. نار صارت أرضًا... اعزل الأرض من النار.. اللطيف أكرم من الغليظ.. برفق وحكم يصعد من الأرض إلى السماء وينزل إلى الأرض من السماء.. وفيه قوة الأعلى والأسفل.. لأن معه نور الأنوار؛ فلذلك تهرب منه الظلمة.. قوة القوي، يغلب كل شيء، لطيف؛ يدخل في كل شيء غليظ.. على تكوين العالم الأكبر تكوّن العمل.. فهذا فخري؛ ولذلك سمّيت هرمس المثلّث بالحِكْمة[306].

كما ذكَرنا؛ استخدَمَ العديدُ من العلماء العرب كـ «جابرِ بنِ حيَّانَ»[307] اقتباسات من «لوح الزمرد»، وتُرجِم لأول مرة لليونانية على يدِ «هوغو فان سانتالا» في القرن الثاني عشر[308]، ثم ظهرت طبعةٌ أخرى منه في «كتاب سرِّ الأسرار» في القرن الثالث عشر.

من أشهر الجُمل التي تمّ تدوالها من هذا العمل القصير؛ هي الجُملة الثانية التي ذكرت:

«إن الأعلى من الأسفل والأسفل من الأعلى»

والتي تعني: كما في السماء كذلك على الأرض، وأصبحت مقولة يتم الاستشهاد بها كثيرًا، بل وارتكز عليها بعد ذلك بشكل عام فِكر الأوساط الباطنية.

أثَر محتوى اللوحة على الأعمال الخيميائية الكبرى مثل: «حَجَر الفلاسفة»، والاختبارات المِخْبرية، والتحول الطوري، والعنصر التقليدي، والعلاقة ما بين ماكروكوزوم (العالم الواسع، مثل الكون) والمايكروكوززم (العالم الصغير، مثل الذَّرَّة).

- **٣ - أسكليبيوس - الموعظة المِثالية**

«الموعظة المثالية»؛ المعروفة بعِدَّة أسماء أخرى كالخِطاب المِثالي أو العظة الكاملة، أو التعليم المِثالي، هي مماثلة لـ «متون هرمس»، كُتِبت ما بين القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وكانت من الأعمال القليلة جدًّا التي كانت مُتاحة لقُراء اللاتينية في العصور الوُسْطَى.

هذا النص عبارة عن حوار يَدُور في حَرَم معبد مصري؛ بين «هيرميس تريسميجيستوس» وثلاثة من طلابه: «أسكليبيوس»، و«تات»، و«هامون»[309].

كان نصّ «أسكليبيوس» هو النصُّ الهرمسي الوحيد الذي ينتمِي إلى فِئة «الفلسفية الدينية» المتاح باللغة اللاتينية قبل ترجمة «مارسيليو فيسينو»؛ و«لودوفيكو لازاريلي» للمخطوطة السابعة عشرة لنصوص «متون هرمس»، وبعد ذلك تم استخدام نصّ «أسكليبيوس» من قبل الفيلسوف «بيتر أبيلارد» وتلميذه «روبرت ميلون» كوسيلة لإثبات أن معرفة الثالوث كانت مُتاحة بشكلٍ طبيعي للوثنيين[310].

والجديرُ بالذكرِ؛ أن «نصَّ أسكليبيوس» نُسِب خَطأً خِلال العصور الوُسْطى إلى الفيلسوف الأفلاطوني الأوسط «أبوليوس».

**نصوصٌ أُخرى**

هناك نصوصٌ أخرى تأتِي في المرتبة الثانية من الأهمية بعد النصوص السابقة:

**١ - من إيزيس النبية إلى ابنِهَا حورس:**

هو نصٌّ طويلٌ يحكِي قصةَ سقوط الإنسان من الأفلاك (أي السماء)؛ وهبوطه للطبيعة (أي إعمار الأرض)[311]، وسنشرحُها بالتفصيل في قصةِ خَلْق السماوات ونشأة الكون بعد قليلٍ.

**٢ - تعاريف هرمس لأسكليبيوس:**

كتابٌ يحتوي على مجموعة من الأمثال المنسوبة إلى «هرمس»، هناك ادعاء بأن تاريخها يعود إلى القرن الأول الميلادي، وتحتوي هذه الأمثال على جوهر التعاليم الموجودة في كتابات «الهرموتيكا» الدينية الفلسفية اليونانية اللاحقة[312]، حيث تعدُّ هذه التعاريف أقدم كتاب «هرموتيكا» ديني فلسفي.

وغيرها من النصوص التي تحتوي على مواعظ؛ غالبيتهم محفوظة بشكل رئيسي في «مجلدات ستوبايوس» السابق ذِكْرها[313].

هذه هي النصوص الرئيسية، والمنسوبة في الغالب لـ «هرمس» ذاته؛ حيث قالها مباشرةً أو أوحى بها لأتباعه.

أما الأعمال الهرمسية التي كُتِبت بيدِ أتباعه في العصور التالية، فعلَى الرغم من أنها ليست ذات أهمية تاريخية مثل الأعمال المذكورة؛ فإنَّ لها مكانةً مهمة في الهرمسية الجديدة، وأشهرها ما يلي:

**١ - تفسير إيحائي في الفلسفة الهرمسية والخيمياء**

هو عملٌ كُتِب بواسطة الفرنسية «ماري آن أتوود»، التي عمِلت مع والدها في البحث الروحاني، وتمّ نشره في الأصل بشكلٍ مجهول في عام ١٨٥٠ م، ثُم تمَّ سحب هذا الكتاب من التداول بواسطة «أتوود» نفسها، ولكن أعادت صديقتها القديمة «إيزابيل دي ستيجر»؛ التي كانت عضوةً في جمعية «الفجر الذهبي الهرمسية»؛ طبعه ونشَره لاحقًا بعد وفاتِها، وتمّ استخدام هذا العمل الإيحائي لدراسة الهرمسية بشكلٍ أوسع، وكان سببًا في نشر العديد من الأعمال اللاحقة من قبل أعضاء «الفجر الذهبي»[(314)].

**٢ -كتب آرثر إدوارد وايت**

كتَبَ الشاعرُ الصوفيُّ والماسوني: «آرثر إدوارد وايت»- المتخصص في المسائل الغامضة والباطنية؛ وأحد مؤسِّسي مجموعة «التارو رايدر- وايت»، وأول من حاول إجراء دراسة منهجية لتاريخ السِّحر والتنجيم الغربي، وعضو؛ وبعد ذلك رئيس «جماعة الفجر الذهبي»- كِتابَين هرمسيين:

**الكتاب الأول**: «المتحف الهرمسي».

**والكتاب الثاني**: «ترميم وتوسيع المتحف الهرمسي».

وقام بنشرهما في مجلدين، وكان له دور فعّال في إضافة كلمة «هرمسية» إلى العنوان الرسمي لـ «الفجر الذهبي»[(315)].

**٣ - المجموعة الهرمسية**

القاضي الشرعي والساحِرُ والثيوصوفي والماسونيُّ: «ويليام وين ويسكوت»؛ والمشارك في تأسيس «الفجر الذهبي»، قام بتحرير سلسلة من الكُتب عن الهرمسية بعنوان «المجموعة الهرمسية»، وتم نشر السلسلة من قِبل جمعية النشر الثيوصوفية[(316)].

**٤ - التعريف بالهرمسية**

هي ترجمة إنجليزية لأعمال الكاتب التِّشيكي والساحر والمعلِّم الهرمسي: «فرانز باردون»؛ الذي اعتقله النازيون خلال الحرب العالمية الثانية؛ لرفضه المشاركة في التنجيم والسحر لصالح النازية، وتم إنقاذه من قِبل الجنود الروس الذين داهموا المعسكر، وبعدها واصل عمله في عالم الهرمسية الباطني حتى عام ١٩٥٨ م؛ عندما تمّ اعتقاله وسَجنه في برنو تشيكوسلوفاكيا، وبعدها توفي بمرض التهاب البنكرياس[(317)].

«ملاحظة النفس من خلال الطريقة الهرمسية»؛ هو عنوان الترجمة الإنجليزية للمجلد الأول من عمل فرانز باردون المكون من ثلاثة فصول، والذي يتناول تحقيق الذات ضمن التقليد الهرمسي.

**٥ - كيباليون (الفلسفة الهرمسية)**

هو كتابٌ نُشِر بشكلٍ مجهول في عام ١٩٠٨ م؛ من قِبل ثلاثة أشخاص أطلقوا على أنفسهم اسم «المبتدئين الثلاثة»، ويزعمون احتواءه على عصارة تعليم «هرمس مثلَّث العظمة»، ويستعرض الكِتَاب سبعة مبادئ تشرح حقيقة الوجود والحياة وكيفية القيام بالتحويل الذهني في الهرمسية، والتي أصبحت المبادئ الرئيسية في الهرمسية، فهيا بنا نتعرف عليهم.

***

٥ - مبادئ هرمس السبعة

نسبةً لـكتابِ: «الكيبالليون» هناك سبعة مبادئ هرمسية؛ تقومُ عليها الفلسفة الهرمسية بأكملها، وهي كما نُقِلت حرفيًّا من الكِتاب:

- **المبدأ الأول: العقلانية**

«الكل هو العقل، والكون عقلي»[318].

يجسد هذا المبدأ حقيقة استخدام العقل والمعرفة.

- **المبدأ الثاني: التناظر**

« كما في الأعلى كذلك في الأسفل، وكما في الأسفل كذلك في الأعلى»[319].

يجسد هذا المبدأ حقيقة أن هناك دائمًا تطابُقًا بين قوانين وظواهر المستويات المختلفة للوجود والحياة.

- **المبدأ الثالث: الاهتزاز**

«لا شيء يستقرُّ، كل شيء يتحرَّك، كل شيء يهتزُّ.»[320]

يجسِّد هذا المبدأ أن الكون والإنسان في فلك متحرِّك، ولكلِّ بدايةٍ نهاية، ولكل نهاية بداية.

- **المبدأ الرابع: القطبية**

«كل شيء ثنائي، كل شيء له أقطاب، كل شيء له زوج من الأضداد، المتشابه والمختلف متماثلان، الأضداد متطابقة في الطبيعة، ولكنها مختلفة في الدرجة، الطرفان يلتقيان، كل الحقائق ما هِي إلا أنصاف حقائق، كل المتناقضات يمكن التوفيق بينَها.»[321]

- **المبدأ الخامس: الازدواجية**

«كل شيء يتدفَّق، إلى الخارج والداخل، كل شيء له مدٌّ وجزر، كل الأشياء ترتفع وتهبط، يظهر تأرجح البندول في كل شيء، مقياس التأرجح إلى اليمين هو مقياس التأرجح إلى اليسار، والإيقاع يعوض ذلك.»[322]

- **المبدأ السادس: السبب والنتيجة**

«كل سبب له نتيجة، كل نتيجة لها سبب، كل شيء يحدُث وفقًا للقانون، الصدفة ليست سوى اسم لقانون غير معروف، هناك العديد من مستويات السببية، لكن لا شيء يفلتُ من القانون»[323].

- **المبدأ السابع: الجنسين**

«الجنس موجود في كل شيء، كلّ شيء له مبادئه المذكرة والمؤنثة، والجنس يتجلّى في جميع المستويات»[324].

***

٦ - الفلسفة الهرمسية

من أساسيات الفلسفة الهرمسية الدينية: «الحقيقة المطلقة»، والتي تعنِي أن المعبودَ هو: اللهُ، أو الربُّ، أو الآبُ، أو العقلُ (نوس باليونانية)، أو الخالق، أو الكل، أو الواحد.. إلخ، فلا مجالَ عندهم لقبولِ فكرة تعدُّد الآلهة؛ فهذا بالنسبة لهم «فكرة سخيفة»، وتركِّز الهرمسية في تعاليمها على وجود إلهٍ غير محسوس؛ نحن والكون يتشاركون به، ورغم ذلك؛ إدراكه صعب، كما تعترف بوجود كائنات أخرى مثل الآلهة والملائكة والجن في الكون[325]، ووجود الآلهة هذه من منظورهم هم صور من إله واحد أحد! تم تأليههم وارتقائهم بأمر منه.

وترتكز فلسفتهم على ثلاثة مبادئ:

- **١ - الله خالق كل شيء**

في الرؤية الهرمسية، الله هو كلُّ الكلِّ وخالقُ الكلِّ: كلُّ الأشياء المخلوقة موجودة مسبقًا[326]، واللهُ هو طبيعة الكون، فهم يؤمنون أنه هو المادة التي نبع منها كل شيء[327]، ورغم أنه مادةُ الكَوْنِ؛ ففِي نفسِ الوقتِ منـزَّهٌ عن العالم المادي، يجلس على قِمة السماء، لكنه يتجلَّى في كل الموجودات من دون أن يحتويه شيء، مع أنه يحتوِي الأشياء كلَّها، فكلُّ الأشياء وكل الكون من صُنع الإله؛ وهكذا؛ فاللهُ خلَقَ نفسَه بنفسِه[328]؛ وهو مُتعالٍ (كخالق الكون) وجوهريٌّ (مثل الكون المخلوق)[329].

- **٢ - اللاهوت التنجيمي**

اللاهوتُ التنجيميُّ هو عقيدةٌ، أو أثولوجيا؛ أو علم ربوبيةٍ، وهو: «لاهوت بريسكا» عقيدةُ كلّ العصور الواحدةُ؛ على حدِّ زعمهم، وكما ذكرنا؛ هو اللاهوتُ الواحدُ الحقيقي الموجود في جميعِ الأديان؛ وقد أعطاه اللهُ للإنسان في العصور القديمة[330][331].

- **٣ - ما فوق مثل ما هو تحت**

«Quod est superius est sicut quod inferius, et quod inferius est sicut quod est superius.»

«إن الأعْلَى من الأسفلِ، والأسفل مِن الأعلَى»

يُعتبرُ البيتُ الثاني من «اللوحة الزمردية»؛ هو المبدأ الثالث لفلسفتِهم، وهذا المبدأ يعني ارتباط الروح والمادة والعقل بفلسفة إلهيةٍ واحدةٍ، وأن أصلَ الأرض من أصلِ السماء، وهذه إعادةُ صياغة حديثةٍ شائعةٍ له

باللغة اللاتينية، بعدما أصبح منتشرًا بكثرة في العصور الوسطى[332].

والجديرُ بالذكرِ أنَّ هذه الجملةَ موجودة بنفس الصياغة في كتاب الهندوسية المقدَّس «فيدا»، فربما تم اقْتِباسُها من هناك، أو أنّ الاثنين اقْتُبسا من مصدرٍ واحدٍ.

***

٧ - حِكم الكون الهرمسية الثلاثة

«الأجزاء الثلاثة لحكمةِ الكَون كلّه»: هي عبارة مُشتقة من «لوح الزمرد»، تُشير إلى ثلاثة تخصُّصات يُزْعَم أنّ مثلث العظمة كان يعرِفها ويدرسها:

● الحِكمة الأولى: الخيمياء

«الخيمياء»، أو «عمل النور»، أو «عمل الشمس» - من وجْهَة نظرهم- ليست مجرد تحويل الرصاص إلى ذهَب وحَسْب، وهو ما يسمى بالكريسوبويا[333]؛ لكن الخيمياء هي عملية بحث في التكوين الروحي والوجود المادي، من خلال تطبيق أسرار باطنية كالميلاد والموت والقيامة[334]، ويزعمون أن الهرمسية تملك ألغازًا عند تطبيقها يتمكَّن الخيميائي من تسريع عمليات الطبيعة للوصول بالجسم الطبيعي إلى الكمال.

● الحِكمة الثانية: التنجيم

يعتقدُ الفكرُ الهرمسي أن الكواكب لها حركات باطنية؛ تتجاوز قوانين الفيزياء المتعارف عليها، ولها قيمة مجازية كرموز في ذهن الله، وأن الكواكب السابحة تمثّل فكر الله؛ لذا لها تأثيرٌ على الأرض، لكنها لا تجبرنا على اتخاذ القرارات، ويزعمون أن حُكمائهم يفهمون هذه التأثيرات ويتعاملون معها بشكل بَناء؛ لذلك جعلوا التنجيم حِكمتَهم الثانية، وينسبون اكتشاف عِلْم التنجيم إلى «زرادشت» المؤسِّس الروحي للزرادشتية؛ الذي يقال إنّه اكتشف هذا الجزء من حكمة الكون كله وعلَّمه للإنسان.

● الحكمة الثالثة: السِّحر الإلهي (السيمياء)

«ثيورجيا» أو « السيمياء»: هي سرُّ السِّحر الإلهي؛ أي قُدرة الإله على التحكُّم في الطبيعة؛ ويقسِّم الهرامسة السحرَ إلى نوعين متعارضين:

الأول: هو «السحر الأسود»، الذي يعتمد على التحالف مع الأرواح الشِّريرة.

والثاني: هو «السِّحر الإلهيُّ»، الذي يعتمد على التحالف مع الأرواح الإلهية مثل الملائكة ورؤساء الملائكة والآلهة، بهدف تحقيق التحضِين (الاتحاد مع الآلهة)؛ وكمال الذات[335].

***

٨ - المفاهيم الأساسية للهرمسية

ترتكز الفلسفة الهرمسية الدينية على أربعة مفاهيم؛ هم ركائزها الدِّينية:

- **١ - نشأة الكون**

في الهرمسية؛ صنَع اللهُ الكونَ عن طريق «الكلمة»؛ ليكون الله مرئيًّا في مخلوقاته، وقصة الخَليقة رواها الله: «بويماندريس» الذي هو كلّ «هرمس»؛ لنفسه: «هرمس» في الفصل الأول من «متون هرمس».

تحكِي القصةُ الهرمسية أن الله بدأ بخَلْقِ العناصر الأساسية أولًا لتشكيل الكون؛ ثم فصَلَهم عن بعضهم، وهي: التراب؛ الماء؛ الهواء؛ النار، ثم أمَر الله العناصر بتكوين السماوات السبع:

(عطارد، الزهرة، المريخ، المشتري، زحل، الشمس، القمر).

وأمرهم بالتحرك في دوائر لفرض القضاء والقَدَر والتحكُّم في المصير.

بعد دوران السماوات السبع خرج منهم كائنات لا تتكلَّم، ثم فصَل اللهُ الترابَ عن الماءِ بعد اختلاطهما وأتمَّ خلق الطبيعة، ثم خلَق الحيوانات أولًا، وبعدهم خلق الإنسان على هيئته وجعله أبدَع المخلوقات؛ ثم قذَف فيه العقل، وبفضل عقله منحه السلطان على كل المخلوقات، وجعل تكوينه من قسمين أساسيين: الجسم والنفس، ونفس الإنسان هى «ابنة الله» التى يعتَقِلها الجسم المادي المحسوس، مع أنها ليست مادية ولا محسوسة، وبهذا الوصف يتضح كيف أن «هرمس» هو إلهُهم ونبيُّهم في آنٍ واحدٍ فيما يُشبه الثالوث المقدَّس في المسيحية.

بعد خلق الله للإنسان؛ رفعَه فوق مسارات الأفلاك ليرَى الخَليقة بشكلٍ أفضل، وعندما علمت الطبيعةُ أن الإنسان على صورة الله؛ وقَعت الطبيعة في حب الله، ورأى الإنسان انعكاس صورته في الماء، فوقَع في حب الطبيعة هو أيضًا وأراد أن يسكنَ فيها، فغلبت عليه شهوته فاتَّحد معها وأصبح عبدًا لقيودها، كقيود: الجنس والطعام والنوم، وبسبب ذلك؛ أصبح الإنسان كائنًا ميتًا بالجسد لكنه خالدًا بالروح، له سلطان على كل الخليقة لكنه خاضعًا لمصيره بعد ما أصبح غير إلهي[336].

- **٢ - هبوط الإنسان للأرض**

هذه القصة التي رويناها؛ هي بمنظورِهم السبب في سُقوط الإنسان من الأفلاك (أي السماء)؛ وهبوطه للطبيعة (أي الأرض)، لكن لها رواية بديلة في الهرمسية أيضًا، تحت عنوان «إيزيس النبية لابنها حورس» وتحكي ما يلي:

«بعد أن خلق الله الكون؛ خلق الأقسام والعوالم والعديد من الآلهة والإلهات، الذين عينهم في أجزاء معينة من الكون، ثم أخذ مادة شفافة غامضة؛ وخلق منها أرواحًا بشرية، وعين النفوس في المنطقة النجمية، التي هي فوق المنطقة المادية مباشرة، ثم كلَّف النفوس بخلْقِ الحياة على الأرض، وسلَّم بعضًا من مادة خلقه إلى النفوس؛ وأمرها أن تُساهم في خلقه، ثم استخدمت النفوس المادة لخلق مختلف الحيوانات وأشكال الحياة الجسدية، وبعد فترة وجيزةٍ؛ بدأت النفوسُ تتجاوز حدودها؛ لقد استسلموا للكبرياء وأرادوا أن يكونوا مساوين للآلهة العليا.

استاءَ اللهُ ودعا «هرمس» إلى خلق أجساد مادية تسجن النفوس كعقاب لهم، فخلق «هرمس» أجسادًا بشرية على الأرض، ثم أخبر اللهُ النفوسَ بعقابهم، وقضى الله أن المعاناة ستنتظرهم في العالم المادي، لكنه وعَدَهم أنه إذا كانت أعمالهم على الأرض تليقُ بأصلهم الإلهي؛ فإن حالتهم ستتحسَّن وسيعودون في النهاية إلى العالم السماوي، أما إذا لم تتحسّن؛ فإنه سيحكم عليهم بالتناسخ المتكرر على الأرض؛ وسيظلوا عبيدًا فيها للأبد»[337].

- **٣ - تناسخ الأرواح**

تم ذكر التناسُخَ في النصوص الهرمسية:

«يا بني، كم علينا أن نمُرَّ من أجساد، وكم من زمر الشياطين، وكم من سلسلة من التكرارات ودورات النجوم، قبل أن نُسارع إلى الواحدِ وحدَه»[338].

أي إن الإنسان سيمرُّ بمراحلَ تناسخية متعددة على الأرض، فإذا عاش الإنسان حياته عبدًا للرذائل؛ لن يَسموَ إلى السماء؛ وبعد مماته ستعود روحه في مولودٍ جديد لتحيا مرة أخرى وتتطهَّر مجددًا، ويتكرر الأمرُ ما لم يتحرّر من الرذائل، يموتُ ويولدُ من جديد؛ وهكذا، ولن يرتفِع إلى السماء إلا بعدَ التخلُّص التام من هذه الرذائل[339].

- **٤ - وجود الخير و الشر**

يشرح «هرمس» في الفصل التاسع من المتون؛ أن الحياة مكوّنة من خير وشر، وقال: إن العقل ينتج؛ إمّا الخير أو الشر، اعتمادًا على ما إذا كان المرء يتلقَّى تصوراته من الله أو من الشياطين، فالله يخرج الخير؛ أما الشياطين فيخرجون الشر، ومن الشرور التي جلبتها الشياطين: «الزنا، والقتل، والعنف ضد الأب، وتدنيس المقدّسات، والفجور، والخنق، والانتحار من الهاوية، وسائر الأعمال الشيطانية»[340]، ويُقال: إنّ التركيز على الحياة المادية كمجرد مادة مُجرّدة هو الشيء الوحيد الذي يسيء إلى الله.

وبناءً على هذه الأساسيات والفلسفات والمبادئ، ظهر التصوُّف الهرمسي لتدبر كل هذه الرسائل، وهو ما يُعرف بـ «الكابالا الهرمسية»، (القبالة الهرمسية)، والتي خرج من كنفها الجماعات الباطنية السرية.

***

٩- القَبالة الهرمسية

«الكابالا أو القَبالة الهرمسية»: هي تقليد مقصورٌ على فئة معينة ضليعة في التصوف والتنجيم، وطريقة باطنية وغموضية تتناول الغيب، ومعنى الكلمة (التعليل)، وهي فلسفة وإطار أساسي للمجتمعات السحرية كـ «الفجر الذهبي» وغيرهم مما سيرد ذكرهم، وهي الفلسفة الملهمة كذلك للمنظمات الماسونية الباطنية، وعنصر أساسي داخل أوامر «ديانة ثيليما» المستحدثة في القرن العشرين، وهي تقليد مهم للمجتمعات الدينية الصوفية.

● أصول القَبالة الهرمسية

تتشابه «القَبالة الهرمسية» مع «القَبالة الهرمسية»، لذلك؛ يدَّعي أنصارُ القَبالة اليهودية أنّ القبالة الهرمسية مقتبسة بشكلٍ كبير منهم، بينَما يدَّعي الهرمسيون أنّ أصول القَبالة نبع من تقليدٍ غربي أقدم من اليهودية نفسها، نشأ في اليونان الكلاسيكية مع جذور ثقافية هندية أوروبية، تبناها فيما بعد المتصوفون اليهود[341]، أي أن اليهود هم من اقتبسوها من اليونانين القدماء.

وبعيدًا عن الادّعاءات اليهودية – هذه القَبالة أو التقليد الهرمسي – اتَّضح بعد ذلك أنها استمدت معارفَها بعد خلط العديد من التأثيرات الشائعة في تركيبة قوية، فقد اعتمدت على: القَبالة اليهودية بالفِعل، لكن ليست وحدها، بل ضافوا عليها علم التنجيم الغربي، والكيمياء، والأديان الوثنية (خاصة المصرية واليونانية الرومانية)، والأفلاطونية الحديثة، والغنوصية، والهرمسية، والنظام الإنسي لسِحر الملائكة، والصليبية الوردية الماسونية، ورمزية أوراق التاروت.

وتتشابه «القَبالة الهرمسية» مع «القَبالة اليهودية»؛ لكن القَبالة الهرمسية تختلف عن الشكل اليهودي في كونِها نظامًا توفيقية بين الأكثرية باعترافِ الجميع، بعكس اليهودية التي تعتَبِرُ نفسَها منفردة.

وقد تمّ استيعاب القَبالة اليهودية في التقليد الهرمسي في وقت مبكرٍ من القرن الخامس عشر، وتحديدًا عندما روَّج الفيلسوف من عصر النهضة الإيطالي: «جيوفاني بيكو ديلا ميراندولا» لوِجْهة نظر عالمية توفيقية تجمع بين الأفلاطونية والأفلاطونية المُحدثة والأرسطية والهرمسية والقَبالة اليهودية[342]، وبعدها قام الساحر الألماني واللاهوتي والمنجم والكيميائي: «هاينريش كورنيليوس أجريبا» بتأليفِ كتابٍ مؤثِّرٍ بعنوان «ثلاثة كُتب لفلسفة السحر»، دمج فيه القبالة في نظريتها وممارستها للسحر الغربي مع كل ما سبق ذكره، ثم تمّ تطوير هذا التوفيق بين المعتقدات على يدِ الكاهن اليَسوعي متعدد الثقافات: «أثناسيوس كيرشر»؛ والذي كتَب على نطاقٍ واسع حول هذا الموضوع في عام ١٦٥٢ م؛ مُضيفًا المزيد من العناصر مثل الأورفية والأساطير المصرية إلى هذا المزيج[343].

نشأت «القَبالة الهرمسية» في نفس الوقت الذي نشأت فيه «القَبالة المسيحية» في عصر النهضة الأوروبية، وفي البداية اتَّحدتَا معًا، وبعد وقتٍ بسيط أصبحت مقصدًا جديدًا للنخبوية المسيحية وكذلك غير المسيحية، بل واستقطَبَت بعض المعاديين للمسيحية بحسَب مدارسهم المختلفة.

● مفهوم الإله في القَبالة الهرمسية

من أبرز موضوعات القَبالة الهرمسية «طبيعة الألوهية»، وتختلف في نظرتها إلى الإله عن الديانات والشرائع التوحيدية، التي تضع حدًّا شاسعًا وصارمًا بين الإله والمخلوق[344]؛ حيث تلتزمُ القَبالة الهرمسية بالمفهوم الأفلاطوني الحديث القائل بأنّ الكون الظاهر – بما فيه الخلق المادي – نشَأَ كسِلْسلة من «الانبثاقات» من «الإلهية»[345].

● السيفيروث في القبالة الهرمسية

ترى القبالة أن انبثاقات تكوين الخلق قد بدأت في الأساس من «النور السرمدي» المعروف باسم: «عين صوف أور»، (وتعني نورًا من دونِ حدودٍ)، وهو يُشبه ما يُسمّى في «القبالة اليهودية»: «عينَ سوف»، (وتعني بالعبرية: بدون حدودٍ، اللامحدود، اللانهائي)، وبحسَب الهرمسية فإن تكوينَ الخلق مرَّ بعشرة تجلِّيات سُميت «سفيروث»، ومفردها «سيفيرة»، وبرغم التشابه الظاهري؛ تختلف فكرة السيفيروث في «القبالة الهرمسية» عما هي عليهِ في «القبالة اليهودية».

بحسَب السيفيروث الهرمسي؛ من عين «صوف السرمدية» تتبلور زهرة «كيتير»؛ أول سفيرة من شجرة الحياة القبالية الهرمسية، ومن «كيتير» تنبثق بقية الزهور، فتلامسهم الحياة منها؛ فتتفتح زهور الشجرة العشرة، وهي:

كيتير (١)، ثم حوخما (٢)، ثم بينة (٣)، داث، حيسيد (٤)، غيفورة (٥)، تفاريث (٦)، نيتساح (٧)، هود (٨)، يسوود (٩)، ملخوت (١٠)).

لم يتم تعيين رقم لـ «لداث» المذكورة بعد «بينة»؛ لأنهم اعتبروها جزءًا من بينة أو سفيرة مخفية لها[346].

وبشكل أوضح، تُعتبَرُ كل انبثاقة من هؤلاء سفيرة للانبثاقة التي تليها، وفي نفس الوقت هي انبثاقةٌ للطاقة الإلهية التي يسمونها «النور الإلهي»، والتي تنبثق من اللاظاهر عبْر الانبثاقة الأولى كيتير إلى الظاهر؛ من أجل تكوين الخلق[347].

وفي القبالة تتم الإشارة إلى تدفُّق الضوء هذا؛ من خلال وميضِ البرق بالشجرة، المنطلِق من كل سيفيرة لأخرى بحسب انبثاق كل واحدة لما بعدها، وبالإضافة إلى أن كل سيفيرة تعتبر رابطة للطاقة الإلهية؛ هي كذلك لها مجموعة من الصفات الخاصة، وبدراسة هذه الصفات يتمكن القباليون من فَهم خصائص كل سيفيرة ودورها الباطني، حيث تتنوع كل سيفيرة عن الأخرى، على سبيل المثال: «سيفيرة هود» لها سمات: المجد، والذكاء الكامل، والثامنة في التاروت، ومتمثلة في كوكب عطارد، والإله المصري «تحوت»، ورئيس الملائكة «ميخائيل»، والإله الروماني «ميركوري»، والعنصر الكيميائي «عطارد» المعروف بالعنصر الزئبقي الخيميائي[348].

وبهذ الشكلِ، يكونُ المتأمل في صفات هذه الانبثاقات قد وضَع عقله في مرتبة فهم طبيعة الإله.

● التاروت الإلهي وشجرة الحياة

يرى القباليون الهرامسة أن أوراق التاروت هي مفاتيح لشجرةِ الحياة السابق ذكرها، وهي عبارة عن اثنين وعشرون ورقة، متضمنين إحدى وعشرين ورقة طرنيب + «ورقة المجنون» (أو الأسرار الكبرى)، ويُنظر إلى الأوراق على أنها تتوافق مع الحروف العبرية الاثنين وعشرين؛ وكذلك المسارات اللاثنين وعشرين للشجرة، أمّا الأوراق – من الأص إلى عشرة – في كل مجموعة، فيمثلون السيفيروث العشرة في العوالم القبالية الأربعة، وتتعلق البطاقات الهرمسية الستة عشر بالعناصر الكلاسيكية في العوالم الأربعة،

حيث إن السفيروث يصف طبيعة الألوهية[349]، وبناءً على ذلك؛ فإنَّ المسارات التي بينهما تَصِف طرق معرفة الإلوهية[350].

● أوامر الملائكة

وفقًا للترتيب الهرمسي للقبالة الهرمسية؛ هناك عشرة رؤساء ملائكة، كل منهم يقود إحدى جوقات الملائكة (فريقٌ من الملائكة)، وفي الوقت ذاته يتوافق مع أحد السيفيروث، بمعنى أن كل ملاك من العشرة، يقود إحدى الجوقات العشرة، وفي نفس الوقت هو نفسه يُمثل سيفيرة من العشرة في الشجرة، على سبيل المثال:

في الترتيب الأول من رؤساء الملائكة؛ المَلَاك الأول «ميتاترون» - الكاتب السماوي أو ملاك الحجاب (الذي يعتقدُ الأدبُ الحاخامي اليهودي وكذلك أسفار أخنوخ المحظورة بأنّه أخنوخ؛ بعد تحوله لملاك ورفعة للسماء) والذي يعتبره الهرامسة هو «هرمس» نفسه الإله والإنسان- هو قائد جُوق الكائنات الحية المقدسة الأربعة، وهو نفسه السيفيرة «كيتير»، وهذا الترتيب الملائكي الهرمسي شبيهٌ إلى حدٍّ كبيرٍ بالترتيب الملائكي اليهودي[351].

● الطريق إلى الجماعات الهرمسية

مع نهاية العصور الوُسْطى وخلال عصر التنوير؛ سحَبت الكنيسة المسيحية الاعتراف بالهرمسية، بعدما أصبحت التعاليم الباطنية الغربية غارقة في الفِكر الهرمسي، وبسبب الحظر قرّر أتباع الهرمسية اتخاذ طريق السرية، فظهر العديد من الجمعيات الأخوية الهرمسية، وتسرّبت ممارساتهم الباطنية إلى المجتمع الغربي حتى غرق فيها أكثر، فقد أدّى هذا الحظر إلى إثارة فضول الناس وزادت شهرتها بشكل رائجٍ، وازداد مُريديها رغم حظرها؛ خاصةً مع بدء الشك في طرق الدِّين القديمة، فانضحلت القَبالة المسيحية وانتعشت القَبالة الهرمسية في الطرق الباطنية الغربية، وانتشرت نشاطات الجماعات الهرمسية الباطنية سرًّا.

● ميلاد الماسونية المصرية

عندما دخلت الحملة الفرنسية مصر عام ١٧٩٨م؛ أصيب الفرنسيون بنوع من الهوس الأثري، وصدّروا هذا الهوس إلى أوروبا، فترتب على ذلك ظهور «طقوس مصراييم» و«الماسونية المصرية» حوالي عام ١٨١٠م؛ بين القوات الفرنسية المتمركزة في إيطاليا، ثم وصلت هذه الطقوس فيما بعد إلى فرنسا في عام ١٨١٤م.

- **طقوس مصرايم**

بدأت نشاطاتها منذ عام ١٧٣٨م، وكانت هذه الطقوس المليئة بالإشارات الكيميائية الغامضة والإشارات المصرية القديمة، من إنشاء أحد الشخصيات المثيرة للجدل في تاريخ الماسونية؛ الساحر والمنجم

الإيطالي: «جوزيف بالسامو»، الملقب بـ«كاليوسترو»، (٢ يونيو ١٧٤٣ - ٢٦ أغسطس ١٧٩٥م) في عام ١٧٨٤م؛ بدعم من الأستاذ الأعظم لـ «محفل فرسان مالطا»، «مانويل بينتو دي فونسيكا»[352].

كان «كاليوسترو» منجذبًا إلى الأسرار الغامضة والعقائد الروحية، وقدَّم مصراييم كمذهب ماسوني يتميز بعناصر رمزية مستوحاة من الحضارة المصرية القديمة والرمزية الهرمسية، واستخدم الرموز المصرية القديمة، مثل الإله «أوزوريس» والهرم والرموز الأخرى التي تشير إلى الخلود والمعرفة.

لاقت «ماسونية مصراييم» رواجًا كبيرًا في إيطاليا، ثم انتشرت إلى فرنسا وأوروبا ومناطق متفرقة من العالم، وتناسبت كليًّا مع الجماعات الهرمسية؛ التالي ذكرها.

- **طقوس ممفيس**

تأسست «طقوس ممفيس» بعد ذلك؛ على يد الكاتب الفرنسي الماسوني: «جاك إتيان ماركوني دي نيجر» (٣ يناير ١٧٩٥ - ٢١ نوفمبر ١٨٦٨م) في عام ١٨٣٨م، كتعديل على «طقوس مصرايم»، حيث جمعت بين عناصر من طقوس جماعة «فرسان الهيكل الصليبية» والفروسية والأساطير المصرية والأساطير الهرمسية والكيميائية، وكان لها على الأقل محفلان («أوزوريس» و«دي فيلادلفي») في باريس، ومحفلان آخران («لا بيينفيلاس» و«دي هيليوبوليس») في بروكسل، وعدد من المؤيدين الإنجليز، وقد حققت الطقوس نجاحًا ملحوظًا بين المحافل الماسونية العسكرية آنذاك واكتسبت بُعدًا سياسيًا، وبين عامي ١٨٥٣ و١٨٥٦م؛ تم إنشاء محافل عديدة لـ «طقوس ممفيس»[353].

- **دمج مصراييم - ممفيس**

في العصر الحديث، تُعد «طقوس ممفيس- مصراييم» جزءًا من الماسونية ذات الاتجاه الرمزي والفلسفي، وتستمر في تقديم نفسها كنوع من الطقوس التي تجمع بين العلم والفلسفة مع الطابع الروحي المصري القديم، وكرمز لتطوير الفهم الروحي والفلسفي، حيث اعتقد المنضمون إلى هذه الطقوس أن لديهم إمكانية للوصول إلى المعرفة الروحية التي تقودهم إلى الحقيقة الكونية.

وبهذا الشكل اعترفت الجماعات والتنظيمات الهرمسية بـ «طقوس مصراييم - ممفيس» لاستدعاء الأرواح المصرية القديمة، واعتمدها بعضهم في ممارساتهم الباطنية.

***

١٠ - الجمعيات الهرمسية السرية

بدايةً من القرن السابع عشر؛ تمّ تكوين عدد قليل من الجمعيات الهرمسية الباطنية؛ كـ «جماعة الصليب الوردي»، ومع حلول القرن التاسع عشر؛ شجّعت رومانسية ما بعد التنوير على الاهتمام المجتمعي بالسحر والتنجيم، والتي كانت الكتابة القَبالية الهرمسية سِمَة منها، وانتشر السِّحر الهرمسي على نِطاق واسع في كل عموم أوروبا الغربية[354]؛ على يدِ الجماعات الناشئة وقتها مثل «جماعة الفجر الذهبي»، و«جماعة إخوان

النور»، وتم صياغة رابط جديد بين السحر الغربي والباطنية اليهودية؛ التي ظلّت أساسية منذ ذلك الحين في السحر الغربي؛ على يدِ:

١- الراهب: «إليفاس ليفي» الذي تخلَى عن الكهنوت وأصبح ساحرًا يروِّج للسحر والتنجيم، وألَّف أكثر من عشرين كتابًا عن السحر والقبالة والدراسات الكيميائية والتنجيم، وكان لـ«ليفي» تأثيرًا عميقًا على سحر جماعة «الفجر الذهبي» الهرمسي، من خلال علماء السحر والتنجيم الذين استوحوا منه (بما في ذلك أليستر كراولي، الذي اعتبر نفسه تناسخًا لليفي)، ويُذكر «ليفي» كأحد المؤسِّسين الرئيسيين لإحياء السحر في القرن العشرين.[355]

٢- «ويليام بتلر ييتس» الشاعر والكاتب الإيرلندي، وأحد أبرز الشخصيات في أدب القرن العشرين، والحاصل على جائزة «نوبل» في الأدب عام ١٩٢٣ م، والذي يُطلَق عليه القوة الدافعة وراء النهضة الأدبية الإيرلندية.

٣- «آرثر ماشين»؛ المؤلف الويلزي الصوفي، الذي اشتهر بقصصه الخارقة للطبيعة.

٤- «فريدريك هوكلي» عالم السحر والتنجيم البريطاني، كان ماسونيًّا مقيمًا بلندن.

٥- «كينيث إم ماكنزي» وغيرهم[356].

ومن أبرز هذه الجمعيات وأقدمها:

● جماعة الصليب الوردي

في ألمانيا؛ وبين عامي ١٦١٠ و١٦١٥ م؛ ظَهرَ بَيانانِ مَجهُولانِ، وبعد مدة وجيزة انتشرا في جميع أنحاء أوروبا، وتم تداول البيانين بين علماء السحر والتنجيم الألمان بالذات، وهما بمثابة إعلان إشهار لأخوية أو «جماعة الصليب الوردي»؛ كمدرسة سرية تهدف لمساعدة التطور الروحي للبشرية، ثُم تمَّ نشر نصوص تُروِّج لامتلاكها «وجود نظام باطني للعالم لم تعرفه البشرية حتى الآن»، وكذلك امتلاك «العقيدة الغامضة المبنية على الحقائق الباطنية للماضي القديم»، وادّعت أن علومَها تم إخفائها عن الإنسان العادي، وأنها توفّر نظرة ثاقبة على الطبيعة والكون المادي والعالم الروحي[357]، تسببت هذه المزاعم في إثارة الفضول، وجعل البحث عن المعرفة أمرًا جذابًا للكثيرين[358].

قالت الجماعة: إنها امتدادٌ لأخوية الساحر الألماني «كريستيان روسينكريوز»، التي سماها في البداية على اسمه «جماعة روسينكروسيانيسم»، وكريستيان هذا المولود في عام ١٣٧٨م بألمانيا؛ والذي عاش ١٠٣ أعوام؛ تعلَّم السحر واللغات اليونانية والعِبرية واللاتينية منذ سن الرابعة، وكان رفيقًا لراهب قام معه برحلات لعالم الروحانيات الباطني؛ مرّت بسوريا ومصر والمغرب في عام ١٣٩٣ م؛ تقابل خلالها مع كِبار السحرة والمنجِّمين هناك، وقام بإنشاء جماعته على الأُسس التي تعلّمها من راهبه والمعلِّمين العرب.

كانت هذه البيانات بمثابةِ إشهار لقيام الجماعة بشكل رسمي لأول مرة في تاريخ الجماعات الهرمسية، كامتداد لتقاليد الساحر الألماني«كريستيان روسينكريوز»، التي أطلقوا عليها جماعة «الصليب الوردي» أو

«روزا كروز»، والتي بدأت نشطاتها فعليًّا بعد نشر شهرة الأخوة في عام ١٦١٤ م، وعلى الفور تبنَّت أسس الفلسفة الهرمسية واقتصرت على فئة معينة من الغربيين.

كانت الجماعة عبارة عن جسد داخلي سرِّي؛ يوازيه جسد خارجي عام، الخارجي يخضع لتوجيهات الداخلي بخشوع، أما الكيان كلّه فاحتوى على نظام هيكلي متدرج؛ حيث يتدرج العضو من المستوى الأسفل للمستوى الأعلى عند حصوله على المعرفة الباطنية التي تهيئه لذلك، واعتمدت طريقتهم على الفلسفة والسحر الإلهي (المعروف بسحر هرمس) والقَبالة الهرمسية، ومن رموزهم الرئيسية: الوردة التي تعنِي (الروح)، والصليب الذي يمثل (الجسَد)، وتمثل الوردة المُنفتحة الروح البشرية التي تكتسب وعيًا وإدراكًا أكبر أثناء العيش في جسدٍ على المستوى المادي[359].

بسبب تأثيرها العميق؛ اقتبست الماسونية بعضًا من الطقوس الهرمسية لـ «جماعة الصليب الوردي»، خاصةً: الطقوس الإسكتلندية القديمة والطقوس الإسكتلندية المستحدثة، وخلال أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين؛ أطلقت مجموعات مختلفة على نفسها «الصليب الوردي»، وادّعت العديد من المجتمعات الباطنية أنها مستمَدة من «الصليب الوردي»[360]، من أشهرهم «منظمة الفجر الذهبي».

● جماعة الفجر الذهبي

هي جماعة هرمسية باطنية، تأسَّست في عام ١٨٨٨م بلندن؛ ونشطت في بريطانيا تحديدًا، وركَّزت على ممارسة سحر السيمياء وتسخِير الجن، وكانت من أهم المؤثرين على الباطنية الغربية، تمَّ تأسِيسها على يدِ ثلاثةٍ من الماسونيين الأحرار وأعضاء «الصليب الوردي»: «وِليم روبرت ودمان» و«وليم واين يسكوت» و«ساموِيل ليدل ماكغريغر ماثيرز»، وتم إنشاء الجماعة في البداية لتتبع النظام الهيكلي الهرمي الماسوني[361].

كان «نظام الفجر الذهبي» الهرمسي مفتوحًا لكِلَا الجنسين؛ الذكر والأنثى، ويعاملهما بنفس القدر المتساوي، وكان مجتمع «الفجر الذهبي» مبني على تدريس الكيمياء والقبالة والسحر الإلهي وعرافة التارو والرمل، إلى جانب مبادئ علم السحر والتنجيم في الرؤية الباطنية، بما في ذلك الصُّراخ؛ والسفر النجمي؛ والكيمياء الباطنية، وكان أعضاؤها مُلْزمون بفرض أقصَى درجات السرية، حيث فرضت الجماعة عقوبات شديدة على من يفشي أسرارهم، ولسنوات طويلة عمل هؤلاء في السحر والتنجيم؛ ولم يَعلم عنهم أحد[362].

خلال السنوات الأربع الأولى؛ كانت «جماعة الفجر الذهبي» عبارة عن مجموعة متماسكة؛ عُرفت فيما بعد باسم «النظام الأول» أو «النظام الخارجي»، وهو النظام الأول من ثلاثة أنظمة تم اكتمالهم بعد ذلك؛ ليكوّنوا هيكلَ الجماعة، حتى أصبح بالشكل التالي:

-**النظام الأول**: كان متخصصًا في علم فلسفة النُّخبة باعتمادِ القَبالة الهرمسية، ودراسة مواضيع العناصر الأربعة القديمة والتاروت الإلهي والهندسة.

-**النظام الثاني**: أو «النظام الداخلي»؛ أصبح نشطًا في عام ١٨٩٢م، وقد تألَّف منِ أعضاء يُعرفون باسم

«الأتباع»، وهم الذين أكمَلوا الدورة الدراسية الكاملة للمرتبة الأولى، حتى ترقّوا في علم السحر؛ من خلال الخيمياء وقراءة الكرة البلورية والإسقاط النجمي، وكان يُطلق على هذا النظام «وردة الياقوت والصليب الذهبي»[363].

-**النظام الثالث**: والمعروف بـ «سر الرؤساء»؛ وهو خاص بالآباء الروحانيين، يُعتبر المستوى المسئول عن إدارة شئون النظامين اللذين يندرجان تحته.

وهذا كلّه كان يعتمد على مرور الأعضاء بتسعة مرتَّبات، تُقسم هذه المرتبات إلى ثلاث درجات تصاعدية، كان غرضها تحفيز كل عضو على التفوق بمرتبته؛ حتى يحقَّ له الترقّي للمرتبة التالية، وهذا النظام مُقتبس من هيكلة «نظام الصليب الوردي»[364].

هذه الدرجات الثلاث والتسع مرتبات؛ يتم فيهم استخدام أرقام مزدوجة لتمثيل الدرجات والمراتب، حيث يُشير الرقم الأول إلى عدد العتبات من أسفل شجرة الحياة (الملكوت)؛ بينما يُشير الرقم الثاني إلى عدد العتبات من أعلى (كيتير)، أما رقم صفر؛ فهو للدلالة على عدم وجود مرتبة على شجرة الحياة، ويُمنح للمبتدئين الجُدد.

تم كسر سرية «جماعة الفجر الذهبي» أولًا؛ على يدِ أحد أعضائها المنشقِّين «أليستر كراولي» في عام ١٩٠٥ م، وهو عالم تنجيمي وفيلسوف وساحر، وشاعر ورسام وروائي، كان قد أفشى سرّهم بعد إعلانه في عام ١٩٠٤ م؛ تأسيس «ديانة ثيليما»، التي تعني (المشيئة)، حيث قال: إنه أثناء رحلته للقاهرة لدراسة التصوُّف الإسلامي؛ اعتكف في معبد فرعوني قديم، وقام باستدعاء الآلهة المصرية القديمة، وبعد أيام سمِع صوتًا عارمًا يَدَّعي أنه من «إيواس» الوحي من الإله «حورس»، حينها أملى عليه رسالة نبوته لمدة ثلاثة أيام، كتَبها كراولي في كتابٍ؛ وأطلق عليه اسم «القانون»، وبعدها أعلن عن ديانته وعرّف عن نفسه بأنه النبي المكلّف بتوجيه البشرية إلى عصر «حورس» في الآيون الجديد[365].

بعدما أفشَى «كراولي» سرهم؛ تبعه المُنشق «إسرائيل ريجاردي» في عام ١٩٣٧ م؛ وهو أمريكي - إنجليزي؛ عالمٌ في السِّحر والتنجيم وله خمسة عشر كتابًا في موضوعات السحر والتنجيم، وكان له التأثير الأكبر في فضح ممارسات «جماعة الفجر الذهبي»؛ حيث قدم «ريجاردي» وصفًا تفصيليًّا لتعاليم النظام لعامة الناس[366]، أبرزهم الكتاب الموسوعي: «الفجر الذهبي» لـ «إسرائيل ريجاردي»، الذي يُعتَبر المرجع الأساسي لتابعي علم الماورائيات والأعمال الباطنية وأعمال السيمياء وأعمال السحر والتنجيم.

شهدت «جماعة الفجر الذهبي» فروعًا كثيرًا في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ولكن اختلفت الفروع؛ بل واختلف الأعضاء داخل بعض الجماعات حول الطقوس والتقاليد، حتى انكمشت الجهود وانشق الكثيرون، وتوقّفت غالبية معابدهم ومحافلهم مع ثلاثينيات القرن العشرين؛ باستثناء معبدين: «معبد هيرميس» في بريستول جنوب غرب إنجلترا؛ والذي عمِل بشكل متقطع حتى عام ١٩٧٠ م، و«معبد سمارادوم ثالاسيس» في هافلوك نورث بنيوزيلندا؛ الذي عمِل بانتظام حتى عام ١٩٧٨ م.

كان هناك أيضًا منظمة أخرى ادّعت أنّها امتداد لـ «جماعة الصليب الوردي»، وهي «أخوية الأقصر الهرمسية».

● جماعة إخوان الأقصر الهرمسين

هي منظمة غامضة بدأت في الظهور لأول مرة في أواخر عام ١٨٩٤ م، لكن بحسب متبعوها؛ كانت أقدم من ذلك بأكثر من أربعة وعشرين سنة، فعلَى حدِّ زعمهم قد بدأت عملها السري في عام ١٨٧٠ م؛ وفقًا لوثيقة رسمية للجماعة؛ كتبها الساحر: «بيتر ديفيدسون» [367]، وبحسب هذه الوثيقة؛ تم تشكيل الجماعة في لندن لأول مرة بقيادة اليهودي البولندي القبَلي وعالم السحر والتنجيم: «ماكس ثيون»، لكن بدَا بعد ذلك أنهم استغلوا علمه الروحاني فقط، وأنه لم يكن ذا علاقةٍ كبيرة بالإدارة اليومية للمنظمة.

فعليًّا؛ استمدَّت الجماعة تعاليم نظامها بشكل كبير من النظريات السحرية الجنسية لـ «باسكال بيفرلي راندولف»؛ الطبيب الأمريكي وعالم السحر والتنجيم؛ والكاتب والروحاني ووسيط النشوة؛ وربما هو أول شخص قدم مبادئ الكيمياء المثيرة إلى أمريكا الشمالية، التي أثَّرت بشكل كلِّي على منظمة «فرسان الهيكل الشرقي» السحرية السرية؛ الذي سيتم الإعلان عنها لاحقًا، على الرغم من أنه ليس من الواضح ما إذا كان «راندولف» نفسه جزءًا من هذه المنظمة أم لا[368].

قبل ظهور «جماعة الفجر الذهبي»؛ كانت «جماعة أخوية الأقصر»؛ هي النظام الوحيد الذي قام بتدريس السحر والتنجيم العملي في التقليد الغامض الغربي لمدة عشر سنوات، وكان من بين أعضائها عدد من السحرة والروحانيين والثيوصوفيين، حيث كانت العلاقات الأولية بين النظام والجمعية الثيوصوفية ودية، لكن بعد ذلك؛ ظهَر الخلاف بينهما منذ أن عارضت الجماعة الأفكار والتعاليم الشرقية لـمؤسسة الثيوصوفية الحديثة، وهاجموا الروسية – الأمريكية: «هيلينا بلافاتسكي» (التي ذكرنا فلسفتها الثيوصوفية في الفصل السابق)، وادّعوا لاحقًا أن «بلافاتسكي» وقعت تحت تأثير «نظام أدنى بكثير» ينتمي إلى إحدى الطوائف البوذية، واضطربت الأوضاع عندما اتُهم أمين نظام «أخوية الأقصر»: «توماس هنري بورغوين» في عام ١٨٨٣م بتهمة الاحتيال، فشوه الثيوصوفيون صورته؛ وقالوا: إن ذلك يُظهر عدم أخلاقية النظام كله[369].

● جماعة إخوان النور الهرمسية

بدأت هذه الجماعة في التكوين على يد «فراتريس لوسيس» في أواخر القرن الثامن عشر، وكانت قد أُنشأت على غِرار المنظمة الماسونية الألمانية «وسام الصليب الذهبي والوردي»، وهي من المنظمات الوردية الألمانية؛ تأسست في خمسينيات القرن الثامن عشر على يدِ الماسوني والكيميائي «هيرمان فيكتولد»[370].

كان من بين الأعضاء: تلميذ «الماسونية والصليب الوردي» الكيميائي والمخترع والصناعي «كارل كيلنر»، و«باسكال بيفرلي راندولف» أيضًا؛ الطبيب الأمريكي وعالم السحر والتنجيم ووسيط النشوة، (الذي استمدت أخوية الأقصر تعاليم نظامها من نظرياته السحرية الجنسية كما ذكرنا)، فقرَّرا تطوير النظام

ومن ثَمَّ انطلاقه بمسمّى جديد: «جماعة فرسان الهيكل الشرقيين» [371]؛ لذلك يُشار لـ «كارل كيلنر» باسم «الأب الروحي لفرسان الهيكل الشرقيين».

● جماعة فرسان الهيكل الشرقيين

«نظام معبد الشرق»؛ أو « نظام فرسان الهيكل الشرقيين» (غير التنظيم العسكري في العصور الوسطى: فرسان الهيكل الصليبي)؛ هو مجتمع سرِّي غامض ومنظمة سحرية هرمسية، تأسست في بداية القرن العشرين؛ وبدأت في شكلها الأوَّليِّ على يدِ مجموعة من علماء السحر والتنجيم الناطقين باللغة الألمانية: «كارل كيلنر»، و«باسكال بيفرلي راندولف»، و«تيودور رويس»، و«هاينريش كلاين»، و«فرانز هارتمان»، وكان قصدهم من إنشائها أن تكون على غِرار «الماسونية الأوروبية» وترتبط بها[372]؛ ولهذا السبب لم يتمكن سوى الماسونيون من القبول بها في سنواتها الأولى.

مع بداية الفكرة؛ أراد المؤسِّس والرئيس الأول «كارل كيلنر» إنشاء أكاديمية ماسونية؛ يمكنها منح طقوس مختلفة من الماسونية ذات الدرجة العالية داخل البلدان الناطقة بالألمانية[373]، وخلال دراساته الباطنية في جميع أنحاء العالم والعديد من التقاليد؛ اعتقَد «كيلنر» أنه اكتشف مِفتاحًا يقدم تفسيرًا واضحًا لكل الرمزية المُعقدة للماسونية والطبيعة نفسها، وقرَّر «كيلنر» أن تحتفظ جماعته بهذا المفتاح.

مع مرور الوقت؛ توفِّي المؤسس والرئيس الأول «كارل كيلنر» في عام ١٩٠٥ م، ثم تسلَّم الرئيس الثاني «تيودور رويس» وتوفي في عام ١٩٢٣ م، فتولى الكاتب الإنجليزي وعالم التنجيم والمنشق عن جماعة الفجر الذهبي: «أليستر كراولي» القيادة والسيطرة على الجماعة، وقام بتغيير النظام بشكل جذري؛ مع الحفاظ على القليل من العناصر الأساسية للماسونية ونوايا «كيلنر» و«رويس»، ومنذ سيطرة «كراولي»؛ أصبحت الفلسفة التوجيهية للجماعة هي نظام كراولي الغامض «ديانة ثيليما»، وبسبب تلك السيطرة المُحكمة انخفضت التبعية للماسونية تدريجيًّا، وتوقفت الجماعة عن منح الدرجات الماسونية ومتطلبات العضوية[374].

بعد وفاة «كراولي» في عام ١٩٤٧ م؛ تفكَّكت الجماعة، وادَّعت أربع جماعات بأنها تُنسب حصريًّا للمنظمة الأصلية؛ وأنها تملك الأولوية على الفروع الأخرى[375]، حتى انحدرت نشاطاتهم في النصف الثاني من القرن العشرين؛ ولم يُسمع عن نشاطاتهم إلى الآن – على الأقل بشكلٍ مُعلَن.

***

١١ ـ مقارنة بين الهرمسية والأديان

كما هو واضح؛ الهرمسية كديانة أو فلسفة: خليطٌ من الديانات الأساسية والفلسفات الباطنية والغنوصية؛ وبعض مفاهيم الثقافات القديمة، لذلك سنقوم بعمل مقارنة بينها وبين الأديان، لتوضيح أوجه التشابه والتفاعلات بين الهرمسية والأديان أو الفلسفات الأخرى، ومعرفة كيف تعاملت الهرمسية مع مجموعة متنوعة من التقاليد الروحية والفلسفية عبر التاريخ؛ وتأثرت بها.

الهرمسية والغنوصية

منذ القِدم؛ ارتبطت الهرمسية بتيارٍ فكري أوسع يعرف بالغنوصية[376]، والغنوصية بشكل عام ومختصر: تعني «امتلاكَ المعرفةِ»، وهي عبارة عن مجموعة من الأفكار والأنظمة الدينية؛ التي اندمجت في أواخر القرن الأول الميلادي بين الطوائف اليهودية والمسيحية المبكرة، ركزت هذه المجموعات المختلفة على المعرفة الروحية الشخصية (المعروفة بالغنوص) فوق التعاليم والتقاليد وسلطة المؤسسات الدينية الأرثوذكسية البدائية، وترى الغنوصية أن نشأة الكون يقدم تمييزًا بين الإله الأعلى الخَفِيّ والإله الخبيث الأصغر المسئول عن خلق الكون المادي؛ لذا اعتبر الغنوصيون الوجود المادي معيبًا أو شريرًا، واعتبروا أن العنصر الرئيسي للخلاص هو المعرفة المباشرة بالألوهية الخفية، والتي يتم تحقيقها عن طريق البصيرة الصوفية أو الباطنية.

الهرمسية والغنوصية ازدهر كلاهما في نفس الفترة في مصر الرومانية؛ وفي نفس المناخ الروحي[377]، ويتشاركان معًا في هدف السماح للروح بالهروب من العالم المادي؛ والتأكيد على المعرفة الشخصية بالإله، لذلك اعتقدت الطائفتان أن العلاقة الأساسية بين الله والإنسان؛ يمكن العثور عليها من خلال المعرفة والفهم بهدف «رؤية» الله، وفي بعض الحالات وجَب عليهم أن يُصبحوا واحدًا مع الله من خلال التواصل الروحي[378].

رغم هذا التوافق؛ تجد خلافات بينهما لا تقل أهمية، خاصةً في اللاهوت الفلسفي وعلم الكون والأنثروبولوجيا[379]، فعلى الرغم من أن كلاهما اتفقا على سمو الله على الكون؛ فإنّ الهرمسيين اعتقدوا أنه لا يزال من الممكن فهم الله من خلال التفكير الفلسفي؛ وذلك بالاتفاق مع الفلاسفة واللاهوتيين المسيحيين، في حين ادّعى العديد من الغنوصيين أن الله لا يمكن معرفته تمامًا[380].

كذلك تجد الغنوصيين غارقين في المراجع الأسطورية، بينما النصوص الهرمسية خالية نسبيًّا من الأساطير باستثناء نشأة الكون وهذه الأمور[381].

كما أن الهرمسية فلسفة متفائلة بشأن الله؛ في حين أن العديد من أشكال الغنوصية متشائمة بشأن الخالق، فالعديد من الطوائف الغنوصية ترى أن الكون نتاج خالق شرير، بينما رأى الهرمسيون أن الكون خليقة جميلة على صورة الله[382]، فرغم أن كلاهما رأى أن البشرية كانت في الأصل إلهية وأصبحت محاصَرة في العالم المادي؛ وأن البشرية أصبحت عبدة للعاطفة ومشتتة عن الطبيعة الإلهية؛ تبنى الغنوصيون في كثير من الأحيان وجهة نظر متشائمة للبشرية، في حين اتخذ النظام الهرمسي موقفًا إيجابيًّا تجاه البشرية[383]، فيعتقد الهرمسيون أن جسم الإنسان ليس شريرًا في حدِّ ذاته، ولكن الدوافع المادية مثل الرغبة الجنسية هي سبب الشر في العالم ويجب التجرد منها[384].

الهرمسية واليهودية

كانت العلاقة بين اليهودية والهرمسية علاقة تأثير متبادل وموضوع جدل داخل الأوساط اليهودية،

وبسبب التماثل في بعض المفاهيم؛ تم فتح طريق لتبادل ودمج الأفكار بين اليهودية والهرمسية خلال العصور الوسطى؛ كما ذكَرنا[385].

من أبرز الأمور المتشابهه هي «القَبالة»، والتي تطورت في العصور الوسطى إلى ثلاثة أنواع: «قبالة يهودية»، و«قبالة هرمسية»، و«قبالة مسيحية»، وغالبًا ما تجد تشابهًا واضحًا (بعيدًا عن الكيمياء) بين القبالات الثلاثة[386].

في بادئ الأمر؛ كانَ هناكَ اختلافٌ واضحٌ بيين القبالة الهرمسية عنهما في موضوع السحر والتنجيم؛ ورغم ذلك ركزت أكثر على اللغة العبرية في تعاويذها أكثر من اللغة العامة للهرمسية بشكل عام[387].

حاول علماء اليهود في العصور الوسطى الاستفادة من الهرمسية في علم التنجيم والطب والثيورجيا؛ كمبرر لممارسة السحر الطبيعي المحظور بعدد من الوصايا في التوراة؛ والمعزز بالكتب النبوية التي قننتها السلطات الحاخامية، وأشاروا إلى العجائب التي قامت بها شخصيات الكتاب المقدس المشهورة مثل «البطاركة الأوائل»؛ و«الملك سليمان»، وكانوا ينظرون إليهم على أنهم امتلكوا منحة من الله، وأنه سحر طبيعي متغاضى عنه وخارج إطار النّهي، وادّعوا أن السحر من فنون المعرفة الإلهية؛ التي نقلها الأبطال اليهود إلى غير اليهود مثل الهنود والبابليين والمصريين واليونانيين القدماء، ورأوا أن التعامل مع السحر من وجهة نظر دينية من شأنه أن يُضفي الشرعية على استخدامهم للعلوم، بل ووصلت ادّعاءاتهم إلى أن التعاليم الهرمسية لها أصول في المصادر اليهودية القديمة[388]، فسهّلوا طريق الدمج بين القبالتين؛ خاصةً بعدما نظروا إلى الهرمسية كدعم لمناقشة التفسير اللاهوتي للتوراة والوصايا العشر .

ربما بقَصْدٍ في غالب الأحيان؛ ودونَ قصدٍ في القليل منها، قام هؤلاء العلماء اليهود بإدخال الأفكار الهرمسية إلى الفِكر اليهودي، خاصةً حينما رفع هؤلاء اليهود القباليين التعاليمَ الهرمسية إلى دور رئيسي في الفِكر اليهودي؛ في ظل مناهضتهم ورفضهم للكتاب المقدَّس المسيحي، ورأى هؤلاء العلماء في ذلك مبررًا لإعطاء نفس السلطة السامية للنصوص الطبية والفلكية والسحرية[389].

رغم هذا التوافق بين القبالتين؛ لم يذكر معظم العلماء اليهود ذلك صراحةً، رغم أنهم دمجوها في فلسفاتهم؛ أمثال: «موسى بن عزرا»، «وباهية بن باكودا»، و«يهوذا هاليفي»، و«إبراهيم بن عزرا»، وشعر هؤلاء العلماء اليهود بحتمية استدعاء سلطة «هرمس» لتقديم تفسيرات مقصورة على فئةٍ معينة من الطقوس اليهودية، حتى تم استخدام النصوص الهرمسية بشكلٍ واسع النطاق لاستخدام الثيورجيا وبناء التعويذة، وكان من النصوص الهرمسية الأكثر تقديرًا من قبل العلماء اليهود؛ هي تلك التي تناولت علم التنجيم والطب والسحر النجمي.

رفض آخرون هذا الدمج؛ أمثال: «موسى بن ميمون»، الذي حارب كل ما هو هرمسي؛ باعتباره فكرًا مسئولًا عن وِجْهات النظر المضادة لله، وحذّر «موسى بن ميمون» قرَّاءه ما اعتبره: «التأثير الانتكاسي للأفكار الهرمسية»؛ وخاصة أفكار «الصابئة»، وتمكَّن بالفِعل من إقناع العديد من المفكرين اليهود بالابتعاد

عن التوافق الهرمسي؛ المعروف باسم «الهرمسية العبرية»، لخطورته القصوى على المعتقد اليهودي[390].

على الرغم من استنكار «موسى بن ميمون» للهرمسية؛ كافح العلماء اليهود في عصر النهضة للتوفيق بين معتقدهم اليهودي ومعتقد أنصار الفكر الهرمسي، وكمحاولة لضرب «موسى بن ميمون»؛ تتبعوا كتاباته واتهموا عقلانيته وفلسفته بأنه استمدهما أساسًا من «لاهوت بريسكا القديم»، المرتبط في الأصل بالفلسفة الهرمسية[391]، وفي الوقت الذي ادّعى فيه بعض العلماء أن ممارسات الهرمسية الدينية ضد تعاليم التوراة؛ ادعى آخرون أن التعاليم الهرمسية كانت جزءًا من الحكمة البدائية للقدماء، ووضعوا كتابات «هرمس» على قَدَم المساواة مع كتابات الملك «سليمان»؛ الذي كان يروِّض المخلوقات بما فيها الجان[392].

الهرمسية والمسيحية

اعتقد بعض العلماء أن الهرمسية أثّرت بشكلٍ كبير على المسيحية؛ مما أدّى لتفاعلٍ «القَبالة المسيحية» مع «القَبالة الهرمسية» بطريقة جعلَت الجدل يحيط بطَبيعة التأثير بينهما، بينما اعتقدت قِلة أُخرى أن المسيحية هي التي أثرت بشكلٍ كبير على الهرمسية؛ لكن الغالبية اعتقدت أن التأثير كان بالتبادل[393].

كلا المعتقدين يحملان الفِداء والوحي والتركيز على معرفة الله؛ باعتباره معنى وجود البشرية، وفي الهرمسية تأتي معرفة الله هذه؛ بناءً على تجربة صوفية تعتمد على إعادة الولادة الجديدة التي ذكرناها من قبل، وهي موجودة كذلك في المسيحية، حيث تشير المسيحية أن من الناحية الروحية سيقود الله المسيحيين إلى حياة جديدة من حالة الموت السابقة[394]، وهي النقطة المحورية في الحجج الداعية إلى تأثير أحد المعتقدين على الآخر[395]؛ محور هذا الميلاد الجديد هو كلمات «الحياة» و«النور» و«الحقيقة»، بالإضافة إلى الموقف الأخلاقي للباحث في تحصيله للمعرفة العليا.

كذلك تجد المسيحية المبكرة والهرمسية كلاهما كانا مقصورًا على فئة معينة دون الإفراط في السرية؛ والاعتماد على الخبرة الداخلية لتنفيذ التعليمات الدينية، وكل هذه التعليمات نزلت عن طريق وحي من الله[396].

يقول العلماء: إن الإنجيل القانوني الرابع «إنجيل يوحنا»؛ به تشابه واضح مع المجموعة الهرمسية من ناحية الفكر والبحث الديني[397]، أما باقي الموضوعات الواردة في هذا الإنجيل؛ ستجد بينها اختلافات عميقة فيها[398]، ومن المتشابهات في الفكر والبحث الديني: ستجد كِلَا النصين يستخدما مفهوم الشعارات[399]، وهو المعروف في الهرمسية بـ (اللوغوس) أو الخطاب العقلاني؛ الذي يعتمد على الاستدلال الاستقرائي والاستنتاجي، وكذلك يشتركا في التأكيد على أن أتباعهما منفصلون عن بقية العالم[400]، كما يؤكد كِلا النصين على أهمية الفداء، والإعلان، والولادة الجديدة؛ من أجل العثور على معرفة الله[401]، ويحتويان على تشابه مذهل في صياغة كيفية تعزيز المواقف الأخلاقية للمعرفة العُليا بشكل

عام[402]، ونقل كِلا النصين أن جوهر الممارسة الدينية يجب أن يتم داخليًّا؛ من خلال التجربة الشخصية للمؤمن؛ وليس خارجيًّا[403].

وبرغم هذه المتشابهات هناك أربعة تناقضات واضحة بين النصين:

أولًا : الإنجيل الرابع (إنجيل يوحنا)؛ هو عمل متجانس في حين أن «متون هرمس» عمل تم العثور عليه في أجزاء متجانسة بشكل محدود وضئيل جدًّا؛ ويُشتبه أنها كُتبت بيدِ العديد من المؤلِّفين على مدى فترة زمنية واسعة ومتباعدة[404].

-ثانيًا: تركز الهرمسية على التأملات الكونية وتجعلها ذات أهمية قصوى، بينما يركز الإنجيل الرابع على قضايا الدين نفسه[405].

-ثالثًا: تركز الهرمسية على الزهد؛ وأسلوب حياة يتميز بالامتناع عن الملذات الدنيوية، بينما لم يؤكد الإنجيل الرابع على ذلك[406].

-رابعًا: شخصيات الإنجيل كلها فريدة من نوعها؛ وترتكز على حياة «يسوع الناصري»، بينما يستخدم النص الهرمسي «تقليدًا أدبيًّا مراوغًا»، لم يتضح منه تفاصيل الشخصيات وأبعادها[407].

### الهرمسية والمورمونية

قدّم المؤلِّف والأستاذ في جامعة تافتس؛ والمؤرِّخ الأمريكي الذي يعيش بيننا الآن وصاحب السبعين عامًا: «جون إل بروك»؛ نظرية تقول إن المورمونية (المنبثقة نسبيًا من المسيحية؛ كما ذكرنا من قبل) لها جذورٌ في الهرمسية؛ وأن ذلك قد حدَث بعد اتباع مسار فلسفي من عصر النهضة في أوروبا، وربط «بروك» المورمون الأوائل - وأبرزهم المؤسس «جوزيف سميث» - بالسحر والكيمياء والماسونية والعرافة؛ وعناصر أخرى متطرفة دينيًّا قبل المورمونية، واستشهد «بروك» بالارتباطات مع وجهة النظر القائلة بأن الروح والمادة هما نفس الشيء، والتي وضحت ميثاق الزواج السماوي، وقُدرة البشرية على أن تصبح مؤلهة أو مثالية بعد نَيْل المعرفة والعقلانية[408].

### الهرمسية والإسلام

لا توجد مقارنات موثقة بين الهرمسية والإسلام، ربما لأن رسالة «محمد» ﷺ أحدث من الهرمسية، ولا تُعد من الديانات القديمة التي عاصرت فجر الهرمسية؛ كاليهودية والمسيحية، ولم يتفاعل معها الهرمسيون بسبب نُدرة النصوص التي تحدثت عن «إدريس» عليه السلام (على افتراض أنها الشخصية المعادلة لهرمس وأخنوخ الكتابي)، كذلك عدم ظهور «قبالة إسلامية»؛ على غِرار اليهودية والمسيحية.

لكن هناك جماعات باطنية إسلامية تأثرت بشكل محدود بما تتبناه القَبالة الهرمسية تحديدًا في مسألة الفِكر والإدراك، وأن للمعاني تفسيرات ظاهرة وتفسيرات باطنية، ومنهم من حاول مزج هذه الفلسفة القديمة مع

الديانة الإسلامية، ولعل أشهرهم على سبيل المثال: «جماعة إخوان الصفا وخِلان الوفا».

جماعة «إخوان الصفا» كانت جماعة سرية باطنية؛ مزَجت الفلسفة اليونانية والعقيدة الباطنية بالعقيدة الإسلامية؛ بعدما تعاهد مجموعة من الفلاسفة المسلمين في القرن العاشر الميلادي بالبصرة - العراق الحالي[409] - على اتحاد العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، وهي أولى ثمار الحركة الباطنية التي استغلت التشيُّع والتصوف الفلسفي ستارًا لنشر رسائلها وأفكارها.

وقد كتبوا حوالي اثنين وخمسين رسالة؛ وسموهم: «رسائل إخوان الصفا»، لكي تتضمن جميع أجزاء فلسفتهم علميًّا وعمليًّا، وذاع صيت رسائلهم وصولًا للأندلس، وانتشرت رسائلهم انتشارًا واسعًا خلال الألف سنة الماضية.

كان من ضمن فلسفتهم: وِحْدة الوجود، وعِصْمة إمامهم إلهِيّ الذات، وأن النبوة مُكتسبة، كما دعوا إلى وحدة الأديان والتحلل من الفرائض، وآمنوا بأن العلم له وجهان: ظاهر وباطن؛ مما دل على نيتهم بالتلاعب والانحراف.

إلى هذه اللحظة؛ بتعتبر «رسائل إخوان الصفا» مصدر جدل وخِلاف بين علماء الإسلام، وبسبب غموض الجماعة؛ ظهرت تفسيرات مختلفة لتعريف مذهبهم؛ فالبعض اعتبرهم من أتباع «المدرسة المعتزلية»؛ تلك الفرقة التي ظهرت في أواخر العهد الأموي، والتي نادت بمغالبة النزعة العقلية على النص، والاعتماد على العقل في تأسيس العقيدة وتقديمه على النقل، وأقرُّوا الفكر قبل السمع، وبالتالي رفضوا الأحاديث النبوية؛ وأقروا بوجوب معرفة الله بالعقل، وفي حالة تعارض النص مع العقل لن يتم قبوله، وقالوا: إن الحُسن والقبح يتم التمييز بينهما بالعقل لا بالنص الشرعي الوارد، لذلك تمت معارضتهم بقسوة بسبب رفضهم النص؛ على عكس «الأشاعرة» الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكمًا له.

بينما رأي آخرون أنَّ «إخوان الصفا» أكثرا انحرافًا من «المعتزلية» وليسوا منهم، وأنهم حركة باطنية كل غرضها محاربة الدين الاسلامي لهدمه؛ وتأسيس دولتهم التي تضم شتى العقائد الوثنية والمجوسية والإباحية، وتم اتهامهم بالإلحاد والزندقة[410].

لم تكن هذه الجماعة الاسلامية الباطنية الوحيدة؛ بل هناك جماعات أخرى عديدة، لعل أشهرهم:

القرامطة - الخرمية - البابكية - الإسماعيلية (الحشاشون) - المحمرة، وغيرهم، وجميعهم اعتمدوا في فلسفتهم على أن النصوص الإسلامية تم تفسيرها بشكل خاطئ، وأن هذه النصوص لها معنيان: أحدهما ظاهر يفهمه العامة، والثاني باطن لا يدركه إلا الذين اختصهم الله بهذه المعرفة، وقد قدموا طقوسًا دينية خاصة؛ لكي يحصلوا على العلم والمعرفة والإدراك؛ حتى يتم اختصاصهم بالعلوم المحجوبة عن الناس؛ من خلال التواصل المباشر مع الله[411].

تتشابه هذه الجماعات مع القليل من الهرمسية؛ لكنها لم تصل إلى الحد الذي يمكن تسميته بـ«قبالة إسلامية»، فلا يوجد ما يُسمى بالقبالة الإسلامية؛ على غرار اليهودية والمسيحية، كما أنه على الرغم من تشابه

بعض الأفكار الصوفية الإسلامية المستسقاة من الروايات الإسرائيلية مع بعض أفكار الهرمسية؛ إلا أن التفاعل لم يحدث بسبب أن هذه الروايات غير المسندة ليس مصدرها الأول الإسلام بنص قرآني أو حديث مزعوم للنبي «محمد» ﷺ.

كل هذه الأسباب لم تُفسح المجال للتفاعل بين المعتقدين، لكن اعتقد بعض المسلمين أن النبي «إدريس» متوافق مع ادعاءات الهرمسية الظاهرة؛ من ناحية أنه نبي فقط وليس إله يُعبد؛ وأنه رُفع إلى السماء، وفي هذا السياق أصبح يُنظر إلى هرمس على أنه «نبي العلم»[412].

***

# الفصل الخامس

## نبي مصر

يذكر بعض المؤرخين وأهل الأخبار أن «إدريس» عليه السلام من مواليد الألفية الرابعة قبل الميلاد، ومنهم من قال ما بين سبعة آلاف إلى ثلاثين ألف عام قبل الميلاد[413]. وعن ولادته يطفوا رأيين من بين غالبية الآراء؛ الرأي الأول «بابِل» والرأي الثاني «مصر»[414]؛ سنذكرهما قبل أن نحقق فيهما.

- **الرأي الأول**

هناك قصة يتم تداولها؛ مختصرها: أنه بعد ما ارتحل هو والمؤمنين معه من «بابل» – على حد زعم الرأي الأول – نزحوا لأيام وأيام؛ حتى وصلوا لمكان بعيد، وعندما حَدَّقوا عيونهم رأوا نهرًا عاكسًا لشمس السماء، فيه حُبُور للناظرين، فاقترفوا منه ما يروي ظمأ عنائهم الطويل، وهو بحسب الذاكرين: «نهر النيل» بمصر، فوقف إدريس أمام الماء وسبح الله، ونظر إلى شطوط النيل فاستأنسها، فكانت أرض مصر هي مُستقرهم بمناخها البديع؛ وثمارها الطيبة – وبزعم هذه القصة – قال إدريس كلمة شهيرة: «بابليون»، وقالوا إنها عبارة عن كلمتين (بابل يون)؛ ومعناهم: «خيرٌ من بابل»، فعاش فيها مع فئتِه القليلة؛ ولقّنهم تعاليم السماء، واستأنس أهلها؛ ودرّسهم العلوم والمعارف؛ وعبادة الواحد الأحد؛ وحثَّهم على مكارم الأخلاق، حتى مَلَك مصر وأقام فيها العمارة والفنون، وأصبح الناس من شتّى البلاد في مصر والعراق وغيرهم؛ يأتون إلى «منف» ويتعلمون الحِكمة والعلوم لنشرها في أرجاء العالم المعروف.

وهذا يتشابه بعض الشيء مع ما ذكره «ياقوت الحَمَوي» في كتابه «معجم البلدان»؛ ولكن باختلاف بسيطٍ في ترجمة ومعنى اسم «بابليون»، حيث قال:

«ذكر أهلُ التوراة أن مقام آدم عليه السلام كان ببابلَ، فلما قتَل قابيلُ هابيلَ مقَت آدمُ قابيلَ، فهرب قابيلُ بأهله إلى الجبال عن أرض بابل فسمِّيت بابل، (يعني به الفرقة)، فلما مات آدم عليه السلام، ونبّئ إدريس عليه السلام، وكثُر ولد قابيل في تلك الأرض، وأفسَدوا ونزلوا من جبالهم، وخالطوا أهل الصلاح وفسدوا بهم، دعا إدريس ربّه أن ينقله إلى أرض ذات نهرٍ مثل أرض بابلَ، فأري الانتقال إلى أرض مصر، فلما وردها وسكنها واستطابها اشتقّ لها اسمًا من معنى بابل، وهو «الفرقة»، فسماها «بابليون»، ومعناها الفرقة الطيبة»[415].

- **الرأي الثاني**

بينما تقول الرواية الأخرى أنه وُلد بمصر؛ وتحديدًا بـ«منف»، وأن «بني آدم» انتشروا في الأرض في هذا التوقيت؛ وهاجر الكثير منهم؛ سواء من ذرية «شيث» أو ذرية «قابيل» إلى آسيا وأوروبا، ومرت جماعة منهم إلى إفريقيا، كان بينهم الوالد «يارد»؛ الذي أنجبَ «إدريس» عليه السلام بمصر، أي إن الرأي الثاني يُرجح أنه مصري الوطن حيث ولادته بمصر [416]، وهذه الأخبار موجودة بوضوح في كتابات عربية؛ كُتِبت بين نهاية العصور الوسطى المبكرة وفترة العصور الوسطى العليا وصولًا للعصور الوسطى المتأخرة، واستمر التصديق بها لقرون قبل فك رموز «حجر رشيد» الهيروغليفية.

قصة ولادته بمصر وكذلك ملخّص الرأيين ذكرهم مؤرخون كُثر؛ لكن ما يتم تداوله على نطاق واسع مقتبَس من كتب: المقريزي، والسيوطي، وابن تغري بردي، وابن إياس[417]، والقفطي[418]، وابن العبري[419]، والألوسي[420]، والقرماني[421]، واليعقوبي[422]، ، وابن ظهيرة[423]، وابن جُلجل[424]، وابن أبي أُصيبعة[425]؛ وغيرهم، لذلك لن نكرِّر ما كتبوه وسنركز مع بعضٍ منهم؛ كلٌّ في موضِعه.

وهذه الروايات المنتشرة غير مستمدة من أي مصدر دينيٍّ، بل هي موجودة فقط في كتب الأخباريين والمؤرخين العرب في العصور الوسطى، وغالبيتُهم مؤرِّخونَ مصريُّون أو مؤرِّخونَ عاشوا وتأثَّروا بمصر، تداولوها من الأقدم للأحدث.

ومن أشهر المتداولين الذي استند أصحابُ هذه الآراء على روايته في كلِّ مناسبة؛ المؤرخُ المصري «تقيُّ الدين المَقريزيُّ»؛ الذي ذكر القصة بوُصُوفٍ عديدةٍ في «الخطط والآثار» بشكل مُتكرِّر، وقد أسند هذه القصص لمؤرخين قُدامى، كانوا قد جمعوها من التاريخ الشِّفاهي والتراث المصري؛ على سبيل المثال: نقل «المقريزي» عن «أبي القاسم صاعد الأندلسيِّ» الملقب بـ «اللغوي» صاحب كتاب «طبقات الأمم» قوله:

«إن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان؛ إنما صدرت عن هرمس الأوّل الساكن بصعيد مصر الأعلى، وهو أوّل من تكلم في الجواهر العلوية، والحركات النجومية، وهو أوّل من ابتنى الهياكلَ، ومجَّد الله فيها، وأوّل من نظر في علم الطب، وألَّف لأهل زمانه قصائد موزونة في الأشياء الأرضية والسماوية، وقالوا: إنه أوّل من أنذر بالطوفان، ورأى أن آفة سماوية تُصيب الأرض من الماء والنار، فخاف ذهاب العلم وانْدِراس الصنائع؛ فبنى الأهرام والبرابي[426] التي في صعيد مصر الأعلى، وصوّر فيها جميع الصنائع والآلات، ورسم فيها صفات العلوم؛ حرصًا على تخليدها لمن بعده؛ وخِيفة أن يذهب رَسْمُها من العالم»، وهرمس هذا هو: إدريس عليه السلام، على حدِّ رواية «المقريزي» المنقولة عن «اللغوي» وغير واحد ممن سبقوه[427].

وهناك شِبه إجماع بين متداولي هذه الرويات أن «إدريس» هو «هرمس» هو «حكيم مصر»، ومنهم من قال إن «هرمس» ليس اسمه؛ بل هو لقبه كحاكم، فقد ذكر «ابنُ فضْلِ الله العُمري» في المسالك:

«هرمس هو المثلَّث بالنعم، فإنه كان قبل الطوفان، ومعنى هرمس: لقب كما يُقال كِسرى وقيصر، وتسميه الفرس في سيرها: اللهجد. وتفسيره: ذو عدل، وهو الذي تذكر الحرانية – يعنى: الصابئة – نبوته[428].

وهناك روايات عربية كثيرة مُتضاربة قسمته لثلاث شخصيات في أزمنة مختلفة بوصُوفٍ مختلفة في أماكن مختلفةٍ، لكنهم أجمعوا أن واحدًا منهم على الأقل هو «إدريس» النبي، الذي قال عنه المؤرخ المصري والنسابة «أبو عمر الكندي» وكذلك المؤرخ المصري «الحسن بن زولاق»:

«هو الذي صيَّر الرصاص ذهبًا بصاصًا»[429]

و«الكندي» المتوفى في ٩٦١ م، و«ابن زولاق» المتوفى ٩٩٧ م، أثَّرَا في «المَقريزي» المتوفى ١٤٤٢ م، وهم

من المصادر التي اعتمد عليها «المقريزي» في تأريخه بشكلٍ بارزٍ.

وعن قصة مولد «إدريس» بمصر؛ ذكرت مصادر تاريخية أخرى أنه لم يُولد بمصر وحسب؛ بل إن القصةَ كاملة من «شيث» إلى «إدريس» بدايتها كانت بمِصرَ، أي إن «جبل بني شيث المقدس»؛ وكذلك السهل أو «وادي بني قابيل» كانا بمصر، وأن ملكها آنذاك أراده بسوءٍ؛ فعصمه الله، وأنزَل عليه الصحف بمصر، وأنه طاف الأرض من برابرها ليعلِّم البشر في زمانه، وقالوا مِلَّته كانت «الصابئة»، وأن الصابئة يزعمون أن أهرام مصر أحدها قبر «شيث»؛ والآخر قبر «إدريس»، فعن ذلك ذكر المؤرخ المصري: «جلال الدين السيوطي» المتوفى عام ١٥٠٥ م؛ في كتابه «حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة»، نقلًا عن العالم الجزائري الذي عاش ودرس ومات بمصر: «أحمد بن يوسف التيفاشي» المتوفى عام ١٢٥٣م؛ من كتابه: «سجع الهديل في أوصاف النيل» الذي قال فيه:

«ذكر أئمة التاريخ أن آدمَ عليه الصلاة والسلام أوصى لابنه شيث، فكان فيه وفي بنيه النبوة، وأنزل الله عليه تسعًا وعشرين صحيفة، وأنه جاء إلى أرض مصر، (يقصد مجيء شيث) وكانت تدعى «باب لون»، فنزلها هو وأولاد أخيه (يقصد قابيل)، فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولًا قابيل أسفل الوادي، واستخلف شيث ابنه أنوش، واستخلف أنوش ابنه قينان، واستخلف قينان ابنه مهلائيل، واستخلف مهلائيل ابنه يرد، ودفع الوصية إليه، وعلمه جميع العلوم، وأخبره بما يحدث في العالم، ونظر في النجوم؛ وفي الكتاب الذي أُنزل على آدم وولده ليرد أخنوخ، وهو هرمس، وهو إدريس النبي عليه الصلاة والسلام؛ وكان الملك في هذا الوقت محويل بن خنوخ بن قابيل، وتنبأ إدريس وهو ابن أربعين سنة، وأرادَه الملك محويل بن أخنوخ بن قابيل بسوءٍ فعصمه الله، وأنزل عليه ثلاثين صحيفة، ودفع إليه أبوه وصية جدِّه والعلوم التي عنده، وولده بمصر وخرج منها، وطاف الأرض كلها، وكانت مِلَّته الصابئة، وهي توحيد الله والطهارة والصلاة والصوم وغير ذلك من رسوم التعبدات، وعندما كان في رحلته إلى المَشرِق أطاعه جميع ملوكها، وابتَنى مائة وأربعين مدينةً أصغرها الرهائم (الرها بالأناضول حاليًّا).

ثم عاد إلى مصر فأطاعه ملكُها وآمنَ به، فنظر في تدبير أمرها، وكان النيلُ يأتيهم سيحًا (أي غامرًا يجري)، فينحازون مِن مَسَاله إلى أعالي الجبل والأرض العالية حتى ينقصَ، فينزلون فيزرعون حيثما وجَدوا الأرضَ نَدِيّة، وكان يأتي في وقت الزراعة وفي غير وقتها، فلما عاد إدريس جمع أهل مصر، وصَعِد بهم إلى أول مَسِيل النيل، ودبّر وزن الأرض، ووزن الماء على الأرض، وأمرهم بإصلاح ما أرادوا من خَفْض المُرتفع؛ ورَفْع المُنخفض وغير ذلك مما رآه في علم النجوم والهندسة والهيئة»[430].

وتُكمِل القصة التي أوردها «السيوطي» عن «التيفاشي» وتقول:

«وكان أول من تكلّم في هذه العلوم وأخرجها من القوة إلى الفعل؛ ووضَع فيها الكتب ورسم فيها العلوم، ثم سار إلى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها، وجمع أهلها، وزاد في مسافة جَرْي النيل ونقصه بحسب بطئِه وسرعته في طريقه، حتى عمل حساب جريه ووصوله إلى أرض مصر في زمن الزراعة على ما هو عليه الآن، فهو أول من دبَّر جَرْي النيل إلى مصر.. ومات إدريس بمصر، والصابئة تزعم أن هرمَي مصر؛ أحدهما

قبر شيث، والآخر قبر إدريس»

انتهى كلام «السيوطي» نقلًا عن التيفاشي[431].

هذه الكتابات مُتكررة في عشرات الكتب التأريخية التي كُتبت في العصور الوسطى؛ وقبل فك «رموز الحضارة المصرية القديمة»، ولا داعي لتكرارها؛ لأنها منقولة نصًّا هنا وهناك.

توقفت هذه الكتابات الأخبارية بشكل كبير بعد فك رموز الهيروغليفية، ورغم ذلك؛ لم تتوقف استنتاجات الباحثين والمفكرين ومحاولاتهم توافق قصة نزول «إدريس» ﷺ لمصر؛ مع تاريخ الحضارة القديمة المذهلة، خاصةً أن فترة ما قبل الأسرات مبهمة وغامضة بشكل كبير - حتى بعد فك رموز الهيروغليفية - ومن هؤلاء المفكرين «السيد أبو الفضل المنوفي» سابق الذكر؛ صاحب الطريقة الفيضية الشاذلية، وهو مثَل واستشهاد مهمٌّ لكل من يربطون «إدريس» بمصر وأهراماتها وعمارتها؛ كأمثال شخصيات دينية مصرية هامة، منها مفتي أسبق للديار المصرية، فيما سيرِد ذِكْره.

**فلسفة المنوفي**

نظر الشيخ «المنوفي» بفلسفته إلى المعبودين أمثال: «بوذا»، و«زاردشت»، و«هرمس» بأنهم كانوا في الأصل أشخاصًا حكماءَ؛ مثلهم مثل الفلاسفة: «طاليس»، و«أفلاطون»، و«سقراط»، و«فيثاغورث» وغيرهم، وقال: كل هؤلاء كانوا موحِّدين بالواحد الأحد، ومؤمنين بديمومة العِبادة لله بالروح والعقل والجسد[432].

ومن هذا المنطلق؛ رأى أن المصريين الأوائل كانوا على معتقدات قديمة تدعو إلى التوحيد الإلهي؛ اقتبسوها من الرسل الذين أرسلهم الله مع تطور الزمان: مثل «نوح» و«سام بن نوح»، وقبل ذلك نبي مصر «إدريس» - على حدِّ زعمه - حيث قال: إنه نزل هو وأتباعه من آسيا منبع التوحيد إلى مصرَ، ليدعوا المصريين إلى عبادةِ الله الواحد الأحد، وقال: إن نبيَّ الله «إدريس» ﷺ، اسمه «حوروس القديم»، وأن أتباعه القادمين معه كان اسمهم الحورشوس (أي أتباع حوروس)، وأكد كذلك أن «إدريس» هو نفسه «أخنوخ» و«هرمس»، وأن «إدريس» هو فقط الاسم الذي سمّاه به الله في القرآن الكريم[433]، أما اسمه الحقيقي فهو «حوريس».

وعن التخبُّط في وصف «هرمس» وتعدد اسمه بثلاث تجليات؛ قال «المنوفي»: إن للمؤرخين رأيين في هذا التعدُّد:

-رأي يقول بأنَّ سببَ التعدد هو اسم «هرمس» الذي انتقل مع تعاليمه إلى الفرس واليونان والكلدان[434].

-ورأي آخرُ يقول: إن بعض تلاميذ «هرمس» الذين تفرقوا في الأقطار لُقبوا أيضًا بالهرامسة تبعًا لمعلِّمهم، لكنه رجح الرأي الأول[435].

وذكَر «المنوفي» نفس قصة قدومه إلى مصر المذكورة من قبل، وتسميتها بـ «بابليون»، لكنه ترجمها (نهر كنهركم)، وأردف قائلًا:

«حتى هبط إليها «مصراييم بن حام» بعد الطوفان فحكمها (يقصد بعد زمان إدريس)، وهو نفسه «مينا» أو «ميناس»؛ أول ملوك العائلات بعد الكهنة».

أي إن «إدريس» كان قبل «مينا» بأدهار طويلة، وأن أدهار ما قبل الأسرات كان نبيها «إدريس»[436].

كما قال: إن مصر كان لها دينها التوحيدي وعلومها النادرة؛ قبل ٤٥٠٠ ق.م، (أي قبل توحيد القطرين الواقع عام ٣٢٠٠ ق. م؛ ونظام الحكم الملكي أو حكم الأسرات)، وأن الفترة ما بين عهد «إدريس» و«توحيد مينا» وتكوين حكم الأسرات؛ كان الكهنة أتباع النبي حوروس - إدريس - هم من يحكموها، واستند بذلك على أن مصر قبل «توحيد مينا للقطرين» كانت تمتلك مجموعة من التآليف والعلوم السرية والمعارف الرياضية والطبيعية والطبية وغير ذلك، وكان لها تقاليد أولية ثابتة بالكتابة ظهرت قبل «توحيد مينا» بقرنين، بالإضافة إلى نظم أخرى سياسية واجتماعية وأدبية، وبحسب رأيه؛ كل هذه النظم ترجع إلى ما بين سبعة آلاف وثلاثين ألف سنة قبل الميلاد، وأنهم أخذوا دينهم وعلومهم جميعها من نبيهم «إدريس»[437]، وأن ثورة «أخناتون» التي قامت بعد هذا الزمان؛ كانت تمردًا على عبادة الناس للأصنام؛ واتجاههم للشرك من دون الله الواحد الأحد (الذي لقبوه بـ «آتون»)، بعد أن جنحوا عن تعاليم «إدريس» الأُولى.

كذلك وضح أن هناك فرقًا بين «حوريس» الذي هو (حورس)، وبين «حوروس» الذي هو (إدريس)، وأن «إيزيس» و«أوزوريس» أطلقوا على ابنهم اسم «حوريس» تيمنًا باسم حوروس - إدريس - النبي المثلَّث.

ويقول المنوفي: إن مصر ثاني ديانة توحيدية في التاريخ بعد الهند، وأن ديانة نوح في بلاد النهرين جاءت بعد الديانة المصرية الحنيفية؛ فطرة الله التي فطر الناس عليها، وأن الدين المصري أساس الدين الكلداني والفارسي والإغريقي والروماني إلى عهد الإسكندر، ثم ظهور اليهودية والمسيحية والإسلام بعد ذلك[438].

تتشابه فلسفة «المنوفي» مع الأخبار المكتوبة من العصور الوسطى، والتي ركز بعضها على أن «إدريس» أول من بنى أهرامات مصر؛ بعدما ألهمه الله علم النجوم، فدلته على أنه سينزل بالأرض آفة وأنه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها إلى علم، فبنى هو وأهل عصره الأهرام والصُّروح؛ ودوّن علمه فيها حتى لا ينقرض[439][440]، والجديرُ بالذكر؛ أن انتساب الأهرامات لـ «إدريس» هو رأي سائدٌ لدى الكثير من المؤرخين[441] الذين تناقلوا عن بعضهم؛ أو عن المصدر الأساسي.

الأهرامات المصرية جميعها تُعدّ من أروع إنجازات الحضارة الإنسانية؛ ورمزًا خالدًا لعظمة مصر القديمة على ضفاف وادي النيل، تقف أشهر هذه المباني الضخمة شامخةً من «أبو رواش» شمال الجيزة إلى هوارة على مشارف الفيوم؛ كما أن هناك أهرامات أصغر مكتشفة بصَعيد مصر، وبسبب شهرة أهرامات الجيزة المذهلة يغفل البعض أن مصر تمتلك عشرات الأهرامات الأخرى، حيث يصل عددها إلى ١٣٨ هرمًا معلومًا حتى الآن، أقدمهم «هرم زوسر» المدرّج؛ الذي يعود إلى عصر الأسرة الثالثة (نحو ٢٧٠٠ سنة ق.م)، وآخرهم هرم الملك «خند جر» من عصر الأسرة الثالثة عشر(نحو ١٧٦٤ سنة قبل الميلاد)، وتنوّعت أشكال الأهرامات من هرم زوسر المدرّج في سقارة؛ إلى الهرم مائل الشكل؛ ثم إلى شكل الهرم الكامل المعروف في أهرامات الجيزة، وربما مستقبلًا تظهر أهرامات أخرى مع البحث والتنقيب.

وتقع معظم الأهرامات في الضفة الغربية لنهر النيل؛ حيث اعتقد المصريون القدماء أن روح الملك تُرافق الشمس في رحلتها اليومية، أما مداخلها فجعلوها في وسط الواجهة الشمالية؛ لِتُتيح للروح الدخول والخروج بسهولة، فنسبةً لعلم المِصريات؛ شُيّدت الأهرامات كمقابر للملوك كي تُدفن فيها المومياوات؛ ومن ثَم مساعدتهم في رحلتهم إلى الآخرة؛ وصعودهم إلى الذات الإلهية في السماء، على سبيل المثال؛ عندما بنى «خوفو» أكبر هرم في مصر؛ كان الناس يعتقدون أن روحه ستظل تحفظهم وتحميهم حتى بعد مماته، وكانوا يؤمنون أن روح الملك بعد دفنه ستعرج للسماء العليا وينضمُّ للآلهة كإلهٍ معهم؛ لذلك تعهدوا بتقديسه بعد موته حتى لا تنقطع نِعم الآلهة؛ كفيضان النهر، وحتى لا تصيبهم عاقبة العُصاة؛ كانْبِثَاثِ الشر وحجب النِعم والخيرات، لكن لا تزال تركيبته الداخلية ودلالات مماته وتجاويفه أمرًا يصعب تفسيره حتى الآن، ومن هذا المنطلق؛ نقشَ المصريُّ القديم نصوصًا مقدسة على جدران حجرة الدفن الملكية، عُرفت بـ «نصوص الأهرام»، وهي عبارة عن تراتيل وتعاويذ يتلونها أمام الآلهة؛ لتوجيه روح الملك وحمايتها في مررها للعالم الآخر.

تعد الأهرامات المصرية – لا سيما «خوفو» و«خفرع» و«منكاورع» – إعجازًا معماريًّا غامضًا لم تُفك كل شفراته حتى الآن؛ رغم التقدم التكنولوجي الحالي، فهذه الأهرامات الثلاثة بالذات؛ بها مجموعة أسرار وأسئلة لم يضع لها عِلْم المصريات إجابات مُشبعة تقضي في الأمر بشكلٍ قاطع، منها على سبيل المثال:

- **١ – تقنيات البناء**

تُشير بعض النظريات إلى أنّ أهرامات الجيزة الثلاثة موجَّهة بدقة نحو الجهات الأصلية الأربعة (الشمال والجنوب والشرق والغرب)؛ مع هامش خطأ ضئيل للغاية، ممّا يُثير تساؤلات حول كيفية تمكُن المصريين القدماء من تحقيق ذلك بدقة عالية؛ دون استخدام أدوات متطورة كالتي نملكها حاليًّا، فما هي أدواتهم؟ ومن المهندس الإعجازي الذي علمهم هذا؟

نقل الأحجار الضخمة: لا تزال كيفية نقل كتل الحجر الضخمة، التي يصل وزنها إلى ١٥ طنًّا إلى موقع

البناء لغزًا يُحيّر العلماء.

وجود فراغات غامضة: تمّ اكتشاف العديد من الغرف والممرات السرية داخل الأهرامات، ممّا أثار تكهُّنات حول وظائفها ودلالاتها، ومنذ ثماني سنوات (عام ٢٠١٦) هناك مشروعٌ قائم لدراسة الغرف السرية وممراتها باستخدام أحدث وسائل التكنولوجيا؛ لكنه لم يُعلن عن نتائج حتى الآن.

- **٢ - الارتباط بالنجوم والأفلاك**

يزعم بعض المهتمين أن أهرامات الجيزة قد شُيّدت لِتُستخدم كبوابات نجمية للسفر بين النجوم والأبعاد؛ اعتقادًا منهم بمعرفة المصري القديم أسرارًا عن علم النجوم والحسابات الفلكية لم تصل إلينا حتى الآن، ويتسائلون من العالِم الخارق الذي علمهم هذا العلم؟

التوافق مع الأجرام السماوية: تُشير بعض الدراسات إلى أنّ أهرامات الجيزة مُصمّمة لتتوافق مع مواقع الأجرام السماوية في وقت بنائها، ممّا يدعم فكرة ارتباطها بالمعتقدات الدينية والفلكية، لا سيما التي نسبوها لـ «إدريس» عليه السلام.

- **٣ - رسومات ورموز غامضة**

بسبب وجود بعض النقوشات والرموز على جدران المعابد؛ والتي لم يُعلم سببها أو تفسيرها؛ تم إثارة الجدل حول معناها ودلالاتها، حيث لا تزال وظيفة ومعنى بعض الرموز غامضة حتى الآن؛ فربما تُشير إلى معتقدات وطقوس لم يتم فَهمها بشكل كامل، وحتى التي قُدم لها تفسيرات؛ ستجد هذه التفسيرات مختلفة بين علماء المصريات أنفسهم؛ ولم يجتمعوا على تفسيرٍ واحدٍ في بعض الأحيان.

- **٤ - طاقة غامضة:**

يزعم بعض الباحثين أن هناك طاقة غامضة داخل الأهرامات، ممّا أثار تكهنات حول إمكانية استخدامها لأغراض علاجية أو روحية في زمانها.

وبسبب كل هذا؛ لا تزال هناك العديد من النظريات والتكهنات التي لم يتمّ إثباتها علميًّا، وثمةَ مزاعم يراها بعض المُشككين من زاوية مختلفة، وبين الحقيقة والأسطورة ما زالت الأهرامات من أهم الاعتبارات.

وتتشابه كل هذه الأمور الغامضة مع السِّمات المنسوبة لنبي الله «إدريس» عليه السلام؛ فبالإضافة إلى ما سبق من روايات؛ هناك روايات عديدة ذكَرت نصًّا بناءَ «إدريس» للأهرامات، وعنهم يقول «المقريزي»:

«ومِن الناس من زعم: أنّ هرمس الأوّل المدعوّ بالمثلّث، بالنبوّة والملك والحكمة، وهو الذي يُسميه العبرانيون: خنوخ بن يزد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم عليه السلام، وهو إدريس عليه السلام، استدل من أحوال الكواكبِ على أن الطوفان سوف يعمّ الأرض، فأكثرَ من بُنيان الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يُشفق عليه من الذهاب والدُّروس حفظًا لها واحتياطًا عليها[442].

وقال «ابن النديم» في «الفهرست»:

«قد اخْتُلف في أمره فقِيل: إنه كان أحد السبعة السَّدنة؛ الذين رتَّبوا لحفظ البيوت السبعة؛ وأنه كان إليه

بيت عُطارد وباسمه يسمَّى؛ فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس، وقيل: إنه انتقل إلى أرض مصر بأسباب وأنه ملكها، ولما توفي دُفن في البناء الذي يُعرف بمدينة مصر بأبي هرمس، ويعرفه العامة بالهرمين، فإن أحدَها قبره؛ والآخر قبر زوجته؛ وقيل: قبر ابنه الذي خلّفه بعدَ موته»[443].

كما أن هناك روايات أخرى ذكرت عملية البناء فنًّا وتفصيلًا؛ فقد أورد «السيوطي» وغيره؛ نقلًا عما ساد قبلهم؛ أن «هرمس» الذي هو «إدريس» و«أخنوخ» بحسب هذه المزاعم:

«عندما علم بأن الطوفان قادمٌ؛ قرَّر بناء الأهرام كي يحتفظ فيها بالأموال وصحائف العلوم، وبنى كلَّ هرم منها مربع القاعدة مخروط الشكل، ارتفاع عموده ثلاثمائة ذراع[444] (من حوالي ١٤ ألف إلى حوالي ١٨ ألف متر)، وسبعة عشر ذراعًا (من حوالي ٨٠٠ إلى حوالي ١٠٥٠ مترًا)، يحيط به أربعة سطوح متساويات الأضلاع؛ كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعًا (من حوالي ٢١,٥٠٠ إلى حوالي ٢٨,٥٠٠ متر)، ويرتفع إلى أن يكون سطحه مقدار ستة أذرع في مثلها (متوسط ٣٥٠ مترًا)، ويقال: إنه كان عليه حجر شبه المكبة، فرمته الرياح العواصف، وهو مع هذا العِظم من إحكام الصنعة وإتقان الهندسة وحُسن التقدير؛ بحيث إنه لم يتأثَّر الآن بعصف الرياح؛ وهطل السحاب وزعزعة الزلازل، وهذا البناء ليس بين حجارته ملاط إلا ما يتخيل أنه ثوب أبيض، فرش بين حجرين أو ورقة، ولا يتخلل بينهما الشعرة، وطول الحجر منها خمسة أذرع (من حوالي مترين و٣٠ سم إلى ثلاثة أمتار)؛ في سمك ذراعين (من حوالي ٩٢ سم إلى حوالي متر وربع)، ويقال: إن بانيهما جعل لهما أبوابًا على أدراج مبنية بالحجارة في الأرض؛ طول كل حجر منها عشرون ذراعًا (من حوالي ٩ أمتار إلى ١٠ أمتار)، وكل باب من حَجر واحد يدور بلولب، إذا أطبق لم يعلم أنه باب، يدخل من كل باب منها إلى سبعة بيوت، كل بيت على اسم كوكبٍ من الكواكب السبعة، وكلها مقفلة بأقفال، وحِذاء كلّ بيت صنم من ذهَبٍ مجوّف، إحدى يديه على فِيه، في جبهته كتابة بالمسند (من اللغات السامية المنقرضة) إذا قُرئت انفتح فُوه، فيؤخذ منه مِفتاح ذلك القُفل فيفتح به»..

وتكمل نفس الرواية وتقول:

«والصابئةُ تزعم أن أحدَهما قبرُ شيث، والآخر قبر هرمس، والملون قبر صاب

بن هرمس؛ وإليه تُنسب الصابئة، وهم يحجون إليها، ويذبحون عندها الدِّيَكة والعجول السود، ويبخرون بدخن..»[445].

يتم تداول عجائب الأهرامات وبنائها لنبي الله «إدريس» في هذه المصادر؛ التي كُتبت قبلَ ظهور علم المصريات كما ذكرنا، ومع ظهوره لم تُعزز هذه المزاعم بأُسس علمية أو شواهد أثَرية، فهي مجرد سرد لأقوال السابقين في رواياتهم الشعبية، وفي نفس المواضع بالمصادر ذُكِرت أسماء مجهولة لحكَّام مصريين قدماء لم يُسمع عنهم إلا في هذا الخط المتداول فقط؛ وهو المعروف بـ «تاريخ مصر الخُرافي» - (ستجد شرحه باستفاضة في الفصل الأخير) - ولم تُعزز أخبارهم بأيِّ اكتشافٍ أثري واحد يذكُر أيَّ اسم منهم، على سبيل المثال: ذُكِر في رواياتهم عن التراث المصري الشعبي في نفس الكتب؛ أن الأهرامات بناها «شداد بن عاد»

تارة، و«العماليق» تارةً أخرى، وكل هذه الأخبار قد اشتُهرت بعد كتابات «المقريزي» و«ابن تغري بردي» و«ابن إياس» و«السيوطي» وغيرهم من هذا الجِيل، وجميعهم علماء عظام لم يروّجوا لأي أكاذيب؛ بل كانت كُتبهم موسوعية؛ غرضها تجميع حكايات التاريخ من التراث الشعبي وتدوينها؛ حتى يصل للاحقين، ولم يقوموا بالتفنيد أو التحقيق فيها لأنها أولًا: أمور لا تضر العقيدة، ثانيًا: لم يكن لديهم أي وسائل للتحقيق كما في زماننا الحالي من الدراسات العلمية والتخصصات؛ ناهيك عن الوسائل التكنولوجية.

ومع مقارنة كتاباتهم بالأبحاث الموثَّقة لاكتشاف أقدم الأهرامات؛ ستجد أن «هرم زوسر» شمال غرب آثار ممفيس، هو أول هرم تم بناؤه؛ وأقدم مبنًى حجري ضخم في مصر[446]، بُني هذا الأثر الخالد في عهد الملك «زوسر» (ما بين ج. ٢٦٧٠ - ٢٦٥٠ ق.م) في الأسرة الثالثة للمملكة المصرية القديمة، على يد مستشاره المهندس «إمحوتب»، أول مهندس معماري في التاريخ؛ والكاهن الأكبر لإله الشمس «رع»، وتتبعًا لقول مؤرخي العصور الوسطى أن «إدريس» هو صاحب الهندسة الأولى للأهرامات؛ ستجد أن هناك ما بين ألف إلى ألفي سنة لم يظهر فيهم أي أهرامات - هذا إذا افترضنا الرأي الذي قال بأقل تقدير أن زمان «إدريس» كان بالألفية الرابعة قبل الميلاد، وتجاهلنا الرأي الذي يصل إلى الألفية الثلاثين قبل الميلاد - فلماذا لم تظهر أهرامات أخرى خلال هذه الفترة الزمنية الطويلة؟!

ورغم ذلك؛ دعنا نتعرف على بانِي أول هرم موثق ومكتَشف في تاريخ مصر القديم؛ المهندس «إمحوتب»، ونرى هل تتشابه فيه أيٌّ من الصفاتِ المنسوبةِ لـ «إدريس»؟

إمحوتب المجهول بانِي أول هرم

بسبب غموض المهندس العبقري؛ ونُدرة المصادر التاريخية عنه، وتمجيده ثم تأليهه خلال ٣٠٠٠ عام بعد وفاته، ظهرت مزاعم أخرى تقول إنه هو النبي «إدريس» عليه السلام؛ الذي خطَّط وهنّدس لبناء هذه المباني المذهلة التي تسمى «أهرامات»، خاصةً بعد ما اتضح بعد وفاته لفترات طويلة؛ بأنِ اعتَبره الناس مؤلِفًا عظيمًا لنصوص الحِكمة[447]، ثم بعد ألفي عام من وفاته؛ ارتقت مكانة «إمحوتب» إلى مرتبة إلهِ الطب والشفاء[448]، والغريب في الأمر؛ أن هذه المعلومات ظهرت بعد وفاته بـ ١٢٠٠ سنة، ولم يذكر أي نص أثناء حياته هذه الصفات[449]، وهذا غموضٌ آخرَ مضاف إلى سر هندسته للهرم؛ الذي لم يُعلم بشكل مؤكد من أين استمدَّها؛ أعني هذه الهندسة التي استخدمها بُناة الأهرام بمصر في بنائهم لعشرات الأهرامات المميزة على مدار ١٥٠٠ عام، لكن المؤكد أنه عُبِد خلال عصر الدولة الحديثة (حوالي ١٥٥٠ - ١٠٧٧ قبل الميلاد)؛ كنصف إله[450].

هذا يعني أنه كان شخصًا مفيدًا وعالِمًا؛ لم يطلب من الناسِ أن يعبدوه؛ لكن بسبب تمجيده على مرِّ الزمان اتجه الناس لعبادته، وتم مساواة «إمحوتب» بـ «تحوت» السابق ذكره، وتم دمج عبادتهما معًا.

لا يزال مكان قبر «إمحوتب» باني أول هرم مجهولًا، على الرغم من الجهود المبذولة للعثور عليه، لكن هناك

شبه إجماع على أنه مخبَّأ في مكان ما بسقارة.

لم تلقَ نظرية ربط «إمحوتب» بـ «إدريس» النبي رواجًا كبيرًا؛ على الرغم من أن هندسة الأهرامات منسوبة إليه؛ ويتناسب ذلك مع ما سيأتي ذِكره في الصفحات التالية، والسبب الفرق الكبير في الزمان ما بين «إمحوتب» الذي يُرجح أنه عاش في أواخر القرن السابع والعشرين قبل الميلاد، وبين «إدريس» الذي زعموا وجوده على الأقل قبل أربعة آلاف سنة قبل الميلاد؛ ويصل الاعتقاد إلى ثلاثين ألف قبل الميلاد كما ذكرنا، وبحساباتهم هم: «إدريس» عاشَ قبل الطوفان؛ و«إمحوتب» بعد الطوفان، لكن من يدري؟ ربما أهرامات «إدريس» لم تصمد إلى الآن؛ و«إمحوتب» الغامض علِم سر الهندسة التي أورثها «إدريس» بطريقة ما؛ وحفظها للاحقين؛ فقط إن صحت افتراضات هذا الرأي.

في النهاية ورغم عدم التأكيد؛ لم تتوقف المزاعم عن الاعتقاد بأن «إدريس» ﷺ هو بانِي الأهرامات وحسب، بل هناك اعتقاد بأن «إدريس» ﷺ هو نفسه «أوزوريس»؛ بسبب التشابه المُذهل في الصفات، وكذلك السجع بين الاسمين.

***

٣ - إدريس وأوزوريس

يؤمن البعض أن «إدريس» و«أوزوريس» شخصٌ واحدٌ، وهذا المُعتقد لم يكن سائدًا في العصور الوسطى وحسب؛ بل ما يُثير الجدل أنه موجودٌ إلى هذه اللحظة؛ على سبيل المثال لا الحصر: قال الكاتبُ والباحث في تاريخ مصر القديمة الدكتور «وسيم السيسي»؛ خلال ندوة «الهوية المصرية بين التاريخ والمعاصرة»، التي أقيمت بمعرض القاهرة للكتاب عام ٢٠١٧ م؛ أن «إدريسَ» هو نفسه «أوزوريس»، وأنه دعا للتوحيد وعبادة الله الواحد الأحد، وأسس قانون الأخلاق في مصر القديمة، كما قال مرةً أخرى في حوار صحفي مع «العربية» أن «إدريس» هو الإله «أوزوريس» قبل أن يتم تأليهه؛ والنطق السليم له هو «أَدُوريس» في الحضارة المصرية القديمة، وهو أول من علَّم البشر أن هناك حياةً أخرى بعد الموت؛ بعدما كان العالم القديم يعتقد أن الأرواح بعد الموت تذهب إلى أرض الظُلمات[451].

كذلك قال في لقاء إعلامي إنّ ديانتَي «آمون» وأوزوريس» ليستا وثنيتان؛ بل هما رسالتان سماويتان، وأن المصريين القدماء كانوا موحدين لله رب الرسائل السماوية، واستشهد بكتابٍ للباحث المصري «نديم عبد الشافى السيار» (١٩٤٦ - ٢٠١٨ م) باسم: «المصريون القدماء أول الحُنفاء»؛ المنشور في عام ١٩٩٥ م، لذلك؛ كما فعلنا قبل قليل؛ وجب علينا الغوص في المصدر الرئيسي للادعاء، لكي نعرف كيف استسقى الدكتور «السيسي» وأتباع هذا الرأي معلوماتهم.

هذا الكتاب الذي استشهد به؛ قد حاول القيام بعمل مقارنة دينية بين ديانات المصريين القدماء والديانات التوحيدية - خاصةً الإسلام - وأورد المتشابهات في الوصايا الدينية بينهما وكذلك المصطلحات؛ بعدما تطرَّق لمحاولة إثبات أن «إدريس» وُلِد وعاش بمصر في العصر الحجري الحديث[452](ما بين ٦٠٠٠

- ٣١٠٠ ق.م)، ثم حاول إثبات أن المصريين عبدوا الله الواحد الأحد، وآمنوا بالآخرة، وعملوا الصالِحات[453]، بل وأن المصري القديم كان خُلُقه القرآن[454]، وأن مصر هي مهد الصابئة الموحدين، وحاول مقارنة اللغة الهيروغليفية باللغة العربية التي هي لغة القرآن؛ لإثبات أن المصريين القدماء كانوا حنفاء (أي مخلصين في إسلامهم نابذين الوثنية والشرك)، وبحَثَ في مسألة الطهارة وقال: إن المصريين القدماء عرفوا الخِتان دون غيرهم من بين حضارات العالم القديم، وعرفوا التطهُّر وحلاقة الشعر، وطهارة الجسد وطهارة المبلس، وطهارة المشرب والمأكل، وطهارة الجو والمكان، وطهارة الذبيحة؛ وقد حُرِّمت عليهم الميتة والدم؛ ولحم الخنزير الذي اعتبروه نجسًا، وكذلك الجوارح من الطير والكلاب والحَمير، ويتحدث هذا الكتابُ - الذي استشهد به «السيسي» - عن أمور أخرى كصحف «إدريس»؛ وقال إنها نزلت للمصريين، كما بحث في تفاصيل الصلوات والسجود واستقبال القبلة وأركان الديانة الإدريسية المصرية - من وجهة نظره - وغَيرها وغيْرها منِ الأمور التي حاول من خلالها إثبات أن المصرين القدماء هم أول الحُنفاء.

وباستناده على هذا الكتاب وقناعاته الشخصية كذلك؛ قال الدكتور «وسيم السيسي»: إن المصريين القدماء عرفوا السجود لله الواحد الأحد، وأن سجودَهم لله كان سجودًا بالذقن (أي مجمع اللحيين؛ وجمعها أذقان)؛ وهو ما صورته بعض التصاوير المصرية القديمة، وأنهم المذكورون في الآية الكريمة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾[455].

وأردف: إن المصريين القدماء هم الأمة الوحيدة التي سجدت بذقنها، وإنها هي المقصودة بتلك الآية، وإن المصريين صاموا لله ثلاثون يومًا من الفجر إلى المغرب (كشهر رمضان)، وإنهم أول من قالوا: «وحوي ياوحوي إيّاحا»، وفسّر أن «وحوي» هو الملاك المكلَّف بتحريك القمر، وكلمة «إيّاحا» تعنِي (اظْهَر أيها القمرُ طال اشتياقُنا إليكَ)، وأنهم من الأقوام السابقة المذكورين في الآية الكريمة التي تقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[456].

حيث إن لفظ: (من قبلكم) يشمل المصريين القدماء، وأن «الحج» كلمة مصرية قديمة معناها النور أو الضِّياء؛ وقال: المصريون كانوا يحجون في «أبيدوس» وكذلك الجزيرة (أي مكة المكرمة الآن)، وأن «إدريس» الذي هو «أوزوريس» هو بانِي الكعبةَ، فـ «ابراهيم» و«إسماعيل» رفعا القواعد فقط - على حد زعمه - كما قال أن: في زمن «أوزوريس» كانت الكعبة موجودة وحجَّ بها المصريون، وأن الصابئةَ الأوائل المقصود بهم: «حكام مصر»، واستشهد بأن الصابئةَ المندائين خرجوا من مصر لبلاد ما بين النهرين، والصابئة الحرانيين خرجوا من مصر وقصدوا الحجاز؛ لأن هذه المناطق كانت تابعة لمصر منذ الأسرة الثامنة عشر.

وفي حوار آخر عزَّز كلامه وربط الأمر بالاكتشاف الذي حدث عام ٢٠١٠ م لآثار تخص الملك المصري «رمسيس الثالث» في المملكة العربية السعودية، وهذا الاكتشاف عبارة عن نقش هيروغليفيٍّ يبرز على صخرة ثابتة؛ تقع جنوب غرب محافظة «تيماء» بمنطقة تبوك، المعروف باسم «نقش تيماء الهيروغليفي»[457].

كذلك تبنَّى بعضُ المشايخ الحاليين نفس الرأي؛ منهم مفتي أسبق للديار المصرية، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، وشيخ الطريقة الصديقية الشاذلية، والذي أطلق تصريحات مُثيرة شغلت الرأي العام؛ ربط فيها بين «أوزوريس» و «إدريس»؛ وقال هو المعلِّم الأول للبشرية من حيث التدريس والتعليم، والذي تفرقت لغات أهل الأرض في زمانه إلى ٧٢ لغةً، فكان أول من أدرك أهمية اللغات وتعلَمها جميعًا، بل وأشار إلى أن الروايات الشعبية تقول إن وجهَه هو وجه «أبو الهول» (وهذا ما سنعرضه تِباعًا)، ولكن قبل أن نعرض هذا الرأي دَعْنا نتعرف على قصة «أوزوريس» أولًا، حتى تتضح المتشابهات بعدَ ذلك.

أوزوريس

هو إله عبده المصريين القدماء، كان إلهًا للبعث والحساب؛ والخصوبة والزراعة، والموت والقيامة، وكان «خنتي أمنتيو» (أي أقدم الغربيين بالهيروغليفية المصرية)[458]، وسيدًا للفيضانات، وسيدًا للصمت[459]، وسيدَ الموتى والعالم السُّفلي، وهو رئيس محكمة الموتَى عند قدماء المصريين، وآمن المصريون بـ «أوزوريس» كواحد من أهم آلهة المجلس السماوي الذي يضم الآلهة العُليا في مصر؛ والمعروف ب «التاسوع المقدّس» الإلهي.

يعود أقدم دليل على عبادة «أوزوريس» إلى منتصف الأسرة المصرية الخامسة (من عام ٢٤٩٤ إلى عام ٢٣٤٥ قبل الميلاد)؛ رغم أنه من المرجح أنه كان يُعبد قبل ذلك بكثيرٍ[460].

وبسبب تبجيله الشديد؛ كان الوحيد الذي نافس الإله الرئيسي للمصريين؛ إله الشمس: «رع»، حيث اعتبروه في بادئ الأمر ابنًا لـ «رع» في عصر الدولة القديمة (٢٦٨٦-٢١٨١ ق.م) لما صَعِد بعد وفاته إلى «رع» في السماء، لكن مع الوقت انتشرت عبادة «أوزوريس» واهتم ملوك مصر بها؛ لارتباطه بحقيقة الموت، وبجّلوا قيامته من بين الأموات، وعبَدوه على نطاق واسع؛ لكي يمنَحهم الحياة الأبدية في العالم الغربي[461].

الأهم من كل ذلك؛ أن الأساطير تُشير إلى أن «أوزوريس» كان بشرًا عاديًّا، وأن المصريين اعتبروه إلهًا؛ حيث يعتقد بعض علماء المصريات أن أساطير «أوزوريس» ربما لملك إنسيٍّ سابق، ويعتقدون أنه راعي أغنام عاش في عصور ما قبل الأسرات (٥٥٠٠-٣١٠٠ ق.م) في دلتا النيل، وعندما كان ملكًا رفَع الشعبَ المصري من حالته البائسة إلى حياة الحضارة والازدهار، وجعلهم يكتشِفون ثمرات الأرض وخيراتها، وبالتَّبعية منحهم القوانين؛ وعلَّمهم احترام الآلهة، وبعد ذلك زرَع الأرض كلها لينشُرَ فيها الحضارة، وبسبب عظمة علومه وحكمته وأفكاره؛ تم تبجيله كإلهٍ بعد ذلك[462].

وتقول أسطورة قديمة: إن «أوزوريس» هو أول ملك مصري على الإطلاق، وكانت مملكته هي «زيدو» المقدسة، التي سُميت على اسم تعويذته المقدسة، وهذا يتناسب مع ما ذكرته «بردية تورينو»، التي توضح حكَّام مصر؛ بأن الآلهة قديمًا كانت تحكم مصر، والتي عدّت «أوزوريس» قبل الأخير منهم.

تقول الأسطورة: إن أخاه الشريرَ «ست» - رَمْز الشر وإله الصحراء والعواصف؛ ولاحقًا إله الظلام والفوضى- نصب له مكيدةً بغرض قتله طمعًا في عرشه؛ خاصةً بعدما أوغر صدره حقدًا عليه، فأنشأ

احتفالية كبيرة واستعرض فيها تابوتًا رائعًا على مقاس أخيه «أوزوريس» بمنتهى الدِّقة، وطلب من الحضور تجربة النوم فيه؛ وأعلن أن التابوت سيكون هدية من نصيب الشخص الذي يناسب مقاسه عندما يرقُد فيه، لكنه لم يكن مناسبًا إلا لـ «أوزوريس»، وعندما نام فيه أخوه أغلقَه بسرعةٍ، وقام بصك التابوت بالمسامير والرصاص المُنصهر؛ ثم ألقاه في نهر النيل.

وجدت «إيزيس» جُثة زوجها «أوزوريس» ثم أخفتها في القصب، لكن «ست» عثر عليها وقام بتقطيعها، ورماها في أنحاء متفرقة من وادي النيل، حزِنت «إيزيس» وأختها حزنًا عميقًا؛ وبدأت رحلة البحث عن آراب زوجها؛ حتى تمكَّنت بعد ذلك من استرداد أشلائه المتفرقة؛ وقامت بتجميعها ثم لفته، وأصبح من أوائل الذين ارتبطوا بلف المومياء، وبعد تحنيطه ألقت عليه تعويذة؛ وجلَست تبكي وتستعطف الآلهة، فتأثرت أمه «نوت» التي استجابت للنداء، وقامت بإحياء رميم عظامه وردت إليه روحه، وبفضل ذلك حملت منه «إيزيس» بالابن الرابع «حورس»، وبعد ولادته أصبح يُنظر إليه على أنه ممثل للبدايات الجديدة والمُنتصر على «ست» المُغتصِب، بعد ذلك رفعت الآلهة «أوزوريس» إلى السماء، ليصبح إلهَ مملكةِ الموت والعالم السُّفلي؛ تعويضًا له على صبره وورعه لِما قابله من عناء، وبسبب موته وقيامته، ارتبط أوزوريس بفيضان النيل وتراجعه.

في كل مكانٍ وجَدَت فيه «إيزيس» قطعةً من جسد «أوزوريس»؛ بنى المصريون المعابدَ، أشهرها موضع رأس «أوزيريس»: معبد «أبيدوس»، وفي رسومات هذا المعبد الذي أقامه الملك «سيتي الأول»؛ تشرح التصاوير الجِدارية ما قامت به «إيزيس» من تجميعٍ لجسد «أوزوريس»؛ ومن ثمَّ عملية المُجامعة بينهما، لتحمل بابنهما الإله «حورس» الذي تسلَّم مهمة أخذ ثأر أبيه من عمّه، وبسبب انتصاره على الموت وُهِب «أوزوريس» الحياة الأبدية والألوهية على العالم الثاني.

نسخة أخرى من الأسطورة يرويها الفيلسوف اليوناني وكاهن معبد «أبولو»: «بلوتارخ»، تقول: إن «ست» كان له شركاء مخطِّطون لقتل «أوزوريس» على رأسهم ملكة إثيوبيا واثنان وسبعون شريكًا آخرون[463].

كما توجد نسخةٌ ثالثة من الأسطورة؛ قدمها المؤرخ اليوناني الكبير «ديودور الصقلي» تقول: إنّ «أوزوريس» كان ملكًا مصريًّا قديمًا قام بتعليم المصريين فنون الحضارة؛ بما في ذلك الزراعة، ثم سافر حول العالم مع أخته وزوجته «إيزيس» والإغريق و«ربات الإلهام التسعة»، ثم عاد مجددًا إلى مصر بعد رحلة علمية حافلة، فقتله أخوه الشريرُ «تايفون»، (تايفون في الأساطير اليونانية: كان عملاقًا أفعوانيًّا وحشيًّا وواحدًا من أكثر المخلوقات فتكًا؛ وكان سَلفًا للعديد من الوحوش الشهيرة)، قام «تايفون» بتقسيم الجثة إلى ستة وعشرين قطعةً، ثم قام بتوزيعها على زملائه المتآمرين من أجل توريط الجميع في جريمة القتل، وبعد الفجيعة؛ انتقمت «إيزيس» و«حورس» لمقتل «أوزوريس» وقتلوا «تايفون»، ثم استعادت جميع أجزاء جسد زوجها المقتول، باستثناء القضيب، ودفنتها سرًّا، حتى عادت إليه الروح[464][465].

وعن دوره في «محكمة الموتى» تقول الأسطورة التي ذكرناها سابقًا عن دور «الإله تحوت» الذي يسجل عملية حساب وزن قلب الميت بريشة الحق «ماعت»، وإن كان مذنبًا ستأكله «عممعموت»؛ أن دور «أوزوريس» يأتي إن كان عمل الميت صالحًا؛ حيث يقف في استقبال الصالحين في حديقة الجنة، والجدير بالذكر؛ أن دورَ «حورس» الابن في هذه المهمة هو اصطحاب الميت وتوجيهه إلى خطوات الحساب.

بسبب تجلياته؛ تم تصوير «أوزوريس» كلاسيكيًّا على أنه إلهٌ ذو بشرة خضراء، ومومياء يرتدي تاجًا مميزًا، ويحمل عصًا ومذبَّة رمزية، والغريب في الأمر أن «أوزوريس» لم يُصوَّر بوجه حيوان كعادة آلهة المصريين القدماء، بل صوّروه بوجهه الإنسِيّ؛ وهذا من أهم ألغازه.

ينسب إليه المصريين الفضل في تعليمهم الزراعة وفنون الحياة والحكمة والكتابة ولبس الملابس بعد لبس الجلود، وهو في الرسوم والنقوش المصرية يظهر مقدسًا للزراعة؛ من خلال تصويره راقدًا وعيدان الزرع تبرز من جسده، وتم وصفه بصفات عديدة في كتاب «الجبتانا» الذى وضعه المؤرخ والكاهن المصرى وابن مدينة سمنود: «مانيتون السمنُّودى»، الذي عاش في المملكة البطلمية في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، والذي كلفه «بطليموس الثاني» بكتابة تاريخ مصر، حيث أشار «مانيتون» إلى أن الآلهة كلَّفت «مينا نارمر» بتوحيد مصر؛ بسبب الفوضى والشتات اللذان نجما عن حرب «ست» الشرير مع «أوزوريس وحورس وإيزيس»، وقال عن «أوزوريس»: إنه كان يصعد للسماء لتلقِّي الإشعارات، وتعلم الكتابة والحكمة والعلوم والفنون وتخطيط المدن والحِرف جميعها، ثم استغل علومه التي تلقَّاها بعد نزوله أرض الواقع، واهتم بتعليم الناس الطب وفنون الري والزراعة، وابتكر أدوات مثل المحراث والشادوف، ووصفه بأنه أول من جعل المصريين يبنون المدن ويسكنون البيوت، حيث كانوا من قبله يسكنون الكهوف، وقال: إنه أول مَن شيّد المعابد الضخمة، فازدهرت في عهده المدن والصناعات؛ وعرف الناس لبس الأثواب الكَتانية، كما أشار إلى تلقِّيه وحى من الآلهة؛ ورؤى في منامه.

استمرت طائفة من المصريين في عبادة «أوزوريس» أكثر من ألفي وخمسمائة سنة، وتحديدًا حتى خمسينيات القرن الرابع الميلادي بأقصى تقدير، أثناء صعود المسيحية في الإمبراطورية الرومانية التي تبِعتها مصر آنذاك، وبعد فترة طويلة من المراسيم الإمبراطورية التي صدرت في أواخر القرن الرابع؛ والتي أمرت بإغلاق معابد الآلهة «الوثنية»، وكان معبد «فِيلة» آخر معبدٍ مصري قديم كبير تم إغلاقه[466].

بناءً على كل ماسبق:

-هل فعلًا كان «إدريس» هو «أوزوريس»؛ ومع مرور الوقت رفعه الناس لَمرتبةِ الآلهة وحاكوا له أسطورة تخلده، ثم عبده المصريون كما يفعل العديد من الأقوام التي ضلَّت؟

-هل حكم «إدريس» مصر كمَلك ونبيٍّ في آنٍ واحدٍ، كما حكم «داود» و«سليمان»؟

-ما سر تشابه الموروث الشعبي لكلٍّ منهما؟

- **أوجه التشابه**

لا توجد أي ردود علمية على هذه الأسئلة؛ لذلك تُرك العَنان للمؤرخين والمفسرين في سد ثغرات قصة «إدريس» عليه السلام قليلة المحتوي؛ عبر تصورات وآراء ونظريات متنوعة، ثم قاموا بمحاولات توفيقية للربط بينهما:

-فكلاهما يُوصف بالملك العادل المبارك من السماء.

-وكلاهما عاشَ بأرض مصر وحكمها، (بحسب المؤمنين بأنه نزل مصر).

-ويُنسب لكلٍّ منهما الحكمة وتعليم الناس الزراعة والتخطيط والكتابة والطب والحكمة، ومتابعة حركة الكواكب والنجوم.

-وكلاهما أقام مدنًا وأسكن الناس البيوت وألبَسَهم المَخيط لأول مرة؛ وعلّم الناس فنون الحياة.

-كلاهما ترك الدنيا مرتين؛ (بحسب المؤمنين بأن إدريس عرج إلى السماء ليتعلم ثم هبط ليعلِّم الناس، وبعدها رُفِعَ فقبضت روحه في السماء).

-كلاهما تلقَّى وحيًا ورؤًى.

-وضوح التوافق بين ما كتبه «الجبتانا» عن «أوزوريس»؛ وما كتبته «أسفار أخنوخ المحرمة» عن «إدريس»، في أن كل منهما سيكون شهيدًا على الناس يوم الحساب، وأن رَفْعهما تم تمهيدًا لذلك.

الأهم من ذلك؛ أن الدراسات تقول: إن «أوزوريس» كان بشرًا عاديًا ثُم تمَّ تأليهه على الأرجح؛ بل إن هناك من يطعنون بمسألة تأليهِ «أوزوريس» من الأساس، فلم يجدوا عنه أنه ادّعى الخَلْق، كذلك تجد الآلهة المصرية القديمة جميعها تم تصويرها بجسدِ إنسانٍ ورأس أشكالٍ حيوانية، ما عدا «أوزوريس»؛ الذي لم يتخلى عن صورته الإنسية مما جعله متفردًا.

من ناحية أخرى؛ يرى البعض أن كلًّا منهما حاربَهُ الشيطانُ، وأن «ست» في «أسطورة أوزوريس» هو تجسيدٌ للشيطان، كتخليدٍ لقصة قتل «قابيل» لأخيهِ «هابيل»، وهو يعني تكرار الرمزية بين الخير والشر في كلِ زمان ومكان.

بهذا الشكل؛ تجد هذه الفرضية رسوخًا في عقل متبنوها؛ بسبب التعمق في الدلالات والرمزيات كطبع للعقل البشري عمومًا.

من ناحية أخرى؛ ما زال البحث متواصلًا عن رمزية التمثال المصري القديم العملاق المعروف بـ «أبي الهول»، فلم توجد دراسات مشبعة تجيب عن الأسئلة التي تُطالب بالرد على تفسيرات وجوده؛ لذلك هو أيضًا في مرمى التكهُّن والتخمين والارتباط بشخصية النبي «إدريس» عليه السلام.

***

٤- إدريس وأبو الهول

مرة أخرى أثار مفتي الديار المصرية الأسبق جدلًا واسعًا شغَل الرأي العام المصري؛ من خلال تصريحات تلفزيونية قال فيها: إن هناك كثيرًا من الأقاويل التي يرجِّحها العلماء، تثبت أن نبي الله «إدريس»

هو مَن بدأ بناء الأهرامات وعلّم الناس التحنيط، وأن وجه تمثال «أبي الهول» في مصر هو وجهه، كما وضح أن الأثريين يذهبون إلى أن «أبا الهول» موجودٌ قبل الأهرامات، وأن سيدنا «إدريس» ليس هو «خوفو» أو «خفرع» أو «منكاورع»، وابتدعوا فيه ذلك؛ لأن الفراعنة كانوا يصوِّرون مقدساتهم في صورة طائر أو حيوانٍ، ولكن مع «أبي الهول» صوَّروه في صورة إنسان، (مثله مثل أوزوريس)؛ وهو ما يتناسب مع حِكمة المُعلِم الأول و«هرمس الهرامسة» وحكيم الحكماء؛ لأن النبى الكريم علَّم البشرية أشياء من أجل الدخول للحضارة.

واعتمد هذا الرأي على ما كتبه الشيخ «محمود أبو الفَيْض المنوفي» قبل ثمانين عامًا؛ في كتابه «الدين والفلسفة والعلم» عن سر «أبي الهول»، وهذا سيستدعينا للتعرف على هذا الرأي والتعرف على وجهة نظر المصدر، لكن قبل ذلك؛ يجب أن نتعرف على غموض «أبي الهول» بشكل مختصر؛ الذي جعله في مرمَى التكهُّن.

أبو الهول

«أبو الهول» هو تمثالٌ من الحجر الجيري برأس إنسانٍ، وجسم أسد متكئ، ويعد أقدم منحوتة ضخمة معروفة في مصر، وواحد من أكثر التماثيل شُهرة في العالم، يقف هذا الحجر العملاق شامخًا بارتفاع حوالي ٢٠ مترًا إلى نهاية رأسه، وطوله ٧٣.٥ مترٍ؛ من ضمنهم ١٥ مترًا طول قدميه الأماميتين، وعرضه ١٩.٣متر[467]، وقد تم قطع الشكل الأصلي لـ«أبي الهول» من الصخر، وتم ترميمه منذ ذلك الحين بطبقات من كتل الحجر الجيري.

يقع «أبو الهول» على هضبة الجيزة جنوب شرق الأهرامات الكبرى بالضفة الغربية لنهر النيل، ورغم أن تاريخ بنائه غير معروف بشكل محدد؛ توجد أدلة ووجهات نظر متضاربة على مر السنين ادّعت تاريخ بنائه، أما وجهة النظر التي يتبناها علم المصريات حاليًّا لا تزال تُشير إلى أن تمثال «أبا الهول» العظيم قد تم بناؤه على يدِ باني الهرم الأوسط الملك «خفرع» (٢٥٥٨ ق.م -٢٥٣٢ ق.م)؛ وأكدوا وجود تشابه بينه وبين وجه «أبو الهول»[468]، في حين يعتقد آخرون أن «جدف رع»؛ الأخ الأكبر لـ«خفرع»، هو من قام ببناء تمثال «أبو الهول» تكريماً لوالدهم «خوفو».

لكن الواقع أن مسألة مَن هوَ بانِي «أبا الهول» لا زالت مفتوحة للبحث؛ لأن مسألة بناء «خفرع» له مجرد افتراضية ليست مدعومة بحقائق علمية مُرضية؛ رفضها مجموعة من العلماء (غالبيتهم جيولوجيين)، خاصةً بعد ظهور أدلة توضح مدى التآكل المائي داخل وحول منطقة «أبي الهول»، التآكل الذي لم يحدث بالمثل في هرم «خفرع» الأوسط، لذلك افترضوا أن «خفرع» لم يكن هو بانِي «أبي الهول»، بل إنه بُني قبل هرم «خفرع» بأكثر من خمسة آلاف عام - على حد زعم البعض - وهذه الفرضية مشهورة باسم «التآكل المائي لـ«أبي الهول».

حاولت افتراضية ثالثة التوفيقَ بين الافتراضيتين؛ وقالت: إن التمثالَ نُحت في عهد «خفرع»، لكن

المحجر[469]نفسه كان قائمًا قبل زمانه بزمانٍ طويل، وأن «أبو الهول» عبارة عن كتلة مُتراصة منحوتة من أساس الهضبة نفسها[470]، وأن طبيعة الحجر الجيري الموجودِ في المِنطقة متفاوتٌ في مقاومة الرياح، وبالتالي كان حجر «أبو الهول» هو صاحب الحظ الأقل في مقاومة عوامل التعرية؛ لذلك نجد جسمه حتى رقبته أضعف بكثير؛ لأنه منحوتٌ بسمكٍ أقل، عكس الساقين والجزء السفلي من الجسم [471]، وهذَا الرأيُ يَعني أَنّه لَا مَانعَ مِن أَن يكُونَ البِناء قَد تَم في زمانِ «هَرم خفرعَ»؛ وأَن التآكُلَ ليس بِالضرُورة نتيجة القِدم؛ بَلْ رُبما يَعُود إِلى اختلافِ الجُودةِ بينَ الأَحجَارِ المُستَخدَمَة.

أما عن أنفه فربما لم تُنحل بفعل عوامل التعرية التي أضعفت الرأس؛ حيث إن الفحص الدقيق يُشير إلى وجود عمل متعمَّد باستخدام قضبان أو أزاميل، وقد نسَب «المقريزي» كسر أنف «أبا الهول» إلى شخصٍ مسلم صوفي اسمه «محمد صائم الدهر»، في عام ١٣٧٨ م، حيث قال:

«وفي زمننا، كان شخص يُعرف بالشيخ محمد صائم الدهر؛ من جملة صوفية الخانِقاه الصلاحية سعيد السعداء، قام في نحو من سنة ثمانين وسبعمائة لتغيير أشياء من المنكرات، وسار إلى الأهرام وشوّه وجه «أبا الهول» وشعثه، فهو على ذلك إلى اليوم، ومن حينئذ غلبَ الرمل على أراض كثيرة من الجيزة، وأهل تلك النواحي يرون أن سبب غلبة الرمل على الأراضي فساد وجه «أبي الهول»، ولله عاقبة الأمور»[472].

والجدير بالذكرِ؛ أن قصة «صائم الدهر» لها طاعنين في صحتها كذلك.

لا يزال لغز بناء تمثال «أبي الهول» من أعظم ألغاز التاريخ، هذا التمثال الشامخ الذي لم يُعرَف إلى الآن اسمه الأول بشكل موثّق وبعيدٍ عن الحكايات الشعبية، فلم يتم ذكر «أبو الهول» إطلاقًا في أي نقش يخص المملكة المصرية القديمة، بينما في المملكة المصرية الحديثة تم تبجيله وعبادته، واستدل العلماء على ذلك أولًا بـ «لوحة أمنحتب الثاني»؛ التي تعتبر من أكبر اللوحات التاريخية؛ وهي بمثابة مدونة لحروبه وانتصاراته، تم العثور عليها عام ١٩٣٦ م في الجهة الشمالية الشرقية من المكان الذي يربض فيه تمثال «أبي الهول»، وتم ترميمها في عام ٢٠٢١ م.

أقام «أمنحتب» هذه اللوحة بعد زيارته لـ «أبي الهول» من أجل الحج لهُ بعد تتويجه بعرش مصر عام ١٤٢٧ ق.م، وكانت هذه عادة الملوك منذ الأسرة الثامنة عشرة، عندما يتولى أحدهم العرش؛ يذهب لزيارة هذا الإله بغرض الحجِّ، وفي أحد قسمي هذه اللوحة، يظهر المَلك «أمنحتب» وهو يتعبَّد لصورة «أبي الهول».

بهذه اللوحة استدلوا أن عبادة «أبا الهول» كانت قائمة أثناء حُكم «أمنحتب الثاني»؛ وعندما تسلم ابنه «تحتمس الرابع» عبده هو الآخر، وأطلق على «أبي الهول» الإله الشمسي «حور – إم – آخت» (أي حورس في الأفق)[473]، وهو صورة من الإله «أتوم» أكبر الآلهة المصرية؛ وهو الشمس وقت الغروب، وقد أشار إليه بهذا الاسم في لوحة الحلم[474]، وهذا اتضح أيضًا من خلال المعبد الذي يواجه التمثال؛ حيث كانت تُجرى له فيه الطقوس الدينية، وثَبت أن «أبا الهول» في زمان المملكة المصرية الحديثة تم تزيينه والاهتمام به لقدسيته؛ حيث نصبوا على رأسه تاجًا أو غطاءًا للرأسِ، وهو ما تم استنتاجه من الفجوة الكبيرة على الجزء

العلوي من رأسه.

● هل هو وجه إدريس في جسم أسد؟

ربط الكثيرون بين «أبي الهول» و«هرمس»؛ خاصةً أن «هرمس» كلمة إغريقية مشتقة من كلمتين: أر – مس، وتعنِي أبا العلوم، وفي «تاج العروس» و«لسان العرب»: الهرمس الهِرْماسُ بالكَسْرِ من أَسْمَاءِ الأَسَد، وبالجمع بين المعنيين في الإغريقية و العربية يمكن أن نشتق معني الحكمة واقترانها بجسد أسد (هو نفس الرمز الذي عليه تمثال أبي الهول).

وبالرجوع للشيخ المفكر «المنوفي» الذي انتشرت هذه الفرضيات اعتمادًا على أفكاره؛ ستجده قال نصًّا:

«ووُضِع «أبو الهول» على شكل له جسم ثور، وصَدر سَبُع، ورأس إمرأة، إشارةً إلى القوة والصبر واللطف، وهو تمثال لهرمس أو إدريس – أو رمز للحكمة أو النيل في فيضانه الحاصل دائمًا؛ والشمس في برج الأسد والجوزاء، وكان هرمس – إدريس ﷺ؛ قد بلغ في الحكمة والعلوم الإلهية والطبيعية والفلك مبلغًا عظيمًا؛ حتى ألّهه المصريون فيما بعد، وهو الذي علَّمهم المساحة والفَلَك وباقي العلوم الرياضية؛ وعلم الوحدة الإلهية والطبيعيات، وله في ذلك مؤلفات احتفظ بها الكتَبة ككنزٍ سريٍّ تحت أيديهم»[(475)].

علوم «أبي الهول» السرية

يقول «المنوفي»:

هذ الكنز السرِّي هو «فلسفات إدريس»؛ كانت تحت أيدي الكهنة؛ يُلقِّنوها للمشتركين فقط (تلاميذ الكهنة) تلقينًا شفويًّا، فيعلمونهم التوحيد وسر الروح؛ وشيئًا من الأسرار الطبيعة وعلم الفلك، ويأمرونهم بكتم تلك العلوم عن العامة، وجعلوا من كتب «هرمس» – إدريس– أسفارًا مقدّسةً لهم.

وكان الطالب أو المشترك بعد أن يقضي سنين طويلة؛ يمر في تجارب شتى حتى يجوزَ الامتحانَ ويطّلع على السر، فيذهب به الكاهن ليلًا إلى سطح الهيكل أو المدرسة للتجلي.

وعن هذا الهيكل يقول «المنوفي»:

أثبت المؤرخون أن ذاك الهيكل هو الموجود الآن بجانب «أبي الهول» المسمى بالكنيسة، وكان مطمورًا، فكُشف على يد الأستاذ «عبد الفتاح حسن»؛ الأثري المصري المعروف؛ ليقصَّ عليه رؤيا «هرمس – إدريس» قائلًا:

«رأى هرمس يومًا (وهو في حالة انخطاف روحي) الكونَ والعوالم متجلية أمامه، والحياة مُنتشرة في باطن كل شيء، فصاح به صوت النور الأقداس المالي الكون جميعه، وكاشفه بالسر قائلًا:

«إن النور الذي رأيته هو الروح الإلهي، الحاوي سرّ كل شيء، والمتضمن رسوم كل الكائنات، أما الظُّلمة فهي العالم المادي، العائش فيه بنو الأرض، والضياء المتدفق من الأقاصي هو العقل الإلهي، وباتحادهما تكون الحياة..

وأما روح الإنسان فوضعها على وجهين؛ الأول اعتقالها في المادة حين تشبَّثت بها، والثاني تَرقِّيها في النور، إذا أدركته ووصلت إليه بالمعرفة، والأنفس هي بنات السماء وسفرها تجربة لها، ففي الجسد تفْقِدُ ذِكر مُنشِئها السماوي، ولاعتقادها بالمادة وسكرها بنشوة الحياة تنحدر كغيثٍ ناري إلى أقطار العذاب والهاوية والسجن الأرضي العائش أنت فيه، تحسب الحياة الإلهية أضغاث أحلام، وتتيقظ من هذه النبوة إذا اكتحَلَت بصيرتك بنور المعرفة، وعودت نفسك طريق السمو الروحي.

إن النفس الشريرة تبقى معتقلة في الأرض بأغلال شهواتها ورغباتها الأرضية، إنما الأنفس الفاضلة ترقَى متطايرة إلى الأفلاك العلوية لتحظَى برؤية المعاني الإلهية، وتتشبع منها بقوة ما امتلكته من الاختبارات والمعارف؛ والإدارة الفعالة المكتسبة في وسط الآلام والشدائد؛ والجهاد بإرادتها المتحررة، وتصبح هي نفسها نيرة لامتلاكها النور الإلهي في جوهرها وأفعالها...

فثبت إذن قلبك ياهرمس..

وسكن روعك عند نظرك إلى الأنفس الصاعدة في معارج الأفلاك العلوية؛ توصلًا إلى المبدأ الأول الذي منه يبدأ وينتهي كل شيء منذ الأذل...

ثم سبحت الأفلاك هاتفةً معه: الحكمة، الحب، العدل، البهاء، العظمة، العلم، الخلود».

وأردف الكاهن الأكبر كلامه قائلًا:

«تأمل يا بني هذه الرؤيا تجد فيها سرّ كل شيء، وكلما توسعت في إدراكها اتسعت لديك حدودها، واتسعت معرفتك، ثم اعلم بأن ناموسًا[476] نظاميًّا واحدًا يغمرُ العوالم كلها (هذا يتشابه بالضبط مع «اللاهوت القديم» الذي ذكرناه)..

إن الحقائق العظيمة مستورة تحت حجاب السر؛ ولا يُكاشف بمعرفتها التامة إلّا مَن جاز في التجارب التي جُزنا فيها..

إن من الواجب أن تُقاس الحقيقة على قَدْر مبلغ العقول، فلا يجوز إفشاؤها للضعفاء لئلّا يتهوسوا بها؛ ولا للأشرار لئلّا يتسلَّحوا بها للشر، فاحفظها إذن في صدرك؛ وانشرها بلسان أعمالك، وليكن العلم قوتك؛ والناموس سيفك؛ والصمت درعك».. انتهى

بهذا الشكل أثَّر الشيخ «المنوفي» بفلسفته في عقول نُخبة كبيرة مؤمنة بأن «إدريس» هو نبيُّ المصريين القدماء، وظهرت مؤلَّفات عديدة بعدَه؛ محاولة إثبات ذلك، وربطوا بينه وبين «أبي الهول»، وآمنوا بأنه هو الأثَر الخالد لـ «إدريس»، خاصةً أن النبي الكريم ذُكِر عنه أنه كان يخُطُّ على الرِّمال؛ وعلاقة «أبي الهول» بالرمال علاقة متلازمة، كما أن النقش الوحيد على التِّمثال كان تتويجًا لهذه العلاقة؛ وهو لوحة الحُلم.

● لوحة الحُلم

قبل أن يتولَّى «تحتمس الرابع» حُكم المملكة الحديثة؛ ذات مرّة كان على هضبة الجيزة لكي يصطاد وهو في سن الشباب، حينها كان «أبو الهول» مغطًّى بالرمال ولم يظهر منه سوى الرأس، جلس بجواره ليستريحَ من

صيده، فباغَته النومُ دون أن يشعُرَ، ثم راودَه حُلم ظهَر فيه «أبو الهول» في المنام متحدثًا معه، وبشَّره بأنه سوف يعتلي عرش مصر، وأخبره أن له جسَدًا تحت الرمال طالبًا منه إزالَته عندما يجلس على الكرسيِّ.

تحقَّقت النبوءَة؛ واعتلَى الأميرُ الشاب عرش المملكة الحديثة عام ١٤٠١ ق.م، ثم أمر بتدوين تفاصيل هذا الحُلم على لوحةٍ، ويُظِهر المَشهدُ الموجود في اللوحة «تحتمس الرابع» وهو يقدِّم القرابين لـ «أبي الهول»، الذي يجلس على قاعدة عالية لها باب في القاعدة، من المحتمل أن تكون هذه أداة فنية تستخدم لرفع «أبي الهول» فوق رأس الملك وأكتافه، ولكن ظهور التصوير لهذا الشكل؛ قد أوحى للبعض فكرة وجود معبد أو ممرٍّ سري أسفلَ «أبي الهول»؛ وأن الرمال دفنَته[477].

بعد أن أمرَ بإزالَة الرمال عن جسد «أبي الهول»؛ وضع «تحتمس» اللوحة بين يديه الممتدتين؛ وهي على وضعها حتى هذه اللحظة، وهي معروفة باسم «لوحة أبي الهول» أو «لوحة الحُلم».

### أبو الهول وخط الرمال

بسبب خُلوِّ هذه الصخرة الصماء من أيَّة نقوشٍ أو كتابات تُبلغنا شيئًا عن التمثال وطبيعة دوره؛ تأمَّل الكثيرون تاريخه الطويل مع الرمال، ثم ربطوا بينه وبين نبيِّ الله «إدريس» الذي ورَد عنه الخَط بالرمال، واعتبروا أن هذه الرمزية لم تكن من محضِ المصادفة على الإطلاق، فقد نظروا إلى «أبي الهول» بصورة طبيعية كإنسان كامل يديه تَخُطان على الرمال.

استمر «أبو الهول» رمزًا للغموض، بل وقَع في غرام غموضه الكثير من الحركات الباطنية، وجعلت من سرِّه رمزًا لهم.

### أبو الهول والماسونية

اعتمدت الماسونية منذ وقت طويلٍ صور «أبي الهول» في العمارة الماسونية والرمزية[478] ؛ على خطّى المصريين القدماء الذين وضَعوه وتماثيلً مشابهة له برأس إنسان وجسم حيوان؛ على مداخل المعابد لحراسة أسرارها الخفية، فمن وجهة نظر الماسونية؛ لا يقتصر دور «أبو الهول» على الحراسة المادية، بل يُمثل أيضًا اختبارًا إيمانيًّا للمُبتدئين الساعين للارتقاء في المعرفة الدينية، فإخفاء سرّ وجود المعبد عن الآخرين يُعدّ اختبارًا لِصبرهم وتكتُّمِهم، وهي صفات ضرورية للمبتدأ في الماسونية، ويعتقدون أن عبورَ بوابة المعبد (أو منظمتهم) التي يحرسها «أبو الهول»؛ بمثابة دخول إلى عالم جديد من المعرفة، ممّا يتطلب استعدادًا روحيًّا ونضجًا إيمانيًّا من المُبتدئ، وعلى هذا النحو غالبًا ما يوجد كزخرفة منحوتة أمام المعابد الماسونية، أو محفورة على رأس وثائقهم السرية[479].

وبعيدًا عن الماسونية وغيرهم؛ يتدول كثيرون أن «أبا الهول» موجود قبل الأهرامات، وأنه تمثالٌ لوجهِ «إدريس» الذي علَّم المصريين هندسة بناء الأهرامات، حيث ظهرت تصريحات لمفتي الديار المصرية الأسبق تقول:

«هناك أقاويل تُشير إلى أن إدريسَ هو نفسه أوزوريس الذي تتحدث عنه البرديات الفرعونية».

وعن هذه الافتراضات قال:

«توجُّهِي أنَّ اسم إدريس جاء من الدراسة أي إدرس، وهناك آخرون قالوا اسم إدريس جاء من أوزوريس».

كما قال في تصريح آخرَ:

«الغالب في الروايات الشعبية والروايات العلمية؛ أنه ليس هناك ما يرفُضُ هذا، نعم، المكانة العُليا في هذا الوقت المبكر جدًّا قبل الطوفان كانت للعلماء، وسر التحنيط لم نكتشفه إلى الآن، وحتى صناعة الهرم لم يكتشفها أحدٌ، وكل هذه أشياء يبدو أنها بدأت من إدريس عليه السلام؛ لأنه عاش في مصر معلِّمًا، وعلَّم الناسَ كلّ هذا».

***

٥ ـ غضبٌ لدَى علماء الآثارِ

ردًّا على التصريحات السابق ذِكْرها التي تربِط «إدريس» بـ «أبي الهول»؛ ظهرت آراء لعلماء مصريات وعلماء آثار، منهم على سبيل المثال:

ردّ عالم الآثار والمصريات؛ ووزير الدولة المصرية السابق لشئون الآثار «زاهي حواس»، الذي تلخَّصت ردوده فيما يلي:

كل الأدلة العلمية تُشير إلى أن «أبا الهول» يعود إلى عهد الملك «خفرع»، وأن نحتَه تم كي يُظهره في شكل «حورس» وهو يتعبَّد إلى الإله «رع» الذي يظهر في المعبد الكائن أمام «أبي الهول»، وأن المصريين القدماء قد ربطوا بين قوة الأسد والملك في شكل أسِد يظهَر وهو يَطَأُ ويدوس أعداءَه، وقد ظهر هذا الشكل الفني منذ عهد الملك «جد إف رع» ابن الملك «خوفو»، ويصوِّر فيه الملك بوجه إنسان وجسم أسد؛ مما يُظهر قوة الملك، وقال: إن ذلك التصوير للملوك استمرّ في الأسرتين الخامسة والسادسة؛ حتى نهاية العصر المتأخِّر في طريق «أبي الهول» الذي يربط معبد الأقصر بمعابد الكرنك، وشدد على عدم وجود أي دليل للربط بين تمثال «أبي الهول» والنبيِّ «إدريس».

وقال: إذا تحدَّثنا عن الأدلة أولًا؛ فلدينا الأدلة الكاملة عن أن الملكَ «زوسر» هو الذي بنَى أولَ هرمٍ موجود لدينا، وأن الذي غيّر البِناء من الطوب اللبن إلى الحجر هو «إمحوتب» العبقري، ولدينا أقدم برديةٍ عُثر عليها إلى الآن وهي بردية «وادي الجرف»؛ والتي يتحدث فيها رئيس العمال «مرر» عن بناء هرم خوفو.

وأشار إلى أن المقابر الموجودة في الجيزة؛ والتي تتحدّث عن كهنة «خوفو» و«خفرع» و«منكاورع»؛ والعديد من الألقاب المتصلة بالعالم الآخر وبالإدارة في الحكم؛ بالإضافة إلى القوائم الملكية التي تحدد أسماء الملوك؛ ليس بينها اسم النبي «إدريس» عليه السلام.

كما قال أيضًا:

تم الربط بين النبي «إدريس» و«أوزوريس»، بسبب السجع اللغوي بين الاسمين، ولا يوجد أي دليل علمي بذلك، مؤكدًا أن النبي «إدريس» لم يعلّم التحنيط؛ لأن التحنيط لم يظهر مرة واحدة؛ بل تعلّمه المصريون منذ الأسرة الأولى حين قاموا بتجفيف الجثث، ووضعوا بعض المواد على الأرجل، وبعد ذلك تطور الأمر إلى عمل أقنعة في الأسرة الرابعة، ولم يصل التحنيط إلى ذِروته إلّا في الأسرة الثامنة عشرة؛ التي وصلت للتحنيط الكامل، ولا وجود لاسم «إدريس» في الأسرة الثامنة عشرة. [480]

وكان قد كتَب الدكتور «زاهى حواس» قبل هذا السِّجال بسنوات، مقالًا في جريدة «الشرق الأوسط» اللندنية[481]، وضَّح فيه أن «أبا الهول» يرجع للملك «خفرع» مؤسس الهرم الأوسط، وعندما شرع في بناء هرمه بجوار هرم أبيه «خوفو»، أمر النحاتين الملكيين بنحت «أبي الهول» وأمامه معبد ضخم للشمس، وهو أول معبد للشمس يُبنى غرب نهر النيل، وقال: إن السبب الذي جعل الملك «خفرع» يُقدم على هذا المشروع العملاق هو رغبته في تجسيد نفسه في صورة «أبي الهول»؛ كرمزٍ للملكية؛ وهو يقدم القرابين لأبيه الملك المتوفى الذي ساوى نفسه بـ «رع»، فأصبح «خوفو» هو «رع»؛ أي الشمس، وبالتالي فـ «خفرع» باعتباره ابن «رع» يقدِّم القرابين لأبيه في معبد الشمس مرتين عند الشروق وعند الغروب.

يعزز كلام «حواس» عن سببية نحت «أبي الهول» على جسم أسد؛ ما ذكره كتاب «أبو الهول تاريخه في ضوء الكشوف الحديثة» المنشور عام ١٩٤٩ م؛ لعالِم الآثار المصرية الدكتور «سليم حسن» ( ١٨٩٣ - ١٩٦١ م)؛ الذي ذكر أن المصريين كانوا دائمًا يصورون الملك كأسد، فيقولون «كالأسد في ساحة القتال» أو «الأسد الضاري» أو «أسد بين الحكام»، واستمر هذا النهج في كل عصور التاريخ المصري القديم، وكان «أمنمحات الثالث» على وجه الخصوص؛ مغرمًا بأن يصوّر في صورة أسدٍ.

لكن لن تجدَ في كتاب «سليم» تعزيزًا لكلام «حواس» بخصوص أن «أبا الهول» بناه «خفرع» بشكل حازم، فقد لخَّص «سليم حسن» مشكلة هوية «أبي الهول» عام ١٩٤٩ م في كتابه؛ قائلًا:

«مع الأخذ في الاعتبار كل الأشياء، يبدو أننا يجب أن نعطي الفضل في إقامة هذا التمثال، وهو أروع تمثالٍ في العالم، لخفرع، ولكن دائمًا مع هذا الحجز: لا يوجد نقشٌ واحدٌ معاصر يربط «أبا الهول» مع خفرع؛ لذلك - كما قد يبدو - يجب أن نتعامل مع الأدلة على أنها ظرفية، حتى يَحِين الوقت الذي سيكشف فيه دور الحظ في الأشياء بأسمائها الحقيقية للعالم إشارة محددة إلى إقامة تمثال «أبي الهول»[482] .

وذكر الكتابُ أن الآراءَ التي دوّنها المؤرخونَ العرب عن «أبي الهول» بعد الفتح الإسلامي؛ لم تكن كافيةً إن لم تكن عديمة القيمة، إذ تبيَّن مدى تغلغل المأثورات المحلية بين الناس رغم تغيّر الدين مرتين في مصر.

والجديرُ بالذِّكر؛ أنَّ مومياء الملك «خفرع» كان بإمكانها حسم هذا الأمر بعد دراستها، لكن للأسف المومياء مع التابوت المصنوع من البازلت والعديد من الكنوز الأثرية الأخرى؛ غرقوا مع السفينة «بياتريس» عام ١٨٣٨م أمام مدينة «قرطاجنة»، أثناء سفرهم لإنجلترا لإجراء بعض الدراسات العلمية هناك، وكأن «أبا الهول» قُدِّر له أن يظلَّ مجهولًا أبَدَ الدهر.

وجهة نظر «حواس» أنَّ «أبا الهول» بعد الأهرامات؛ ليس لها أتباع كثيرون، حيث ترى طائفة كبيرة أن «أبا الهول» كان رمزًا لشخص مؤثر في جميع العصور وليس صورة لـ «خفرع»؛ والدليل من وجهة نظرهم أن الهكسوس المحتلين أنفسهم اتخذوا تماثيل لـ «أبي الهول» رغم عدائهم مع مصر، فهل كانوا بذلك يخلِّدون ذكري «خفرع»؟!

يرى هؤلاء أن وجود «أبي الهول» في هذا المكان منذ قديم الأزل؛ جعله مكانًا مقدَّسًا لملوك المملكة القديمة ومن تلاهم؛ الذين تهافَتوا لبناء الأهرامات العديدة والمقابر للتبارك به بعد اكتشافه، حيث اعتقدوا أن «أبا الهول» أقدم من المملكة القديمة بمئات السنين، وأن ملوك المملكة القديمة أنفسهم كان تاريخ «أبا الهول» بالنسبة لهم مجهول، واستدلوا بأن المؤرخين القُدامي أمثال «هيرودت» و«ديودور الصِّقلي»، ومِن بعدهم «مانيتون السمنودي» وغيرهم، شرحوا باستفاضة عن الأهرامات ولم يُشيروا لـ «أبي الهول»، وهذا يعني – من وجهة نظرهم – أنه أمر واقع وسابق بكثير على شهود بناء الأهرام والتسجيل؛ وقد عجزوا عن تتبعه أو الوقوف على شواهد حوله وماهيته.

كذلك هم يشكّكون في فرضية أن «أبا الهول» كان مغطًّى بالرمال إلي الحدِّ الذي لا يمكن رؤيته؛ مما جعل «هيردوت» و«الصقلي» يغفلون عنه، واستدلوا بأنه وُصِف في العصور الوسطى بشكله العملاق، ومن الصعب القبول بأنه ظهر فجأة في يوم واحد.

والغريب في الأمر أن «إخناتون» عندما دعى للتوحيد؛ محَى أسماء سائر الآلهة الوثنية، ورغم ذلك وجَدوا بين حُطام معبده بالكرنك قطعه عليها صورة «إخناتون» في هيئة «أبي الهول»، وهذا يعني على حدِّ زعمهم أن «أبا الهول» كان من سلف توحيد «اخناتون».

هذا التمثال المجهول الذي تحرّف اسمُه بعد ذلك إلى «بيت حورس» ثم بالعربية لـ«أبي الهول» ويعني الفزع؛ العديد من أجزائه منفصلة عنه، مثل حية الكوبرا المقدسة التي آمن بها المصريون القدماء، والأنف المكسور، واللحية التي يرَى البعض أنها ترمز الي «أوزوريس» أو «إدريس»، وهي معروضة الآن في المُتحف البريطاني، بعد أن عثر عالم المِصريات الإيطالي «جيوفاني كافيجليا» على جزء منها خلال أعمال حفرٍ وتنقيب؛ قام بها عام ١٨١٧ م، لا يُعلَم بشكلٍ دقيق كيف تفرَّقت هذه الأجزاء كلها عن «أبي الهول»، لكن يُعتقد أن عوامل الطبيعة قامت بالدور الأكبر في ذلك.

وعن تحديد رمزية التمثال يقول «شامبليون»: إن «أبا الهول» أصبح على التوالي رمزًا لكل من الآلهة في آنٍ واحدٍ، ولم يرمز لإله أو شخص معين..

وبهذا الشكل؛ سردنا في هذا الفصل كل ما ارتبط ذكره بالنبي «إدريس» والشخصيات التي شبههوها به في تاريخ مصر القديم، أما بخصوص التعليق عن كلِّ ما كُتب في هذا الفصل وكذلك الفصول السابقة، فسنسردها الآن في الخاتمة.

**الخاتمة**

التعليق على الفصل الاول

(ميراث النبوة)

1

- دينيًا؛ يتضح مما ورد بالفصل الأول أهمية النبوة، وأن الله قطَع الحُجة على «بني آدم» بعدم تبليغهم الرسالة، وأن النبوة نزلت لسببين رئيسين:
- **الأول**: معرفة الغاية التي خُلِقوا من أجلها، وهي عبادةُ الله والعمل للآخرة.
- **الثاني**: كيفية إعمار الأرض، والتبليغ بالقانون والدستور الحياتي الذي يضمن الاستمرارية على المعمورة، حتى يأذن الله بالنهاية.

2

- يتضح أن بعضَ المعلومات المُتاحة التي تخصُّ «آدم» ﷺ و«حواء» وأبنائهم الثلاثة، «قابيل» و«هابيل» و«شيث»، وخطيئة الأكل من الشجرة، بينهم تشابهٌ واضحٌ بين الشرائع السماوية الثلاث، لكن ثمةَ اختلافات وتباينات واضحة بين المُعتقدات؛ في تفسير الخطيئة ودور «آدم» و«حواء» فيها، وما إذا كان هبوط «آدم» للأرض عِقاب أم تفويضٌ إلهي؛ على سبيل المثال: الفرق بين افتداء «المسيح» في المسيحية، وتوبة «آدم» في الاسلام.

3

- ترتيب الآباء الأوائل من «آدم» لـ «نوح» المعروف بـ «جدول الأمم التوراتي»؛ جاء من المصادر اليهودية، وبالتالي المسيحية، ولا وجود له في الإسلام؛ إلَّا كتب المفسرين الأوائل والأخبارين المسلمين الذين انشغلوا بتاريخ ما قبل الإسلام، وقد نقلوها بدورهم من المصادر اليهودية نفسها؛ من خلال عملية نقل واسعة النطاق؛ مع اعتراف الغالبية منهم بذلك.

**عمليات النقل الأُولى من أهلِ الكِتاب**

انتقل الكثيرُ من (الأخبار التاريخية تحديدًا) عن الأصل من الإسرائيليات، لعدم ورود هذه الأخبار في القرآن والسُنة النبوية؛ ولا في حياة العرب قبل الإسلام، والسبب في ذلك أن أهلَ الإسلام لم يؤرِّخوا إلّا منذ وقتِ الهجرة من مكة إلى المدينة، أما قريش فكانت تؤرّخ منذ «عام الفيل»، وكان سائر العرب يؤرِّخون بأيامهم المذكورة بأسماء وقائع كـ «عام الفيل»، و«عام العذر»، و«عام حرب الفِجَار»، وغير ذلك؛ لذلك انشغل العرب والمسلمون بالبحث عن أخبار الأمم البائدة، خاصةً بعد ورود ذِكْر «عاد» و«ثمود» وغيرهم من القصص، فدفعَ هذا الأمرُ أهلَ التفسيرِ إلى البحثِ عن هؤلاء؛ ومن أي فصيلةٍ كانوا؟ وبذلك؛ فُتح بابٌ جديدٌ للبحث في سراديبِ الماضي.

وبالحصر والتتبع ستجد غالبية الروايات الواردة عن الأولين في كتُب المفسرين العرب مصدرها واحد باختلاف الرُّواة والناقلين، هذا المصدر هو «الكتابيون»، والكتابيون هم علماء من أهل الكتاب أسلموا ودخلوا الإسلام حاملين معهم أفكارَهم ومفاهيمَهم وثقافتهم؛ أشهرهم «عبدُ الله بنُ سَلام»، و«كَعبُ الأحبارِ»، و« وهْبُ بنُ منبِّهٍ»، و«محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ»، و«أبو يعقوب التَّدْمُري»، وتجد أشهر الناقلين من هؤلاء في سيرتهم وآثارهم: «محمدُ بن إسحاق» الذي قال عنهم: «أصحاب العلم الأول».

● هل يجوز النقل من أهل الكتاب؟

-الجواب: نعم؛ لكن بشروطٍ سنوضحها فيما يلي:

في الإسلام: لا يلزم تصديق أو تكذيب ما نُقل عنهم، وإنما تجوز روايته مِن دون تصديق لها ولا تكذيب، ويتم ذلك في ثلاثِ حالات:

- **الحالة الأولى:**

في حال موافقتها لِما ورَد في الإسلام من صحيحٍ؛ يجوز الأخذ بها وتصديقها.

- **الحالة الثانية:**

إذا وافقت ما تم إضعافه؛ فلا يجوز الأخذ بها ولا تصديقها.

- **الحالة الثالثة:**

إذا ذكرت خبرًا لا وجود لنفيه أو تأكيده (كجدول الأمم المذكور)، يجوز التحدث به على سبيل الحكاية؛ أو قصص أخرى على سبيل: الوعظ، لكن يُشترَط عدم نقل عباداتهم وأحكامهم، والتأكيد على عدم تصديق ذلك ولا تكذيبه، وهذا ما سموه بـ :الأخبار»، وله علماء كِبار في الإسلام.

- **توضيح النبي لذلك:**

قال رسولُ الله ﷺ:

(... لا تُصَدِّقُوا أهْلَ الكِتَابِ ولا تُكَذِّبُوهُمْ... )[483]

وكذلك قال:

«... حدِّثوا عن بني إسرائيلَ ولا حرجَ، ومن كذَبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مقعدَهُ من النَّارِ»[484]

وقال ابن حجر في «فتح الباري» في شرح (ولَا تُكذِّبوهُم) الواردة بالحديث الأول:

«ولا تكذبوهم؛ أي إذا كان ما يُخبرونكم به مُحتملًا لئلَّا يكون في نفس الأمر صِدقًا فتكذبوه؛ أو كذبًا فتصدِّقوه؛ فتقعوا في الحَرج»[485].

وجاء في «التيسير» للمُناوي في شرح: (ولَا حَرَج) الواردة في الحديث الثاني:

«ولا حرج؛ لا ضِيقَ عليكُم في التحديث به إلّا أن يعلم أنه كَذِبٌ، أو ولَا حرَج ألَّا تحدِّثوا، وإذنه هنا لا يُنافي نهيه في خبر آخرَ؛ لأن المأذون فيه التحدُّث بقصصهم، والمنهي عنه العمل بالأحكام لنسخها»[486].

التعليق على الفصل الثاني

(إدريس)

1

- لا وجود لقصة «إدريس» عليه السلام في القرآن والسنة إلَّا من خلال آيتين في القرآن: (عن نبوَّتِه وصلاحِه ورفعه للسماءِ)، وحديث واحد نبويٌّ صحيحٌ مختلف الألفاظ والإخراج (لم يتحدَّث عن شيء؛ إلّا مقابلة النبي محمد له في المعراج)، وباقي الأحاديث ضعيفة أو متروكة.

2

- الآيتان اختُلف في تفسيرهما؛ الأولى: اختلف فيما إذا كان نبي فقط؛ أم نبي ورسول مُبلّغ برسالة وكتاب، والثانية اختُلف فيها حول تفسير الرفع؛ أهو حسيّ أم معنويّ.

3

- الحديث الصحيح الأوحد متعدِّد الألفاظ؛ ولم يؤكّد السماء التي قابله فيها النبي «محمد» ﷺ بشكلٍ قاطعٍ.

4

- لا يوجدُ ذِكْر لعلوم «إدريس» في الإسلام على الإطلاق؛ ماعدا «خط الرمل» إن صح التفسير الذي يقول إنه المقصود بالحديث الصحيح؛ الذي تحدث عن نبي خَطّ بالرمل؛ والذي لم يذكر اسم النبي المقصود بصورة مباشرة.

5

- لا توجد آية قرآنية أو حديث صحيح واحد؛ للتأكيد بأن «أخنوخ» هو نفسه «إدريس»، كذلك لا يوجد نفي.

6

- بناءً على عدم التأكيد أو النفي؛ يتضح من ذِكر قصة «إدريس» أن هناك اختلافًا واضحًا بين المسلمين فيما إذا كان «أخنوخ» هو نفسه «إدريس» أم لا؟ لكن الغالبية تميل إلى أنهما واحد؛ دون دليل قاطع.

7

- هناك اختلاف آخر في أن «إدريس» كان في هذا الزمان الأول؛ أم بعد «نوح» و«إبراهيم» عليهم جميعًا السلام؟ وهل هو نفس «إلياس» (إيليا في اليهودية) أم لا؟

8

- يجب التفريق بين الحديث: وهو ما قاله رسول الله ﷺ، والأثر: وهو ما قاله الصحابة والتابعين، والخبر: وهم أهل التواريخ والأخبار(الأَخْبَارِيُّون)، وقد تعاملنا بدقة مع الألفاظ الثلاثة أثناء ذِكر ما ورد.

- سُطرت غالبية القصة المضافة في الكتب الإسلامية؛ نقلًا عن الأخباريون من أهل الكتاب، وكان الناقلان الرئيسيان هما: «كعب الأحبار»، و«وهب من منبه».

- **ما حقيقتهما؟**

لا يقلل ما ذكرناه الآن من قيمة «كعبِ الأحْبارِ» و«وهب بن منبهٍ»، فالإثنان عالمان أجلاء من علماء الإسلام.

**كعبُ الأحْبارِ**

كان «كعبٌ» يهوديًّا أدرك الجاهليةَ والإسلام، وكان عالِمًا جليلًا صالحًا لا غُبار عليه، لكنه كان من أهل الكتاب الذين أسلَموا؛ فدخل بعلومه التي شربها في ذمته الأولى، ربما أخطأ أو أصاب، لكن إسلامه حَسُن بزعم علماء الإسلام، وكان له مكانته الجلية، ويُذكَر أنه من المسلمين الثِّقات، فكان مستشارًا لـ «عمر بن الخطاب» أثناء خلافته.

**وهبُ بنُ منبِّهٍ**

كان عالم وتابعيّ جليل، من أقدم مَن كتبوا في الإسلام، وكان عابدًا زاهدًا مواظبًا على العلم؛ متفرغًا للتعلِّم والكُتب، وروى له «البخاري» و«مسلم» و«أبو داود» و«الترمذي» وغيرهم، لكن قال عنه «الذهبي» رِوايته للمسند قليلة، وإنما غَزارة علمه في الإسرائيليات وصَحائف أهل الكتاب، وقد قال «الذهبي» وغيره ذلك؛ لأنه انغمس في دراسة الكتب الدينية المقدَّسة؛ وكتُب سير الأنبياء والرسل الذين جاءوا قبل «محمد» ﷺ، فكان بجانب علمه للحديث عالمًا في الإسرائيليات ومتأثرًا بها.

رغم ذلك؛ إذا كنتَ قد قرأت بتمعنٍ ما أورده كتابُنا هذا عن قصة «إدريس» في الإسلام؛ فسيقابِلُك لغز مُحيرٌ قد قابلني كذلك في عملية البحث:

(لا تتشابه القصة بشكل كامل مع ما ورد من أهل الكتاب؛ بل أُضيف عليها تفاصيل زائدة كثيرة في التراث الإسلامي لا توجد في قصة «أخنوخ» الموجودة في العهد القديم ولا الكتاب المقدَّس؛ ولا حتى في الكتب المحظورة).

وهنا يظهر سؤال مهم:

- ما سبب وجود أخبار زعموا أنها من أهل الكتاب؛ وهي ليست منهم؟

- **السبب الأول:**

مع بداية كتابة «السير والأخبار»؛ استغل بعضُ الأشخاص من «أهل الكتاب» حاجةَ المسلمين لمعرفة العديدِ من الأمور التي لم يوضِّحها القرآن؛ فبدأ هؤلاء في الاختراع والتأليف زاعمين أن هذا من دينهم؛ وماله بدينهم علاقة، بل إنها معلومات مغلوطة ألَّفوها ليبيعوها لعلماء الإسلام.

وعن ذلك قال «الطبري» في تفسيره؛ عن «السُّدي» قال:

«كان ناسٌ من اليهود كتَبوا كتابًا من عِندهم يبيعونه من العرب، ويحدِّثونهم أنه من عند الله ليأخذوا به ثمنًا قليلا»[487].

وأشهر الأماكن التي انتشر فيها مثل هذه الروايات الإسرائيلية المنقولة من التوراة؛ أو حتى التي ألّفها المؤلفون زعمًا أنها من التوراة؛ كانت بلاد اليمن والمدينة والكوفة ببلاد العراق.

- **السبب الثاني:**

ربما كانوا لا يقصدون التأليف، وأن هذه الروايات قد تداولها آباؤهم وأجدادهم بهذا الشكلِ المُحرَّف.

- **السبب الثالث:**

تأثر الأَخْبَاريونَ أنفسهم بالروايات الشعبية السائدة في مجتمهم الكتابيِّ الأول.

- **السبب الرابع:**

عدم دقَّة عمليات الترجمة، خاصةً في السِّير وأخبارِ الأشخاصِ والأسماء، وفي ذلك قال «ابنُ خلدون»:

«اعْلَم أنَّ الخلافَ الذي في ضبطِ هذه الأسماء إنما عرَض في مخارج الحروف، فإن هذه الأسماء إنما أخَذها العربُ من أهل التوراة؛ ومخارج الحروف في لُغتهم غير مخارجها في لُغة العربِ، فإذا وقَع الحرف متوسِّطًا بين حرفين من لُغة العرب فترده العرب تارةً إلى هذا وتارةً إلى هذا، وكذلك إشباع الحركات قد تحذفه العرب إذا نقلت كلام العجَم؛ فمِن هُنا اخْتَلف الضبطُ في هذه الأسماءِ»[488].

- **السبب الخامس:**

الأَخْبَاريون كانوا ناقلينَ، وهم غير المحقِّقين، فالأَخْبَاريون كانوا لا يملِكون قواعدَ منظمة لكي يسيروا عليها أثناء النقل، فلقد حاول هؤلاء الاِكْتِثار والجمع على حساب التقصِّي والتحقيق؛ مما جعَلهم واقعون في الخطأ، لأنه من الصعب الوقوف على حقيقة كلِّ شيءٍ من الكَمِّ الهائل الذي جمَعوه، ومن أهم أخطائهم أيضًا عدم مراجعة التوراة نفسها والتأكد مما يُنسب إليها أنه ذُكر فيها بالفعل، ونَقْلِهم عن أشخاصٍ ربّما لم يكونوا على قَدْر هذه الثقة.

التعليق على الفصل الثالث

(أخنوخ)

1

- تتشابه قصةُ الرَّفْع والمَشْي مع اللهِ في كلٍّ من الصابئةِ واليهوديةِ والمسيحيةِ؛ وكذلك الاسم (أخنوخ - دنانوخ).

2

- يتضح من الفصل كله أن «أخنوخ» في الكُتب المقدَّسة القانونية نبيٌّ عندَ البعض؛ وقِدِّيس فقط عند البعضِ الآخرِ، مع الاتفاق على أنه السابع من «آدم»، وصالح وبار، وما دون ذلك غير مُثبت في

الكُتب والأسفار المُعترف بها.

3

- تتشابه قصة «أخنوخ» مع قصة «إدريس» في الصلاح والتقوى والرَّفْع فقط، وما دونَ ذلك هي كتاباتٌ موضوعةٌ نابعةٌ مِن رواياتٍ في التراثِ الديني لكل مُعتَقد؛ واجتهادات ومزاعم بالرؤى، لم تأتِ في القرآن ولا الكُتب المقدَّسة.

4

- الأسفار والكُتب التي تحدَّثت عنه بإسهابٍ؛ جميعُها محظورة وغير مُعترف بفحواها (كُتُب الأبوكريفا).

5

- لم يكنْ سبب حظْرِ الكُتب الدينية والأسفار غير المُعترف بها - بما فيها سِفر «أخنوخ» - طمسًا لقِصة «أخنوخ» نفسها كما هو شائعٌ عند البعض، وقد وضَّحنا الأسباب المتعددة.

6

- لا يوجد تأكيدٌ في اليهودية والمسيحية لقِصته مع «الملائكة الساقطين»، على الرغم من أن هناك آيات اختُلفَ في تفسيرها قال البعض إنها تُشير للواقعة، لكنها بأيِّ حالٍ من الأحوال لم تُشِرْ إلى «أخنوخ» بشكلٍ مباشر.

7

- التشابه الواضحُ للروايات التراثية الإضافية يُفسِّر علامةَ استفهام واضحة! فربما مصدرها واحد.

8

- استغلَّت بعضُ الطوائف هذا الروايات كذريعةٍ دينيةٍ لتحقيق أهداف سياسية بغطاء دينيٍّ، كـ «كنيسة يسوع المسيح لقدّيسي الأيام الأخيرة» التي تزعُم أنه بانِي «صهيون»، وأنه سيعودُ للأرض لجَمْع أبناء صهيون، تمهيدًا للمجيء الثاني للسيد «المسيح».

التعليق على الفصل الرابع

(هرمس)

1

- هوية «هرمس» نفسه غير مدعومة بأدلة واضحةٍ حتى الآن.

2

- يتضح التشابُه الكبيرُ بين قصة «هرمس» المزعومة، وقصة «أخنوخ» و«إدريس» في التراث الدِّيني والقصص الإخبارية (لكن غير مدعومة بنصوصٍ دينيةٍ مُعتَرفٍ بها).

3

- الديانة الهرمسية عبارة عن خليطٍ كبيرٍ من الفلسفات والديانات القديمة.

4

- الهرمسية تفاعلت جذبيًّا وطرديًّا مع اليهودية والمَسيحية على فتراتٍ.

5

- النصوصُ الهرمسية الدينية نفسها مشكوكٌ في صحة كتابتها؛ وزمان ومكان الكتابة.

6

- يتضح أن الهرمسية ومَن تأثروا بها كان لديهم رغبة كُبرى في إضفاء شرعيةٍ على أعمال السحر والخيمياء والتنجيم، وابتدعوا ما يسمّى بالسِّحر الإلهي، وقد أكَّدوا على هذه الممارسات من خلال ابتداع القَبالة الهرمسية.

7

- استغلّت الجمعياتُ السرية الباطنيةُ ما أسموه بعلومِ «هرمس» السرية؛ في ممارسة السِّحر والخيمياء على نطاقٍ واسعٍ.

8

- الجماعاتُ الهرمسية الباطنية؛ أثَّرت فكريًّا على جماعاتٍ نسَبت نفسها للشرائع السماوية، بما فيها الإسلام.

**التعليق على الفصل الخامس**

**(حَكِيم مِصر)**

1

- تتشابهُ القصةُ الشعبيةُ المصريةُ والروايات الإخبارية (خاصةً المكتوبة من العصور الوسطى)؛ مع قصة «إدريس» في التراث الإسلامي الإخباري، ومع قصة «هرمس»، وقد تحدَّث كاتبوها عن ذلك الربط بأنفسهم.

2

- لا يوجد دليلٌ دينيٌّ ولا دليل أثَري ملموس على نزول «إدريس» عليه السلام لِمصر؛ لذلك اختَلَف علماءُ الآثار والمِصريات مع تلك المرويات وأقرُّوا عدم صحتها.

3

- تتشابه نفس القصص الشعبية المصرية والروايات الإخبارية نفسها؛ مع قصص «أوزوريس» و«تحوت» و«إمحوتب» الغامض، خاصةً «أوزوريس» بصورة واضحة.

4

- إذا كان التشابه بين «إدريس» و«أوزوريس» في سَجع الاسمين يعدُّ سببًا للربط؛ فـ«أوزوريس» اسم إغريقي؛ والحقيقي «أوديرِ» (أوزير) في اللغة المصرية القديمة.

5

- لا يوجد دليلٌ تاريخيٌّ أو أثَري ملموسٌ على الربط بين القصة الشعبية المُتوارثة مع «إدريس» و«أبي الهول»، واختَلَف علماءُ الآثار والمِصريات مع تلك المرويات وأقرُّوا عدَم صحتها.

6

- بسبب سرِّ بناء المصري القديم لـ «أبي الهول» وهندسته الفذّة وتشييد الأهرامات المثير؛ وغيرها من الأسرار المِصرية القديمة، تُرِك البابُ مواربًا للتكهُّنات والاستنتجات، التي تغوص في لغزِ المِعمار المصري القديم؛ والغرض من البِناء؛ وكيف بُنيت هذه العمارة بهذه العظمة؛ من آلاف السنين.

7

- بسبب هذا الغموض استغَلَّ «الماسونيون» وغيرُهم من الباطنيين العمارةَ المِصرية القديمة كرموزٍ لسِرِّيتهم، كـ «الهرم» و«أبي الهول» و«حورس».

8

- تظل كل هذه الأفكار مجرَّد تحليلات وتكهُّنات؛ معتمدة في المقام الأول على القصص والروايات الشعبية؛ لحين ظهورِ أثَر أو دراسة علمية تؤكِّد صِحتها.

● ما بين التراث الشعبي والكُتب المقدَّسة

دينيًّا؛ لا يوجَد دليلٌ لتأكيدِ هذه التكهُّنات لا من القُرآن والسُّنة؛ ولا مِن الكُتب المقدّسة، ولكن يُلاحظ أن كلَّ مَن ذكَرها مِن المؤرخين والأَخْبَارِيِّين المِصريين أو مَن نقَل عنهم، فالراجِحُ أنّها منقولة من التراث الشعبي المِصري؛ وهي بالطبع - كما ذكَرنا من قبل - لا يمكِنُ بأيِّ حالٍ من الأحوال اعتبارها مصادرَ علميَّة موثوقة نُعَوَّل عليها.

والدارسُ للتناولات الشعبية لسِيَرِ الأشخاص والأحداث؛ سيجدُها في غالبية الأحيان تسلكُ مسلكًا أسطوريًّا، بسبب التغيرات التي تستحدث مع حياكة القصة بعد كل زمان، ورغم ذلك - ربما في الكثير من الأحيان - تجدُ القصة تحمل تشابهات مع موروثات الشرائع السماوية الثلاث، على سبيل المثال: «إدريس» و«أخنوخ» في الشرائع التوحيدية كانا صالحين، وبسبب صلاحهما رُفِعا إلى السماء، كما هو الأمرُ مع «أوزوريس»؛ كان صالحًا وحكيمًا ثم رُفِع إلى مرتبة الآلهة وحاكوا له أسطورةً تُخلِّده.

● متى بدأ التراث الشعبي في الانتشار؟

قبل فك «حجر رشيد» و«رموز الهيروغليفية المصرية»؛ كان لمصر تاريخًا شعبيًّا منذ بداية الخَليقَة، وكانت

قصة «إدريس» أو «هرمس» أو «أخنوخ» مادةً مهمةً فيه، فكانت العمارة المصرية القديمة التي صمَدت إلى الآن مجرد حجارة صمّاء، سبَّبت حيرة واضحة لدَى مؤرِّخي العصور الوسطى العرب والمسلمين، والسببُ في ذلك أن تاريخ مصر القديم، قد شهِد عملية طمسٍ متعمَدةٍ منذ الغزو الروماني سنة ٣٠ قبل الميلاد؛ مرورًا بدخول المَسيحية لمصر على يد «القديس مرقس» عام ٦٥ م؛ ثم تعميمها كديانة للإمبراطورية الرومانية على يد «قسطنطين الكبير»؛ منذ صدور مرسوم ميلانو عام ٣١٣ م وما تبعه من قرارات، وبالتالي تلاشت الديانات الوثنية المصرية القديمة؛ بعدما حاربتها المسيحية وبعدها الإسلام، حتى تُركت المعابدُ والآثارُ مجهولة دون أي توضيحٍ لها وما كان يتمُّ فيها؛ أو حتى فك رموز لغتها القديمة.

مع الوصول للعصور الوسطى؛ زاد الجهل تجاهها أكثر مع مرور السنين، وفي ظل هذا الغموض؛ لم يجدِ المؤرِّخون المِصريون وقتها تاريخًا يكتبوه لِمصر سوى الرِّوايات الشعبية والشِّفَاهية التي ترددها أفواه الناس؛ حتى كُتب لمصر تاريخًا شعبيًّا؛ عادةً ما يُطلق عليه الآن «تاريخ مصر الخُرافي».

● تاريخُ مِصرَ الخُرافي

التاريخ الخرافي لمصر؛ هو التاريخ الشعبي المُتداول قبل فكِّ «جان فرانسوا شامبليون» للهيروغليفية المصرية، وقد كُتب في العصور الوسطى، وله أنصارٌ قليلون إلى الآن يردِّدون حكايته، وسُطِّر هذا التاريخُ الشعبيُّ رغم وجود كُتُب الرحالة والمؤرخين اليونانين والرومان؛ كـ«ديودور الصِّقلِّي» و«سترابون» و«هيرودوت» وغيرهم؛ في تجاهل واضح لكتاباتهم، ربما لأنهم ماتوا على الوثنية.

بسبب جهل تفسير حروف الهيروغليفية؛ كان الناسُ يعتقدون أنها مجرد رموز وطَلاسمَ، وتم تفسيرُها بشكل خاطئ، وظهر بينهم المدّعون والمنجمون والسحرة والدجالون، وآخرون لم يهتموا بهذا الشأن بسبب تديُّنهم.

من أشهر العلماء الذين صُبِغت كتاباتهم بهذا التاريخ الخرافي:

المقريزي (١٣٦٥ - ١٤٤١ م) ، وابن تغري بردي (١٤١٠ - ١٤٧٠ م)، وابن إياس (١٤٤٨ - ١٥٢٣ م)، والسيوطي (١٤٤٥ - ١٥٠٥ م)، وغيرهم وغيرهم الكثير، وليس عليهم أيّ لومٍ على الإطلاق، بل أدّوا رسالتهم بكل أمانة؛ على شكل أخبار ولم يدّعوا صِحتها:

-فقد دوَّنوا الموروث الشعبيَّ ولم يُضيفوا عليه.

-كذلك لم يؤكدوا هذه القصص والحواديت، ودائمًا كانوا يبدءون قصصهم بـ «ذكَر فلانٌ عن فُلانٍ».

وإن كانت كُتبهم ليست مصدرًا علميًّا أو تاريخيًّا لتاريخ مِصر القديم؛ فهي بلا شكٍّ موروث شعبي هائل لدراسة تاريخ مصر الشعبي في العصور الوسطى، وهي عملية نقل ضخمة للتراث المصري بالعصور الوسطى من الشّفاهية إلى التدوين؛ وتُعتبر دراسة لما تَداوله سُكان القُطر المصري من ثقافة ومعلومات تجاه هذا الصدد.

وتاريخ مصر الخرافي مقسم إلى فترتين؛ قبل وبعدَ الطوفان:

● ملوك ما قبل الطوفان

يذكر المؤرخون العرب من العصور الوسطى تاريخَ مصر الخُرافي؛ عن أنها بُنيت على يدِ (مصر الأول): «مصرايم بن داويل بن عرباق بن آدم»، (وهو اسم مجهول وغير حقيقيٍّ) بمساعدَةِ ابنه «نقراوش»، ثم استقرّا فيها مع سبعين من نَسل «عرباق» وكان جميعهم عمالقة، وقام هؤلاء العمالقة ببناء مصر، وحفَروا التُّرع وبنوا السُّدود ورفَعوا لها أسوارًا مَنِيعة دوّنوا عليها أسرارَ حِكْمتهم، ثم قسَّم «مصر الأول» ميراثَ مصر على أبنائه، الغرب لـ «نقراوش»، والشرق لـ «سوريد» والثالث «مصرايم بن نقراوش» الجبَّار الذي لقَّبوه بـ «مصر الثاني»، وعندما مات مؤسس مصر «مصر الأول»؛ حنَّطوا جسَده ووضعوه بتابوت ذهبيٍّ ومعه كنوزه.

وفي خُرافة أخرى: قالوا إن أولَ ملك قاسَ النيل كان اسمه «خصليم».

كما توجد خُرافة ذكَرت أن الأهرامات بُنيت على يدِ «شدَّاد بنِ عاد» و«العماليق»، ولهذه الخُرافة أتباع يردِّدونها حتى الآن، بينما «المَقريزي» نفسه روى في زمانه تعليقًا على هذه القصة في موْضِعِ سَرْدِه لها، أنّ القِبط تُنكِر مُقترح دخول «قوم عاد» مصر؛ لقوةِ سِحرهم(489).

كما ذكر «المقريزي» – وغيره من المتداولون – أنَّ ملكًا يُدعَى «سوريد بن سلهوق بن سرياق بن ترميل بن قدرشان بن هوصال»؛ من ملوك مصر قبل الطوفان؛ هو من ابتنى الهرمين الكبيرين على حدِّ ذِكْره، بعدما حلم أن طوفانًا سيأتي بعد ثلاثمائة سنة، فلمّا أصبح جمَع رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر، فأوّلوه بأمرٍ عظيم سيحدُث في العالم؛ فأمَر عند ذلك بعمل الأهرام، وملأها طلسمات وعجائبَ وأموالًا وأصنامًا وأجساد ملوكهم، وأمَر الكُهان فزبروا عليها جميع ما قاله الحكماء، وزبر فيها وفي سقوفها وحيطانها وأسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي يدّعيها أهل مصر، وصوّر فيها صور الكواكب كلها، وزبر عليها أسماء العقاقير ومنافعها ومضارها؛ وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم، مفسرًا لمن يعرف كتابتهم ولغتهم(490).

و ذكَروا كذلك أن «سوريد بن سهلوق»؛ هو مَن بَنى البرابى والآثار الموجودة في «قِفط» و«أخميم»؛ وقد أمَرَ بنقش أسرار العلوم وأسامى النجوم وخواص النباتات وطريقة عمل الطلاسم على الأعمدة والحيطان، وفي نفس الخط؛ قالوا إن هناك حكايات أخرى تقول إن مَن فعل ذلك هو «هرمس» الذي هو «إدريس».

● ملوك مصر بعد الطوفان

هناك حواديت أخرى تَصِف مصر بعدَ الطوفان؛ تقول: إن بانِيها «مصرايم بن بيصر حام بن نوح»، وأن «مصرايم بن بيصر» ولد بعد الطوفان في القرية الأولى التي بناها «نوح» وأبناؤه، وكان «مصرايم» بارًّا بجد أبيه «نوح» عليه السلام، وبناءً على ذلك؛ دعا له «نوح» أن يُسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد؛ ونهرها أفضل الأنهار، وحين شاب «بيصر» ساقه ولده الشاب «مصرايم» وجميع إخوته إلى تلك الأرض فنزلوها؛ وبذلك سميت مصر، وهذه القصة ذكرتها قبل ذلك في كتابي «الأرض بعد طوفان

نوح» بالتفصيل؛ وذكَرتُ مصدر انتشار هذه الحكايات غير المثبتة.

عندما مات أبوه «بيصر»؛ دفَنه مع كنوزه في مكان يسمَّى «دير أبي هرميس» بغرب الأهرامات.

أما «مصرايم»؛ فبعدما مات تولّى بعده «قبطيم بن مصرايم»، ثم «قفطارييم» بانِي أهرامات دهشور – على حدِّ زعمهم – والذي دُفن بعد وفاته جالسًا على كرسي وسْطَ كنوزه في الجبل الغربى إلى جانب مدينة «إرم ذات العماد»؛ على حد زعمهم، ثم تسلّم بعده «بودشير» الساحر والكاهن؛ وأشبع المصريين بسبب سِحره العجيب، والغريب في الأمر أن هذا الخَط ذكَر كذلك أن «هرمس» نزَل لمصر في عهده؛ وأنه من اكتشف منابع النيل، وبفضل طلاسمه صَعد وسكَن في السّحاب، ثم نزل مجددًا إلى الأرض وأمرهم بتنصيب ابنه « عديم « ملكًا على مصر!

يبدوا أن المصريين نفّذوا أمره، فتولَّى «عديم» حُكم مصر وكان ظالمًا جبّارًا أذل أهل مصر..

وغيرها من القصص الخُرافية الطويلة؛ التي افترضت سلسلة من الملوك المصريين بقصص عجيبة وغريبة: مِنها احْتلال «قوم عاد» لها مدّة تسعين سنة، وكذلك أن الله يحرُس مصرَ بنفسه؛ حيث قالوا: إن النبي «نوح» ﷺ مرّ بالسفينة على البلاد أثناء الطوفان؛ فكانت الملائكة تُسلِّم عليه؛ إلّا مصر؛ لأن مصر لا تحرسُها الملائكة ولكن الله هوَ الذي يحرُسُها، وغيرها وغيرها من القِصص الخُرافية.

كل ما ورَد عن «إدريس» عليه السلام - باستثناء نبوَّته وصدِّيقيتِه وصلاحِه ورَفْعِه للسماء- غالبيته جاء من الإسرائيليات؛ وأُضِيف عليه الكثيرُ من الأخبار والاجتهاداتِ؛ لذلك لا يُمكننا التَّصدِيق به كلِّه بتأييدٍ تامٍّ.

أما «أخنوخ»؛ فقِصَّته الواردة في الكُتب المُقدسة تقتصِر على نفس الصفات، لذلك؛ ربما يكون الربطُ بين «إدريس» و«أخنوخ» مقبولًا نسبيًّا؛ بواقِع النصوص السماوية (رغم عدم تأكيد ذلك أثريًّا أو علميًّا).

ففي المقابل؛ رغم تشابه هذه الصفات مع ما ورَد عن «هرمس» «أوزوريس»؛ لا يوجد تأكيدٌ دينيٌّ أو علميٌّ أو أثَري يؤكِّد ذلك، لذا؛ تُعتبَر محاولات الربط بين كل ما ذُكِر في هذا الكتاب، مجرَّد محاولات اجتهادية ليس لها أثرٌ علمي أو تاريخي، لأنَّ غالبية اعتماد المفسِّرين الأوائل والأَخْبارِيِّين الذين تحدَّثوا في هذا الصدد؛ استمدوا معلوماتهم من الإسرائيليَّات والنصوص المُستمدَّة مِن التراث الشعبي، وهذا خطرٌ قد يُهدِّد بخلطِ الأوراق دونَ العِلم الكافي والقرائن التي تؤكِّد ذلك.

والمعلومات الواردة من التاريخ الشعبي؛ بالطبع لا تُعدُّ مصدرًا يُرتكز عليه في تقصِّي الأخبار والحقائق، مع أنَّها بكلِّ حالٍ من الأحوال كالرمادِ من النار؛ فوجود الرماد لابُدَّ أن يكون له أصلٌ قد صنعه؛ رغم ما تعرض له النص من تحريف وتبديل أفقده دقَّته بسبب كثرة التداول، لكن هذا لا ينفي أن له أصلًا بُنيت الأسطورةُ على أساسه؛ فتشابُه الأساطير تُعدّ ظاهرة تستحقّ الدهشة بالفعل، لكن علميًّا لا تُعتبر تأكيدًا لتوثيق حدَثٍ.

كل الاحترام والتقدير للأفكار والفلسفات التي قدمت دراسة للغة المصرية القديمة ونمط حياة المصري القديم؛ وقارنت الديانات المصرية القديمة بالإسلام والكتاب المقدّس، خاصةً التي لم تعتمِد على «تاريخ مصر الخُرافي»، واعتمدت على رموزهم وترجمة مصطلحاتهم القديمة؛ واعتَقَدوا أنّهم موحِّدون أو جاءهم نذيرٌ، فربما مستقبلًا تظهر اكتشافات قد بشّروا بها؛ وتُسجَّل أسماؤهم بأنّهم أول المُبشرين، لكن حتى هذه اللحظة لا يُعتد بها علميًا.

ورغم أنها مجرد أفكار غير معترف بها لعدم إثباتها علميًّا، لكنها تُعيدنا إلى نفس الآيات التي افتتحنا بها هذا الكتاب؛ قوله تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ (491)

وكذلك قوله تعالى:

﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (492)

وأيضًا قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ (493).

وهذه الآيات تطرحُ سؤالًا مهمًّا.

-سواء أكان «إدريس» ﷺ أو غيره؛ مَن النبيُّ البشيرُ الذي بُعث لمصر؟

حقًا؛ من أبرَز الألغاز المُحيرة؛ لغز عدم ذِكْر الأنبياء في تاريخ حضارة مصر القديمة، رغم تأكيد الكُتب السماوية على نزول بعضهم كـ «إبراهيم» و«يوسف» و«موسى» وقصة «فرعون» وانشقاق البحر، وكذلك رحلة «المَسيح» طفلًا، وأمه «مريم بنت عمران»، عليهم جميعًا السلام، أين هم من تاريخ مصر القديمة؟

● لماذا لا يوجد ذِكر للأنبياء في الحضارة المصرية؟

إنّ غياب ذكرٍ صريح للأنبياء في التاريخ المصري القديم ظاهرة مُثيرة للتساؤل، وكانت سببًا رئيسيًّا لادِّعاء البعض أن هناك تاريخًا دينيًّا وآخرَ واقعيًّا، وأن التاريخَ الديني يكاد يكون أسطوريًّا؛ ومجرد تأليف لا يَمس الواقِعَ بصلةٍ.

والجوابُ على هذا السؤال يستدعي الإنتباه لأسباب مُتعددة ومتشابكة؛ ينبغي مراعاتها عند التعامل مع هذا الأمر.

- **أولًا: التدوين التاريخي**

تُركِّز السِّجلات التاريخية غالبًا على الأحداث السياسية والعسكرية؛ وشئون الملوك والحكام وفتوحاتهم وإنجازاتهم، بينما قد لا تُسلِّط الضوءَ بشكلٍ كافٍ على الشخصيات الدينية أو الاجتماعية، خاصّةً إن لم تكن على غير هوى الحكام، فربما نظر الحكام إلى الأنبياء كمتمرِّدين؛ ممّا قد يُؤثّر على ما اختاروا إدراجه أو إغفاله، فعلى سبيل المثال: جميع الأنبياء المذكورين في القرآن الكريم لم يكونوا من الحكّام؛ سوى «محمد» و«داود» و«سليمان» عليهم الصلاة والسلام؛ وهؤلاء ذُكِروا في السِّجلات التاريخية كونهم حكامًا؛ لعدم الإعتراف بهم كأنبياء عند بعض من سَجّلوا التاريخ.

- **ثانيًا: ضياع الوثيقة أو الأثَر**

ربما تعرّضت العديد من الوثائق التاريخيةِ عَبْر العصور لِلفقد أو التّلف بسبب الحروب والكوارث الطبيعية؛ وغيرها من العوامل.

- **ثالثًا: التحريف والتّأويل**

من غيرِ المُستبعد مرور الوثائق التاريخيةِ بتحريفٍ وتأويل من قِبَل الناقلين؛ ممّا قد يُؤثّر على دقّتها وصحتها؛ وانتسابها لأشخاص وأسماء غير أصحابها الحقيقيين.

- **رابعًا: علم الآثار ليس المصدر الأوحد للتاريخ**

يُعد علمُ الآثار علمًا مساعدًا ومهمًّا جدًّا؛ لكن عجزه عن وجود المعلومات الأثرية التي تذكر تاريخ الأنبياء؛ لا يعني الجزم بعدم وجودهم، فربما فُقدت آثارهم؛ ومن الممكن معرفة تاريخهم من أي مصادر أخرى.

- **خامسًا: ربما آثارهم أمامنا ولم نَرَها**

ليس مستَبعدًا وجود آثار وذِكْر للكثير من الأنبياء في الحضارة المصرية؛ لم تصلنا حتى الآن، وربما لهم آثار موجودة؛ لكن إلى الآن غامضة وغير مفَسّرة.

- **سادسًا: طمس الأثر عن عمدٍ**

تكرَّر في التاريخ المصري القديم حوادث تدمير كثيرة؛ لأسباب دينية وسياسية معاديه لأصحاب الأثر، فقد أقدم بعض حكام مصر القدماء أنفسهم على هدم الآثار والمقابر الدينية السابقة، إما مع المحتل؛ كـ «غزو الكوشين»، أو مع هدم حركات دينية؛ كحركة «أخناتون» التوحيدية وإبادتهم لمدينته الدينية «أخيتاتون»، فربما تعرَّض الأنبياءُ الذين وَطِئَت أقدامهم أرض مصر لهذا التعسف، أو تُركت بعض آثارهم لضخامتها؛ لكن نُزع عنها الكتابة والتوضيح؛ وشُطِبت معالمها.

- **سابعًا: التكامل بين المصادر**

لا ينبغي الاعتماد على مصدر واحدٍ فقط لِدراسة التاريخ؛ بل يجبُ الاستفادة من مختلف المصادرِ المُتاحةِ، بما في ذلك النصوص الدينية والاكتشافات الأثرية والشّواهد العلمية، لِتكوينِ صورة شاملة عن الأحداث والشخصيات التاريخية، أي إن «النصَّ الدينيَّ» ضِلْع من أضلاع المثلث، فالتدوين الديني لأي ديانة إن ثَبُت صحته وزمان كتابته، فهو بمثابة عامل مساعد، كما أن عدم وجود الأثر لا يعني عدم وجود الكيان من الأساس، فلا شكّ في أن أحداثًا تاريخية كثيرة تمَّت إبادتها دون أثر؛ لذلك يلجأ العلماء لدراسة وتحليل العلوم والعوامل المساعدة الأخرى.

***

تاريخ مصر القديم كله ظلَّ غامضًا لما يقارب ١٨٥٠ سنة؛ كانت الحضارة المصرية في غالبيتها مجرد أصنام صماء ولم نفك شفراتها إلَا منذ ٢٠٠ عام فقط! فربما يظهرُ في المستقبل مالم نتوقعه، أو يشهد عالمنا وسائل متطورة من البحث التاريخي، أو يتم الإعلان عن حفريات أثَرية جديدة تحمل العجَب العُجاب، وهذا حدَث مرات عديدة في المائة سنة الماضية فقط، ومما لا شك فيه أنّنا لم نكتشف إلا قِلة قليلة من أسرار السابقين، وهذا يعنِي أننا لم نتعرَّف إلّا على جزءٍ بسيطٍ من تاريخنا الإنساني؛ لذلك يمكنني اختتام كتابي بهذه الكلمات التي تُكوّن قناعتي الخاصة:

«إذا انتظرت مِن التاريخ إجابةً عن سؤالك؛ سيقدِّمها لكَ، لكن سيسديك معها أسئلة أجدد وأعمَق، فهو بحرٌ لن تجدَ له أرضية؛ يناولك الماء كي تروَي عطشك؛ لكن ماءَه مالحٌ يزيد ظمأك دون أن تُروَى، فلا تسأل التاريخَ إجابةً؛ بل اسأله أسئلةً جديدة».

***

شريف سامي

**التواصل مع الكاتب**

يمكنك مسح هذا الكود بجوالك للوصول لبيانات الكاتب

أو الدخول عبر الروابط التالية

لمشاهدة فيديوهات الكاتب التاريخية على البيدج الرسمي بفيسبوك:

www.facebook.com/sherifsamyy

كذلك قناة اليوتيوب الخاصة به من هنا:

www.youtube.com/sherif samy

أو التواصل المباشر معه عبر حسابه الشخصي على فيسبوك:

www.facebook.com/sherif.samy.92

وكذلك إنستجرام:

www.instagram.com/sherif_samy_ramadan

وتقييم الكتاب على الموقع العالمي جود ريدز من هنا:

شريف سامي/ www.goodreads.com

ويمكنك متابعة باقي أعمال الكاتب من موقع الدار الرسمي:

www.dardawen.com/authors/sherif-samy-ramadan

وعلى موقع أبجد من هنا:

www.abjjad.com /authorشريف سامي/

**هوامش**

(1) (سفر التثنية ١٨ : ١٨)

(2) المسيا، أو الماشيح باللغة العبرية، هو شخصية مركزية في التوقعات الدينية اليهودية؛ ويُعتبر شخصية مُخلِّصة ومُنتظرة ستأتي لتحريرِ الشعب اليهوديِّ وإقامة مملكة الله على الأرضِ.

(3) (إنجيل لوقا ٢٤: ٤٤).

(4) القرآن الكريم، سورة المائدة: ١٩.

(5) القرآن الكريم، سورة النساء: ١٦٥.

(6) القرآن الكريم، سورة طـه: ١٣٤ .

(7) ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ – القرآن الكريم، سورة المؤمنون:١١٥، ١١٦.

(8) الراوي: أبو هريرة – المحدِّث: الألبانيُّ – المصدر: صحيح الترمذي – رقم: ٣٣٦٨ – خُلاصة حُكم المحدِّث: حسنٌ صحيحُ التخريج: أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) واللفظ له، والبزار (٨٤٧٨)، وابن خزيمة في ((التوحيد)) (١٦٠/ ١).

(9) (سفر التكوين ٥ – ٦:٨).

(10) ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن الجزري، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٨:٤٧.

(11) عتي بن ضمرة السعدي.

(12) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج ٥، ص ١٣٦، رقم ٢٠٧٣٤ / الهيثمي في مَجمَع الزوائد ومنبع الفوائد.

(13) الأخشبان: جبلان في مكة يُحيطان بها، جبل قيقعان وجبل أبي قُبيس، وقبيس يقبع في الجِهة الشرقية للمسجد الحرام، وعليه القصر الملكي اليوم.

(14) ابن الأثير، عز الدين، أبو الحسن الجزري، الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٩.

(15) البابا شنودة الثالث، كتاب آدم وحواء قايين وهابيل.

(16) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح ٣ كاملًا.

(17) هي نفسها اليهودية الربانية الحاخامية، أو اليهودية المعيارية الكلاسيكية، وهي أصل العقيدة اليهودية السائد بين معظم الجماعات اليهودية في العالم؛ ابتداءً من حوالي القرن التاسع الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن عشر.

(18) التي تأسست في القرن الثامن عشر الميلادي، والمعروفة بالحركة اليهودية الإصلاحية.

(19) هم المعروفون باليهود الوسطيون، لا متدينين ولا علمانيين، ويقرُّون أن التزامَهم بالشعائر والطقوس غرضُه الحفاظ الرمزي للديانة لا التشدُّد أو المُغالاة، وأن صِلتهم بالدِّين متعلقة بميولِ قلوبهم روحانيًّا.

(20) Pies, Ronald W. (2000). The Ethics of the Sages: An Interfaith Commentary on Pirkei Avot.

Jason Aronson. p. xviii.

(21) Boring، Eugene (2012). An Introduction to the New Testament: History, Literature, Theology. Westminster John Knox. p. 301.

(22) Hendel, Ronald S (2000). "Adam". In David Noel Freedman (ed.). Eerdmans Dictionary of the Bible. Eerdmans. p. 19.

(23) Stortz, Martha Ellen (2001). "Where or When Was Your Servant Innocent?". In Bunge, Marcia J. (ed.). The Child in Christian Thought. Eerdmans. p. 93.

(24) The previous reference. pp. 93-94.

(25) ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾، القران الكريم، سورة البقرة الآية (٣٧).

(26) في التفسير الإسلامي – نجد أن المراد من تلقي الكلمات: «الاستعارة التصريحية»؛ التي تعني استقبال الكلمات بالأخذ وقبولها والعمل بها، كالذي يلتقي أحبابه بعد طول غياب، حيث حُذِف المشبه وذكر المشبه به، وحرف الفاء قبل كلمة «تلقى» يعني مبادرته للأخذ بالكلمات والاشتياق إليها والعمل بها فورًا ، ووردت كلمة: «كلمات» منكرة غير معرفة؛ بغرض تفخيم الكلمات التي تلقاها وتعظيمها، وذِكر «آدم» بالاسم في الآية يدل على أن التوبة قُبِلت، لذلك كرمه ربه بإضافة اسمه للتشريف، حيث يُظهر حرف الفاء في قوله «فتاب عليه» بالسببية؛ التي تُفيد بأن توبة آدم الخالصة كانت هي المسببة لتوبة الله عليه، لِما في التوبة من إصلاح وتربية ورعاية لآدم وذريته، فتوبة «آدم» لم تتم بالبساطة التي قد يتوقعها البعض، فقد وردت آيات التوبة في القرآن الكريم بصيغ أخرى تشترط عدم الرجوع للذنب – الذي هو مخالفة أمر الله.

(27) القرآن الكريم، سورة الأعراف الآية (٢٧).

(28) القرآن الكريم، سورة طه، الآية (١٢١ : ١٢٢).

(29) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾، القرآن الكريم، سورة البقرة (٣٠).

(30) القرآن الكريم، سورة طه (١١٥).

(31) ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾، القرآن الكريم، سورة الأعراف (٢١).

(32) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الحديث رقم: ٣٣٤٠ – خلاصة حكم المحدث : [صحيح] التخريج : أخرجه البخاري (٣٣٤٠) واللفظ له، ومسلم (١٩٤).

(33) مجموع فتاوى ابن عثيمين ٣١٧/ ١.

(34) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، تفسير سورة البقرة، الآية ٦٢.

(35) المرجع السابق.

(36) Buckley, Joron Jacobsen (2010). "4. Turning the Tables on Jesus: The Mandaean Viewpoint." In Horsley, Richard (editor). Christian origins. A People's History of Christianity.

(37) Brikhah S. Nasoraia (2012). "Sacred Text and Esoteric Praxis in Sabian Mandaean Religion».

(38) من مقال للكاتب والباحث العراقي «علي فائز»، تحت عنوان: الصابئة.. ديانة الماء المتهمة بالكفرِ

والنجاسة – بموقع السفير العربي.

**(39)** «**وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضًا، فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثًا، قَائِلَةً: «لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلًا آخَرَ عِوَضًا عَنْ هَابِيلَ». لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ.**»– **العهد القديم، سفر التكوين ٤ : ٢٥.**

(40) سنة العالم (تقويم عبري) – هو عصر التقويم الذي يبدأ من خلق العالم بحسب التوراة.

(41) هو كتاب يهودي ديني قديم، يسمى أحيانًا سفر التكوين الصغير، وكان معروفًا للكُتاب المسيحيين والحاخامات اليهود بشكل جيد في وقت مبكر في الشرق والغرب، ولكن في وقت لاحق تم قمعه بشكل كبير فلم تبقَ أي نسخة عبرية أو يونانية أو لاتينية كاملة.

(42) إنجيل لوقا (٢٣:٣-٣٨).

(43) سنة العالم (تقويم بيزنطي) – وهو نظام تقويم عند المسيحيين البيزنطيين والرومان لحساب الزمن.

(44) صحيح ابن حبان، عن أبي ذر الغفاري، ص ٣٦١، أخرجه في صحيحه.

(45) أبو نعيم الأصبهاني، أبو نُعيم أحمد بن عبـد الله بن مهران، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،(١/ ١٦٦ – ١٦٧) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسَّاني قال: حدثنا أبي عن جدِّي عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذرٍّ ..... إلخ.

(46) – ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في كتابه «الموضوعات»، واتهم به إبراهيم بن هشام راويه / وقد قال أبوحاتم عن إبراهيم هذا كما في الجرح والتعديل (٢/ ١٤٢ – ١٤٣): « كذَّابٌ «، وكذا أبوزرعة / وقال الذهبي: « متروك «/ وكذلك تم إضعافه في ميزان الاعتدال (١/ ٧٣)، (٤/ ٣٧٨) / وقال الحافظ ابن كثير: «ولا شكّ أنه قد تكلَّم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث»/ وورَد في تخريخ «صحيح ابن حبان» لمحققه شُعيب الأرنؤوط، الصفحة أو الرقم : ٣٦١، وقال عنه: ضعيف جدًّا / وكذا ضعّفه السيوطيُّ/ وقال حسين أسد: إسناده ضعيف جدًّا / وقال جمال الدين الزيلعي في «تخريج الكشاف»، الصفحة أو الرقم : ٣٨٨/ ٢، ضعيف جدًّا/ وقال أبو نعيم الأصبهاني، في «حلية الأولياء» الصفحة أو الرقم : ٢٢١/ ١: ضعيف؛ تفرَّد به يَحْيى بن سعيد العبشمي عن ابن جُريج / وقال شهاب الدين البوصيري، في «إتحاف الخيرة المهرة»، الصفحة أو الرقم : ٧٢/ ٣، خلاصة حكم المحدث : سنده ضعيف.

(47) ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾، (القرآن الكريم – سورة الأعلى الآيات: ١٨ و١٩)

(48) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٥٢.

(49) المرجع السابق – ص ١٥٨.

(50) إبراهيم بوخاردت، الفن المقدس في الشرق والغرب، ص ١٥١.

(51) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص ٨.

(52) ابن العبري، أبو الفرج بن هارون الملطي، تاريخ مختصر الدول.

**(53)** (١– **آدمُ ولَدَ شيتَ، وشيتُ ولَدَ أنوشَ. ٢ – أنوشُ ولَدَ قينانَ، قِـينانُ ولَدَ مَهلَلْئيلَ، ومَهلَلْئيلُ ولَدَ**

**يارَدُ). (سفر أخبار الأيام الأول - الإصحاح الأول).**

(54) ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المدني، سيرة رسول الله.

**(55) وَعَاشَ شِيثُ مِئَةً وَخَمْسَ سِنِينَ، وَوَلَدَ أَنُوشَ. وَعَاشَ شِيثُ بَعْدَمَا وُلَدَ أَنُوشَ ثَمَانِيَ مِئَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ شِيثَ تِسْعَ مِئَةٍ وَاثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةً، وَمَاتَ (سفر التكوين ٥ / ٦:٩)**

(56) هي الترجمة اليونانية للعهد القديم بأمر من بطليموس، ترجمه من العبرية لليونانية اثنان وسبعون من الأحبار، واعتمد كاتبو العهد الجديد على النسخة السبعينية، أما اليهود فهاجمهم المسيحيون بنبؤات من الترجمة السبعينية فأقروا أنها ليست صحيحة وقبِلوا النسخةَ العبرية فقط.

(57) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، ج ١، ص ٢.

(58) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ج ١، ص ١١١.

(59) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٦٣.

(60) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢.

(61) الطبري، المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٩.

(62) مدينة السوس الأقصى مقرها حاليًّا سهل سوس في المغرب.

(63) جمع غول، وصف وحش خيالي في القصص الشعبية العربية، يغولُ المسافرين والمبتعدين عن الطريق، المتعمِّقين في الأحراش، وهو يصفر صفرة شيطانية من أمامك ثم من خلفك، ويستطيع التمثل للإنسان بشكل صديقه، وهو مشهور عنه هذا الفعل الشيطاني.

(64) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١١١.

(65) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج١، ص ٢.

(66) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٦٤.

(67) الطبري، المرجع نفسه، ج ١، ص ١٦٧.

(68) اليعقوبي، المرجع السابق، ج ١، ص ٢.

(69) الطبري، نفس المرجع.

(70) ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ﴾ - القرآن الكريم - سورة الأحزاب الآية:٣٣.

(71) الطبري، نفس المرجع، ج ١، ص ١٦٨.

(72) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(73) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١١١.

(74) أنس الله؛ هي ترجمة من العبرية بمعنى: الذي مشَى مع الله.

(75) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي، المنتظم في تاريخ الأمم الملوك ج ١، ص ٢٣٣ - باب ذكر إدريس عَلَيْهِ السَّلام، في الحاشية ذكر المصادر التي نقل منها الحديث وهي: تاريخ الطبري ١/ ١٧٢، ومروج الذهب ١/ ٤٢، وعرائس المجالس ٤٩، والكسائي ٨١، وتاريخ اليعقوبي

١/ ١١، ونهاية الأرب ١٣/ ٣٨، والبداية والنهاية ١/ ٩٩، ومرآة الزمان ١/ ٢٢٦، والكامل في التاريخ ١/ ٥١.

(76) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(77) الطبري، محمد بن جرير الطبري، كتاب تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، القول في خلق آدم ع ذكر الأحداث التي كانت في أيام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد، ج ١، ص ١٧٠: ١٧١.

(78) القرآن الكريم، سورة مريم، آية:٥٦-٥٧.

(79) القران الكريم، سورة الأنبياء، آية:٨٥-٨٦.

(80) أبو بركات النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٢، ص ٤١٧.

(81) (إنَّ نبيَّ الله أيُّوبَ لبث به بلاؤُه ثمانيَ عشرةَ سنةً.... إلخ ) الألباني، السلسلة الصحيحة، الصفحة أو الرقم ١٧، أخرَجه البزار (٦٣٣٣)، وابن حبان (٢٨٩٨)، والحاكم (٤١١٥) باختلاف يسير.

(82) ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ القرآن الكريم، سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

(83) فخر الدين الرازي، أبو عبد الله محمد بن علي الرازي، التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ١٨٣.

(84) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٦٠٩٤، أخرجه مسلم (٢٦٠٧) باختلافٍ يسيرٍ.

(85) ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين بن حريز الزرعي الحنبلي، مدارج السالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيَّاك نستعين، ج ٣، ص ١٩٣.

(86) وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾، القرآن الكريم، سورة النساء، الآية: ٦٩.

(87) ذكر ابن الجوزي هذا الحديث في كتابه الموضوعات، واتهم به إبراهيم بن هشام راويه / وقد قال أبوحاتم عن إبراهيم هذا كما في الجرح والتعديل (٢/ ١٤٢ - ١٤٣): «كذَّابٌ»، وكذا أبوزرعة / وقال الذهبي: « متروكٌ «/ وكذلك تم إضعافه في ميزان الاعتدال (١/ ٧٣)، (٤/ ٣٧٨) / وقال الحافظ ابن كثير: «ولا شكَّ أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث»/ وورد في تخريخ صحيح بن حبان لمحقِّقه شعيب الأرنؤوط، الصفحة أو الرقم : ٣٦١، وقال عنه: ضعيف جدًّا / وكذا ضعفه السيوطي/ وقال حسين أسد: إسناده ضعيف جدًّا / وقال جمال الدين الزيلعي في تخريج الكشاف، الصفحة أو الرقم : ٣٨٨/ ٢: ضعيف جدًّا/ وقال أبو نعيم الأصبهاني، في حلية الأولياء الصفحة أو الرقم : ٢٢١/ ١: ضعيف؛ تفرد به يَحيى بن سعيد العبشمي عن ابن جريج / وقال شهاب الدين البوصيري، في إتحاف الخيرة المهرة، الصفحة أو الرقم : ٧٢/ ٣،خلاصة حكم المحدِّث : سنده ضعيف.

(88) القرآن الكريم، سورة الأعلى، الآيتان (١٨ - ١٩)

(89) الطبري، محمد بن جرير الطبري، كتاب تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، القول في خلق آدم على ذكر الأحداث التي كانت في ايام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد، ج ١، ص ١٧٠: ١٧١.

(90) جاء في صحيح البخاري (عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ أُتيَ بلَحم فرُفع إليه الذِّراع، وكانت تُعجِبُه، فنهش منها نهشةً، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأوَّلين والآخِرين في صَعيد واحد..،.....،... اذهَبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أوَّل الرسلِ إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشْفَع لنا إلى ربك، ألَا ترَى إلى ما نحن فيه..... إلى آخر الحَديث).

(91) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(92) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن القرشي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٢٣٦.

(93) المرجع السابق.

(94) اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحاق اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٣.

(95) ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، القران الكريم، سورة نوح الآية: ٢.

(96) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، قصة نوح عليه السلام، ج ١، ص ٢٤٧.

(97) قال البخاري في: «صحيحه» عن ابن عباس -رضي الله عنهما- «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلمّا هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن أنصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يدعون أنصابا، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبَد حتى إذا هلك أولئك، ونُسِخ العِلمُ: عُبدت».

(98) محمد بن نايف بن زين العابدين، منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ج ١، ص ٤٤.

(99) صحيح البخاري برقم ٤٩٢٠ / وتفسير الطبري، ج ٢٣، ص ٦٣٩/ وتفسير القرطبي، ج ٩، ص٣٠٧- ٣٠٨/ وتفسير ابن كثير، ج ٤، ص ٤٢٦.

(100) ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾، القرآن الكريم، سورة الصافات - ٧٧.

(101) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، ج٧، ص ٢٣.

(102) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٢١، ص ٥٩.

(103) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٦٠، تفسير: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

(104) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ ج ٦، ص ٤٣٠.

(105) في قصص الأنبياء، ابن كثير: «قالا» والخبر رواه ابن عساكر في تاريخه (١ / ٣٨٢ تهذيب).

(106) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ١٠٠.

(107) المصدر السابق.

(108) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية ، ج ١، ص ٣٣٩.

(109) هو أحد أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وتكلم عنه القرآن بأنه كان قد دعا قومه للجهاد فهربوا وخرجوا من ديارهم فأماتهم الله، ثم أحياهم الله على يديه مرة أخرى، وكانت هذه إحدى معجزاته.

(110) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير ابن كثير، سورة الصافات، تفسير آية ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

(111) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٣:٣٠.

(112) القرآن الكريم – سورة البقرة، آية: ٢١٣.

(113) القرآن الكريم – سورة النساء، آية ١٦٣.

(114) جاء في صحيح البخاري (عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بلَحم فرُفع إليه الذراع، وكانت تُعجِبُه، فنهش منها نهشةً، ثم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس الأوَّلين والآخِرين في صعيد واحد..،..،... اذهَبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أوَّل الرسلِ إلى أهل الأرض، وقد سمَّاك الله عبدًا شكورًا، اشْفَع لنا إلى ربك، ألَا ترى إلى ما نحن فيه..... إلى أخر الحديث).

(115) القرآن الكريم – سورة الحديد، الآية: ٢٦.

(116) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ – (القرآن الكريم – سورة مريم)

(117) القران الكريم – سورة مريم، الآية: ٥٦.

(118) القرآن الكريم – سورة مريم، الآية ٥٨.

(119) رواه ابن حبان في « صحيحه « ( ١٤ / ٦٩ ) والحاكم (٢٦٢/ ٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية « ( ١ / ٩٤ ): هذا على شرط مسلم ولم يخرجه .

(120) رواه الحاكم في المستدرك ( ٢ : ٥٤٦- ٥٤٧)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي .

(121) القرآن الكريم، سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(122) النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٤١٦.

(123) هو أحد صغار الصحابة، وأحد رواة الحديث.

(124) النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ٤١٧.

(125) ابن الملقن، عمر بن علي التكروري المصري الشافعي، مختصر تلخيص الذهبي لمستدرك الحاكم، ج ٢، الحديث رقم ٤١٤.

(126) المنوفي، السيد محمود أبو الفَيض المنوفي، الدين والفلسفة والعلم، ص ٥٩.

(127) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ذكر الأحداث التي كانت في أيام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد، ج ١، ص ١٧٠.

(128) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج ١، ص ٢٣٤.

(129) الطبري، المرجع السابق، ج١، ص ١٧٠.
(130) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب بن محمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١٣، ص ٣٨.
(131) أبو اليُمن الحنبلي، أبو اليمن مُجير الدين عبد الرحمن بن العُليمي، فتح الرحمن في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٢٦٠.
(132) الطبري، المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٠: ١٧١.
(133) أبو بركات النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، ج ٢ ، ص ٣٤١.
(134) أبو عبد الله محمد بن عربي الطائي الحاتمي، (١١٦٥-١٢٤٠)، كان عالمًا ومتصوفًا وشاعرًا وفيلسوفًا عربيًّا أندلسيًّا.
(135) رواه معاوية بن الحكم السُّلمي، المصدر: صحيح مسلم، الصفحة أو الرقم: ٥٣٧ - خلاصة حُكم المحدِّث : [صحيح].
(136) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، شرح النووي على مسلم، ج ٥، ص ١٩٠.
(137) عبد الرحمن بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد، باب ما جاء في التنجيم، ص ٢٢٣.
(138) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الشافعي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٩٠.
(139) محمد أحمد خضر، الخليل إبراهيم وذريته، ص. ٣٠.
(140) الصحراء القاحلة الجدباء
(141) الزُحَيلي، وهبة بن مصطفى الزُّحَيْلي، التفسير المنير للزُحَيلي، ج ١٦، ص ١٢٣.
(142) ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن المهدي بن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تفسير سورة مريم، الآية ٥٦.
(143) المرجع السابق، ص٥٧.
(144) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٤٢ :٤٤.
(145) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين الخضيري السيوطي، الدر المنثور، تفسير سورة مريم، ج ١٠، ص ٨٧ : ٩٤.
(146) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين الخضيري السيوطي، الدر المنثور، تفسير سورة مريم، ج ١٠، ص ٨٧ : ٩٤.
(147) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٨، ص ١٠٨.
(148) ... وقال ابن أبي حاتم في كتابه العلل: سألت أبي عن هذا الحديث؛ فقال: هذا حديث مُنكرٌ. اهـ، وقال البيهقي في كتابه (شعب الإيمان): رويناه من وجهٍ آخر، عن مجاهد، عن ابن عمر موقوفًا عليه، وهو أصح، فإن ابن عمر إنما أخذه عن كعب ... وهذا أشبه أن يكون محفوظًا.اهـ./ ومن أئمة الحديث الذين

صوَّبوا كون خبر هاروت وماروت المشار إليه في السؤال من كلام كعب الأحبار: أحمد بن حنبل، والإمام أبو حاتم الرازي، والحافظ البيهقي، والحافظ ابن كثير، والقرطبي صاحب التفسير، والحافظ السَّخَاوي، ومن المعاصرين: أحمد شاكر، والألبانيّ، وشُعيب الأرناؤوط.

(149) الخطيب الشربيني، شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، السِّراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، ج ٢، ص ٤٣٣.

(150) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم : ٣٨٨٧.

(151) الألباني، محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع برقم ١٢٧، وأخرجه مسلم باختلاف يسير برقم ١٦٢.

(152) ابن ابي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف، ج ٧، ص ٤٦٣.

(153) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرح، تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٤٢ :٤٤.

(154) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب ذكر إدريس، ج ٦، ص٣٧٦.

(155) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، برقم: ٧٥١٧، وكذلك أخرجه مسلم باختلاف يسير برقم: ١٦٢.

(156) البخاري، المرجع السابق، برقم : ٣٤٩.

(157) ابن الصلاح، عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن الكردي، مقدمة ابن الصلاح – معرفة أنواع علوم الحديث، ص ٨٦.

(158) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين الخضيري السيوطي، الدر المنثور، تفسير سورة مريم، ج ١٠، ص ٨٤.

(159) البغوي، أبو محمد بن الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج ٥، ص ٢٤٠.

(160) القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرح، تفسير القرطبي، ج ١١، ص ٤٣.

(161) البغوي، أبو محمد بن الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي، ج ٥، ص ٢٣٩.

(162) ابن ابي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، ج ٧، ص ٤٦٣.

(163) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين الخضيري السيوطي، الدر المنثور، تفسير سورة مريم، ج ١٠، ص ٨٤.

(164) جلال الدين السيوطي، المرجع السابق، ج ١٠، ص ٨٦.

(165) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، باب ذكر إدريس، ج ٦، ص٤٣٢.

(166) المجلسي الثاني، أبو عبد الله محمد باقر بن علي المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ١١، ص ٢٧٩.

(167) الراوندي، أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي، قصص الأنبياء، ص ٨٢.

(168) الراوندي، المرجع السابق.

(169) المجلسي الثاني، أبو عبد الله محمد باقر بن علي المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ١١، ص ٢٧١ : ٢٧٦.

(170) الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٣٤٩.

(171) القرآن الكريم، سورة مريم، الآيات (:٥٦-٥٧).

(172) القمي، علي بن إبراهيم بن هاشم القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ٥١.

(173) المجلسي الثاني، أبو عبد الله محمد باقر بن علي المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٧، ص٤٣٤.

(174) www.imamali-a.com – مسجد السهلة – العتبة العلوية المقدسة.

(175) الراوندي، أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي، قصص الأنبياء، ص ٨٣.

(176) المجلسي الثاني، أبو عبد الله محمد باقر بن علي المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٩٧، ص ٤٣٤.

**(177) (سفر التكوين ٥) بدايةً من: [١ هذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ، يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ...] ، وحتى [٣٢ وَكَانَ نُوحٌ ابْنَ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ. وَوَلَدَ نُوحٌ: سَامًا، وَحَامًا، وَيَافَثَ].**

**(178) [وَعَاشَ أَخْنُوخُ خَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً، وَوَلَدَ مَتُوشَالَحَ. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ بَعْدَ مَا وَلَدَ مَتُوشَالَحَ ثَلاَثَ مِئَةِ سَنَةٍ، وَوَلَدَ بَنِينَ وَبَنَاتٍ. فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً. وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ أَخَذَهُ. ] (سفر التكوين ٥: ٢١-٢٤).**

(179) بطاركة : أي الآباء الأوائل.

(180) Aristeas of Marmora (1904). The Letter Of Aristeas, translated into English. Translated by St. John Thackeray, Henry. London: Macmillan and Company, Limited. pp. 7-15.

(181) Stefon, Matt (2011). Judaism: History, Belief, and Practice. The Rosen Publishing Group, Inc. p. 45.

(182) καὶ εὐηρέστησεν Ενωχ τῷ θεῷ καὶ οὐχ ηὑρίσκετο ὅτι μετέθηκεν αὐτὸν ὁ θεός5:24..

(183) G3857 παράδεισος Strong's Greek Lexicon. Strong's Greek 3857_ παράδεισος (paradeisos) - a park, a garden, a paradise.

(184) Gottlieb, Leeor (2021-05-17). "Towards a More Precise Understanding of Pseudo-Jonathan's Origins". Aramaic Studies. 19 (1): 104-120.

(185) Biblical literature - Early Versions, Translations, Canon - Britannica. www.britannica.com.

(186) Jewish Encyclopedia Enoch". Jewishencyclopedia.com».

(187) Rashi's Commentary on Genesis 5:24.

(188) Jewish Encyclopedia Enoch". Jewishencyclopedia.com.»

(189) Schodde, George H (1882). The Book of Enoch .

(190) ANF01. The Apostolic Fathers with Justin Martyr and Irenaeus - Christian Classics Ethereal

Library". www.ccel.org.

(191) موقع الأنبا تيكلا هيمانوت، قاموس الكتاب المقدس – دائرة المعارف الكتابية المسيحية، سفر أخنوخ – كتاب أخنوخ.

(192) (سفر أخنوخ ١:٩، ١:١٥).

(193) (سفر أخنوخ ١:١٠٦-٣)

(194) (سفر أخنوخ ١:١-٣، ١:١٤-٣، ١:٣٩-١٢).

(195) (سفر أخنوخ ١:١٥-١٢، ١:٧١-١٨).

(196) (سفر أخنوخ ١:٧١-١٨، ١:١٠٤-٤).

(197) (سفر أخنوخ ٤:٤٠-٦، ٢:٦٨-٤).

(198) عزازيل هو: الشيطان أو الجن في الصحاري والبراري، أو ملاك ساقِط (بحسَب سفر أخنوخ).

(199) (سفر التكوين ٦: ١ -٨).

(**200**) **[٦ وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ] – (سفر أيوب ١:٦).**

(**201**) **[٧ عِنْدَمَا تَرَنَّمَتْ كَوَاكِبُ الصُّبْحِ مَعًا، وَهَتَفَ جَمِيعُ بَنِي اللهِ] – (سفر أيوب ٣٨:٧).**

(202) (سفر التكوين ٢٥:٤).

(203) MORFILL - The Book of the Secrets of Enoch (1896).

(204) F.I. Andersen 2 (Old Bulgarian Apocalypse of) Enoch, a new Translation and Introduction in ed. James Charlesworth The Old Testament Pseudepigrapha, Vol 1 (1983), page 94.

(205) Harry Alan Hahne, Harry Hahne, Corruption and Redemption of Creation: Nature in Romans 8.19-22 and Jewish Apocalyptic Literature (2006). p 83.

(206) Edward Peters (1980). Heresy and Power in Medieval Europe: Translated Documents, University of Pennsylvania Press Medieval, Medieval Series. Philadelphia, PA: University of Pennsylvania Press. s. 108.

(207) Charlesworth, James H., ed. (1983). "(Hebrew Apocalypse of) Enoch (Fifth to Sixth Century A.D.)". The Old Testament Pseudepigrapha. Vol. 1: Apocalyptic Literature and Testaments. Translated by Alexander, Philip S. Peabody, Massachusetts: Hendrickson Publishers. pp. 223-316.

(208) القبّالة (بالعبرية: קַבָּלָה) هي تيار فلسفي وروحاني يهودي باطني متصوف، يهدف إلى فهم أعمق للكون والله والعلاقة بينهما. تعتمد القبالة على تفسير رمزي وباطني للنصوص التوراتية والتقاليد اليهودية، وتسعَى إلى الكشف عن المعاني الخفية والأسرار الكونية الكامنة وراء الكلمات والأحداث، وسنشرح أسرارها لاحقًا باستفاضة.

(209) Evans, Craig A., ed. (1992). Noncanonical writings and New Testament Interpretation. Peabody, Massachusetts: Hendrickson Publishers p. 24.

(210) Tosefta Hallah 1:10; Bava Kamma 80a; compare Rabbinovicz, Dikdukei Soferim ad loc.;

Hullin 49a

(211) Avodah Zarah 2:5; Tosefta Parah10(9):3.

(212) Compare Avot of Rabbi Natan 38 [ed. Schechter, p. 57b; Schechter, Solomon (ed.). Avot of Rabbi Natan, 38 אבות דרבי נתן, פרק לח (in Hebrew). Vienna. p. 57b.

(213) One or more of the preceding sentences incorporates text from a publication now in the public domain: Singer, Isidore; Mendelsohn, Samuel (1901-1906). "Ishmael B. Elisha". In Singer, Isidore; et al. (eds.). The Jewish Encyclopedia. New York: Funk & Wagnalls.

(214) Boccaccini, Gabriele, ed. (2005). Enoch and Qumran Origins: New Light on a Forgotten Connection. Grand Rapids, Michigan: Eerdmans.

(215) Eisenman, Robert; Wise, Michael (1992). The Dead Sea Scrolls Uncovered (6 ed.). Shaftesbury, Dorset: Element Books, Inc. p. 95.

(216) The Digital Dead Sea Scrolls: Nature and Significance". Israel Museum Jerusalem.

(217) النبطية: لغة سامية عربية تتبع لهجة من لهجات اللغة العربية الشمالية القديمة، منسوبة لشعب المملكة النبطية العربية في شمال شبه الجزيرة.

(218) Lash, Mordechay; Goldstein, Yossi; Shai, Itzhaq (2020). "Underground-Archaeological Research in the West Bank, 1947-1968: Management, Complexity, and Israeli Involvement". Bulletin of the History of Archaeology. 30.

(219) Milik, J. T., ed. (1976). The Books of Enoch: Aramaic Fragments of Qumran. London: Clarendon Press. pp. 43, 58, 92, 109-110, 113, 158, 171, 254, 300-316, 320, 328, 336-338.

(220) Singer, Isidore, ed. (1905). "Sirach, The Wisdom of Jesus the Son of". The Jewish Encyclopedia. Vol. 11. New York: Funk & Wagnalls. pp. 388-397.

(221) Williams, David Salter (1994). "The Date of Ecclesiasticus". Vetus Testamentum. 44 (4): 563-566.

(222) (سفر سيراخ ٤٤: ١٦).

(223) (سفر سيراخ ٤٩: ١٤).

(224) Singer, Isidore, ed. (1905). "Sirach, The Wisdom of Jesus the Son of". The Jewish Encyclopedia. Vol. 11. New York: Funk & Wagnalls. pp. 388-397.

**(225) «فَكَانَتْ كُلُّ أَيَّامِ أَخْنُوخَ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَخَمْسًا وَسِتِّينَ سَنَةً.» (سفر التكوين ٥: ٢٣).**

(226) موقع الأنبا تيكلا هيمانوت، قاموس الكتاب المقدس - دائرة المعارف الكتابية المسيحية، أخنوخ البار.

(227) (إنجيل لوقا ٣: ٣).

(228) (رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين ١١: ٥-٦).

(229) (رسالة يهوذا، ١٤).

(230) E. Isaac, 1 Enoch, a new Translation and Introduction in Old Testament Pseudepigrapha ed. Charlesworth, Doubleday 1983-85.

(231) [وَتَنَبَّأَ عَنْ هؤُلاَءِ أَيْضًا أَخْنُوخُ السَّابِعُ مِنْ آدَمَ قَائِلًا: «هُوَذَا قَدْ جَاءَ الرَّبُّ فِي رَبَوَاتِ قِدِّيسِيهِ، لِيَصْنَعَ دَيْنُونَةً عَلَى الْجَمِيعِ، وَيُعَاقِبَ جَمِيعَ فُجَّارِهِمْ عَلَى جَمِيعِ أَعْمَالِ فُجُورِهِمِ الَّتِي فَجَرُوا بِهَا، وَعَلَى جَمِيعِ الْكَلِمَاتِ الصَّعْبَةِ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا عَلَيْهِ خُطَاةٌ فُجَّارٌ».] (رسالة يهوذا ١: ١٤-١٥).

(232) (سفر الرؤيا ١١: ٣-١٢: ١).

(233) Book of Mormon: Helaman 4:25.

(234) Criss, Doug (August 17, 2018). "Mormons don't want you calling them Mormons anymore". CNN.

(235) (Pearl of Great Price 10:37-38).

(236) (Pearl of Great Price 10:38).

(237) (Doctrine and Covenants 76:15-17, 107:41, 116:39).

(238) (Book of Moses 6:28-29).

(239) (The Book of Moses: 7).

(240) (Doctrine and Covenants 76:16-17).

(241) (Book of Moses 7:62-66).

(242) Doctrine and Covenants 107 (LDS Church Edition).

(243) Doctrine and Covenants 116 (LDS Church Edition). Volume Two, Chapter 9, 153-154.

(244) الشرق الأقصى: المقصود به الحضارات القديمة التي أُقيمت في المِنْطقة الجغرافية التي تشمل حاليًّا شرق وجنوب شرق آسيا بالإضافة إلى الشرق الأقصى الروسي.

(245) Franklin, J. Jeffrey (2018). Spirit Matters: Occult Beliefs, Alternative Religions, and the Crisis of Faith in Victorian Britain. Ithaca and London: Cornell University Press. p. 193.

(246) Yeats, F. Giordano Bruno and the Hermetic Tradition, Routledge, London, 1964, pp. 14-18 and pp. 433-434.

(247) Lachman, Gary (2012). Madame Blavatsky: The Mother of Modern Spirituality. New York: Jeremy P. Tarcher/Penguin p. 137.

(248) Helena Blavatsky (June 1, 1885). "Lamas and Druses". Ancient Survivals and Modern Errors. Bangalore: Theosophy Company (Mysore) Private Ltd. p. 12.

(249) Helena Blavatsky (1981). "The Eight Wonder by an Unpopular Philosopher (written in 1889)". Ancient Science, Doctrine and Beliefs. Bangalore: Theosophy Company (Mysore) Private LTD. p. 33 - (Lucifer, October, 1791).

(250) Van den Broek, Roelof (2006). "Hermes Trismegistus I: Antiquity". In Hanegraaff, Wouter J. (ed.). Dictionary of Gnosis and Western Esotericism. Leiden: Brill. pp. 474-478.

(251) خزعل الماجدي، أنبياء سومريون، كيف تحوّل عشرة ملوك سومرين إلى عشرة أنبياء توراتيين، ص ٦٢.

(252) Heiser, James D. (2011). Prisci Theologi and the Hermetic Reformation in the Fifteenth Century (1st ed.). Malone, Tex.: Repristination Press.

(253) Yeats, F. Giordano Bruno and the Hermetic Tradition, Routledge, London, 1964, pp. 14-18 and pp. 433-434.

(254) The previous reference. p 27 and p 293.

(255) Copenhaver, B.P., "Hermetica", Cambridge University Press, 1992, p xlviii.

(256) «سودا» كلمة يونانية تعني «الحامية» أو «الحِصن»، وسُميت في المصادر العربية القديمة الثغور – وهي الموسوعة البيزنطية المسيحية المكتوبة باللغة اليونانية في القرن العاشر.

(257) Copenhaver, Brian P. (1995). Hermetica: p. xli.

(258) Mungello, David Emil (1989), Curious Land: Jesuit Accommodation and the Origins of Sinology, Honolulu: University of Hawaii Press, p 321.

(259) Budge, E.A. Wallis (1904). The Gods of the Egyptians Vol. 1. pp. 414-5.

(260) A survey of the literary and archaeological evidence for the background of Hermes Trismegistus as the Greek god Hermes and the Egyptian god Thoth may be found in Bull, Christian H. (2018). "The Myth of Hermes Trismegistus". The Tradition of Hermes Trismegistus: The Egyptian Priestly Figure as a Teacher of Hellenized Wisdom. Religions in the Graeco-Roman World. Vol. 186. Leiden and Boston: Brill Publishers. pp. 31-96.

(261) Powell, Barry B. (2015). Classical Myth (8th ed.). Boston: Pearson. pp. 177-190.

(262) Brown, Norman Oliver (1947). Hermes the Thief: The Evolution of a Myth. New York: Vintage Books. p. 3.

(263) "Atlas - Greek Mythology". Encyclopedia Britannica (in English).

(264) Powell, Barry B. (2015). Classical Myth (8th ed.). Boston: Pearson. pp. 177-190.

(265) Brown, Norman Oliver (1947). Hermes the Thief: The Evolution of a Myth. New York: Vintage Books. p. 3.

(266) Eric H Cline, David O'Connor (January 5, 2006), Thutmose III: A New Biography, University of Michigan Press, p. 127.

(267) Budge, E. A. Wallis. The Gods of the Egyptians Volume 1 of 2. New York: Dover Publications, 1969 (original in 1904).Vol. 1, p. 400.

(268) The previous reference, p. 405.

(269) Budge, E. A. Wallis. The Gods of the Egyptians Volume 1 of 2. New York: Dover Publications, 1969 (original in 1904).Vol. 1, p. 403.

(270) لوحة محكمة الموتَى؛ كتاب الموتَى.

(271) Hart, G., The Routledge Dictionary of Egyptian Gods and Goddesses, 2005, Routledge, second edition, Oxon, p 158.

(272) Bailey, Donald, "Classical Architecture" in Riggs, Christina (ed.), The Oxford Handbook of Roman Egypt (Oxford University Press, 2012), p. 192.

(273) van den Broek and Hanegraaff (1997) distinguish Hermetism in late antiquity from Hermeticism in the Renaissance revival.

(274) Van den Kerchove, Anna (2017). Hermès Trismégiste. Le messager divin. Paris: Éditions Entrelacs. p. vii.

(275) "A History of the Church", Philip Hughes, Sheed & Ward, rev ed 1949, vol I chapter 6.

(276) English translation in Litwa 2018, pp. 27-159.

(277) Salaman, Van Oyen, Wharton and Mahé,The Way of Hermes, p. 9.

(278) This Leonardo di Pistoia was a monk "J.R. Ritman Library - Bibliotheca Philosophica Hermetica».

(279) "Corpus Hermeticum". www.granta.demon.co.uk.

(280) Tambiah (1990), Magic, Science, Religion, and the Scope of Rationality, pp. 27-28.

(281) Hanegraaff, Wouter J. (1996). New Age Religion and Western Culture. Leiden: Brill. pp. 390-391.

(282) Salaman, Clement; Van Oyen, Dorine; Wharton, William D.; Mahé, Jean-Pierre, eds. (1999). The Way of Hermes: New Translations of The Corpus Hermeticum and The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius. London: Duckworth. pp. 9-10.

(283) Quispel, Gilles (2004). Preface to The Way of Hermes: New Translations of The Corpus Hermeticum and The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius. Translated by Salaman, Clement; van Oyen, Dorine; Wharton, William D.; Mahé, Jean-Pierre. Rochester, Vermont: Inner Traditions.

(284) Bull, Christian H. (2018). The Tradition of Hermes Trismegistus: The Egyptian Priestly Figure as a Teacher of Hellenized Wisdom. Leiden: Brill. p. 454.

(285) Copenhaver, B.P., "Hermetica", Cambridge University, p. xxxiii; Bull 2018, pp. 2-3. Garth Fowden is somewhat more cautious, noting that our earliest testimonies date to the first century BCE (see Fowden 1986, p. 3, note 11).

(286) "philosopher's stone". Britannica. Encyclopedia Britannica. 13 May 2024.

(287) Highfield, Roger. "A history of magic: Secrets of the Philosopher's Stone". The British Library.

(288) Heindel, Max (June 1978). Freemasonry and Catholicism: an exposition and Investigation. Rosicrucian Fellowship.

(289) Principe, L. M, The Secrets of Alchemy, 2013, University of Chicago Press, p. 123

(290) Van Bladel, Kevin (2009). The Arabic Hermes: From Pagan Sage to Prophet of Science. Oxford: Oxford University Press. p. 17, note 42.

(291) Zirnis, Peter (1979). The Kitāb Usṭuqus al-uss of Jābir ibn Ḥayyān (Unpublished PhD diss.). New York University. pp. 64-65, 90. Jabir explicitly notes that the version of the Emerald Tablet quoted by him is taken from "Balīnās the Sage" (i.e., pseudo-Apollonius of Tyana), although it differs slightly from the (probably even earlier) version preserved in pseudo-Apollonius of Tyana's Sirr al-khalīqa (The Secret of Creation): see Weisser, Ursula (1980). Das "Buch über das Geheimnis der Schöpfung" von Pseudo-Apollonios von Tyana. Berlin: De Gruyter. p. 46.

(292) Stapleton, H. E.; Lewis, G. L.; Taylor, F. Sherwood (1949). "The sayings of Hermes quoted in

the Mā’ al-waraqī of Ibn Umail”. Ambix. 3 (3-4): 69-90.

(293) Principe, Lawrence M. (2013). The Secrets of Alchemy. Chicago: University of Chicago Press. p. 32.

(294) Copenhaver 1992, p. xliv; Bull 2018, p. 32. The sole exception to the general dating of c. 100-300 CE is The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius, which may date to the first century CE (see Bull 2018, p. 9, referring to Mahé 1978-1982, vol. II, p. 278; cf. Mahé 1999, p. 101). Earlier dates have been suggested, most notably by Flinders Petrie (500-200 BCE) and Bruno H. Stricker (c. 300 BCE), but these suggestions have been rejected by most other scholars (see Bull 2018, p. 6, note 23).

(295) Bull, Christian H. (2018). The Tradition of Hermes Trismegistus: The Egyptian Priestly Figure as a Teacher of Hellenized Wisdom. Religions in the Graeco-Roman World: 186. Leiden: Brill. p. 3.

(296) Ebeling, Florian (2007). The Secret History of Hermes Trismegistus: Hermeticism from Ancient to Modern Times. Translated by Lorton, David. Ithaca: Cornell University Press. pp. 68-70.

(297) Salaman, Clement; van Oyen, Dorine; Wharton, William D.; Mahé, Jean-Pierre (1999). The Way of Hermes. London: Duckworth Books.

(298) Copenhaver, Brian P. (1992). Hermetica: The Greek Corpus Hermeticum and the Latin Asclepius in a New English Translation, with Notes and Introduction. Cambridge: Cambridge University Press.

(299) Principe, Lawrence M. (2013). The Secrets of Alchemy. Chicago: University of Chicago Press. p. 31-32.

(300) Principe, Lawrence M. (2013). The Secrets of Alchemy. Chicago: University of Chicago Press. p. 31.

(301) Kraus, Paul 1942-1943. Jâbir ibn Hayyân: Contribution à l’histoire des idées scientifiques dans l’Islam. I. Le corpus des écrits jâbiriens. II. Jâbir et la science grecque. Cairo: Institut français d’archéologie orientale, vol. II, pp. 274-275; Weisser, Ursula 1980. Das Buch über das Geheimnis der Schöpfung von Pseudo-Apollonios von Tyana. Berlin: De Gruyter, p. 54.

(302) Balinus, The Secret of Creation and the Making of Nature (Book of Causes), ed. Ursula Weiser (Aleppo, Syria: University of Aleppo, 1979) p. 100.

(303) بالينوس الحكيم، سرّ الخليقة وصنعة الطبيعة – تحقيق «أورسولا وايسر»، معهد التراث العلمي العربي جامعة حلب، مقتطفات تم تجميعها من ص ٣ الى ص ١٣، بدايةً من المقدِّمة ووصية الكاتب حتى باب في العلة والسبب.

(304) المرجع السابق.

(305) Florian Ebeling. The Secret History of Hermes Trismegistus: Hermeticism from Ancient to Modern Times. Cornell University Press, 2007. p. 46-47, 96.

(306) Weiser, Ursula (edited) 1979. The Secret of Creation and the Work of Nature - The Book of Causes - Pliny the Wise. Aleppo: Arab Scientific Heritage Institute, p. 524-525. = Weiser, Ursula 1979. Buch über das Geheimnis der Schöpfung und die Darstellung der Natur (Buch der Ursachen) von Pseudo-Apollonios von Tyana. Aleppo: Institute for the History of Arab Sciences, pp. 524-525.

(307) M. Th Houtsma. First Encyclopaedia of Islam: 1913-1936 p. 594.

(308) Florian Ebeling. The Secret History of Hermes Trismegistus: Hermeticism from Ancient to Modern Times. Cornell University Press, 2007. p. 49.

(309) Hanegraaff, Wouter J. (2022). "The Presence of Gods". Hermetic Spirituality and the Historical Imagination: Altered States of Knowledge in Late Antiquity. Cambridge: Cambridge University Press. p. 49.

(310) Ebeling, Florian (2007). The Secret History of Hermes Trismegistus: Hermeticism from Ancient to Modern Times. Translated by Lorton, David. Ithaca: Cornell University Press. p. 54.

(311) Scott, Walter (January 1995). Walter Scott, Hermetica Volume 1, p 457.

(312) Mahé, Jean-Pierre (1999). "The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius". In Salaman, Clement; van Oyen, Dorine; Wharton, William D.; Mahé, Jean-Pierre (eds.). The Way of Hermes. London: Duckworth Books. pp. 100-108.

(313) Salaman, Clement (23 August 2000). The Way of Hermes: Translations of The Corpus Hermeticum and The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius. Inner Traditions.

(314) "A Suggestive Inquiry into Hermetic Philosophy and Alchemy" with an introduction by Isabelle de Steiger.

(315) "Hermetic Papers of A. E. Waite: the Unknown Writings of a Modern Mystic" Edited by R. A. Gilbert.

(316) "The Pymander of Hermes' Volume 2, Collectanea Hermetica" published by The Theosophical Publishing Society in 1894.

(317) Houdini‹ Harry. A Magician among the Spirits. Cambridge: Cambridge University Press. pp. 79 - 100.

(318) Three Initiates (1908). The Kybalion: A Study of the Hermetic Philosophy of Ancient Egypt and Greece. Chicago: The Yogi Publication Society. p. 26.

(319) The previous reference. p. 28.

(320) Ibid. p. 30.

(321) Three Initiates (1908). The Kybalion: A Study of the Hermetic Philosophy of Ancient Egypt and Greece. Chicago: The Yogi Publication Society. p. 32.

(322) The previous reference. p. 35.

(323) Ibid. p. 38.

(324) Three Initiates (1908). The Kybalion: A Study of the Hermetic Philosophy of Ancient Egypt and Greece. Chicago: The Yogi Publication Society. p. 39.

(325) Festugière, André-Jean (1944-1954). La Révélation d'Hermès Trismégiste. Vol. I-IV. Paris: Gabalda. vol. II, pp. 68-71; Bull 2018, p. 303.

(326) Copenhaver, Brian P. (1992). Hermetica: The Greek Corpus Hermeticum and the Latin Asclepius in a New English Translation, with Notes and Introduction. Cambridge: Cambridge University Press. p. 216.

(327) Festugière, André-Jean (1944-1954). La Révélation d'Hermès Trismégiste. Vol. I-IV. Paris: Gabalda. vol. II, p. 68.

(328) Bull, Christian H. (2018). The Tradition of Hermes Trismegistus: The Egyptian Priestly Figure as a Teacher of Hellenized Wisdom. Leiden: Brill. p. 303.

(329) Copenhaver, Brian P. (1992). Hermetica: The Greek Corpus Hermeticum and the Latin Asclepius in a New English Translation, with Notes and Introduction. Cambridge: Cambridge University Press. p. 216.

(330) Hanegraaff, W. J., New Age Religion and Western Culture, SUNY, 1998, p 360.

(331) Yates, Frances A. (1964). Giordano Bruno and the Hermetic Tradition. London: Routledge and Kegan Paul.p. 14.

(332) Steele, Robert and Singer, Dorothea Waley 1928. "The Emerald Table" in: Proceedings of the Royal Society of Medicine, 21, pp. 41-57/485-501, p. 42/486 (English), p. 48/492 (Latin). For other medieval translations, see Emerald Tablet.

(333) Hall, Manly Palmer (1925). The Hermetic Marriage: Being a Study in the Philosophy of the Thrice Greatest Hermes. Hall Publishing Company. p. 227.

(334) Eliade, Mircea (1978). The Forge and the Crucible: The Origins and Structure of Alchemy. University of Chicago Press. pp. 149, 155-157.

(335) Edmonds III, Radcliffe G. 2019. "The Illuminations of Theurgy: Philosophy and Magic" pp. 314-377. Drawing Down the Moon: Magic in the Ancient Greco-Roman World. Princeton University Press.

(336) "Poemandres" is the first treatise in the Hermetic collection.

(337) Scott, Walter (1 January 1995). Hermetica: The Ancient Greek and Latin writings which contain religious or philosophic teachings ascribed to Hermes Trismegistus. Volume 1. Introduction, texts, and translations. Kessinger Publishing.

(338) Salaman, Clement; Van Oyen, Dorine; Wharton, William D.; Mahé, Jean-Pierre, eds. (1999). The Way of Hermes: New Translations of The Corpus Hermeticum and The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius. London: Duckworth. p. 33.

(339) Bull, Christian H. (1 January 2015). "Ancient Hermetism and Esotericism". Aries. 15 (1): 109-135.

(340) Salaman, Clement; Van Oyen, Dorine; Wharton, William D.; Mahé, Jean-Pierre, eds. (1999). The Way of Hermes: New Translations of The Corpus Hermeticum and The Definitions of Hermes Trismegistus to Asclepius. London: Duckworth. p. 42.

(341) Barry, Kieren (1999). The Greek Qabalah: Alphabetic Mysticism and Numerology in the Ancient World. Samuel Weiser.
(342) Farmer, S. A. (1999). Syncretism in the West: Pico's 900 Theses (1486). Medieval & Renaissance Texts & Studies.
(343) Schmidt, Edward W. (Winter 2001-2002). "The Last Renaissance Man: Athanasius Kircher, SJ". The World of Jesuits and Their Friends. Vol. 19, no. 2.
(344) Fortune, Dion (1987). The Mystical Qabalah. Aquarian Press. p. 44.
(345) The previous reference. pp. 37-42.
(346) Regardie, Israel (2000). The Golden Dawn. Llewellyn. p. 51.
(347) Fortune, Dion (1987). The Mystical Qabalah. Aquarian Press. p. 1.
(348) Regardie, Israel (2000). The Golden Dawn. Llewellyn. pp. 20-21.
(349) Fortune, Dion (1987). The Mystical Qabalah. Aquarian Press. p. 107.
(350) The previous reference. p. 102.
(351) Regardie, Israel (2000). The Golden Dawn. p. 69.
(352) Faulks, Philippa and Robert L.D. Cooper. 2008. The Masonic Magician: The Life and Death of Count Cagliostro and His Egyptian Rite. London, Watkins Publishing. p. 6.
(353) Prescott, Andrew. The Cause of Humanity: Charles Bradlaugh and Freemasonry. p. 15.
(354) Regardie, Israel (1940). The Golden Dawn. St. Paul: Llewellyn Publications. p. 17.
(355) McIntosh, Christopher (1972). Éliphas Lévi and the French Occult Revival.
(356) The previous reference. pp. 15-6.
(357) Lindgren, Carl Edwin, The way of the Rose Cross; A Historical Perception, 1614-1620.
(358) Vickers, Brian (June 1979), "Francis Yeats and the Writing of History", Journal of Modern History, c. 51, p. 287-316.
(359) "Prof. Carl Edwin Lindgren, "The Rose Cross, A Historical and Philosophical View»».
(360) Kiss Paul Foster (1989). The True and Invisible Rosicrucian Order: An Interpretation of the Rosicrucian Symbol and an Explanation of the Ten Rosicrucian Degrees. Newburyport, MA: Weiser Books.
(361) Regardie, Israel (1993). What You Should Know About the Golden Dawn (6th ed.). New Falcon Publications.p. 10.
(362) Regardie, Israel (1940). The Golden Dawn. St. Paul: Llewellyn Publications. pp. 15-7.
(363) Decker, Ronald; Dummett, Michael (2019). A History of the Occult Tarot. London: Duckworth. pp. 93 - 96.
(364) Gilbert, R. A. (1986b). "The masonic career of A.E. Waite". Ars Quatour Coronatorum.
(365) Booth, Martin (2000). A Magick Life: The Biography of Aleister Crowley. London: Coronet Books. pp. 159 - 63.
(366) Regardie, Israel (1940). The Golden Dawn. St. Paul: Llewellyn Publications. p. ix.

(367) Godwin, Joscelyn; Chanel, Christian; Deveney, John Patrick (1995), The Hermetic Brotherhood of Luxor: Initiatic and Historical Documents of an Order of Practical Occultism, Samuel Weiser. pp. 92-97.

(368) The previous reference. p. 44.

(369) Godwin, Joscelyn; Chanel, Christian; Deveney, John Patrick (1995), The Hermetic Brotherhood of Luxor: Initiatic and Historical Documents of an Order of Practical Occultism, Samuel Weiser. p. 55.

(370) Greer, John Michael (2008). Elemental Encyclopedia of Secret Societies (2nd ed.). HarperCollins. pp. 367-368.

(371) Goodwin, Jocelyn (1990). "Brotherhood of Light." Theosophical history. Third (3).

(372) Bogdan, Henrik; Starr, Martin P., eds. (2012). Aleister Crowley and Western Esotericism. Oxford University Press. pp. 10, 148-150.

(373) Kaczynski, Richard (2010). Perdurabo: The Life of Aleister Crowley (2nd ed.). Berkeley, California: North Atlantic Books. p. 350.

(374) Bogdan, Henrik; Starr, Martin P., eds. (2012). Aleister Crowley and Western Esotericism. Oxford University Press. p. 239.

(375) Hanegraaff, Wouter J.; Faivre, Antoine; Broek, Roelof van den; Brach, Jean-Pierre (2005). Dictionary of Gnosis and Western Esotericism (Online ed.). Leiden: Brill.

(376) Quispel, Gilles (March 1992). "Hermes Trismegistus and the Origins of Gnosticism". Vigiliae Christianae. 46 (1): 1-19.

(377) Van den Broek, Roel (1998). "Gnosticism and Hermetism in Antiquity". In Van den Broek, Roel; Hanegraaff, Wouter (eds.). Gnosis and Hermeticism from Antiquity to Modern Times. Albany: State University of New York Press. p. 17.

(378) The previous reference. p. 1.

(379) Van den Broek, Roel (1998). "Gnosticism and Hermetism in Antiquity". In Van den Broek, Roel; Hanegraaff, Wouter (eds.). Gnosis and Hermeticism from Antiquity to Modern Times. Albany: State University of New York Press. p. 6.

(380) The previous reference. p. 7.

(381) Ibid. p. 8.

(382) Van den Broek, Roel (1998). "Gnosticism and Hermetism in Antiquity". In Van den Broek, Roel; Hanegraaff, Wouter (eds.). Gnosis and Hermeticism from Antiquity to Modern Times. Albany: State University of New York Press. pp. 9 -10.

(383) The previous reference. pp. 11-12.

(384) Ibid. 16-17.

(385) Lelli, Fabrizio (December 22, 2007). "Hermes Among the Jews: Hermetica as Hebraica from Antiquity to the Renaissance". Magic, Ritual, and Witchcraft.

(386) Leslie, Arthur M. (September 22, 1999). "Jews at the Time of the Renaissance". Renaissance

Quarterly.

(387) Wieczynski, Joseph L. (Spring 1975). "Hermetism and Cabalism in the Heresy of the Judaizers". Renaissance Quarterly. 28 (1): p. 22.

(388) Lelli, Fabrizio (December 22, 2007). "Hermes Among the Jews: Hermetica as Hebraica from Antiquity to the Renaissance". Magic, Ritual, and Witchcraft.

(389) The previous reference.

(390) Ibid.

(391) Lelli, Fabrizio (December 22, 2007). "Hermes Among the Jews: Hermetica as Hebraica from Antiquity to the Renaissance". Magic, Ritual, and Witchcraft.

(392) The previous reference.

(393) Lyman, Mary Ely (1930). "Hermetic Religion and the Religion of the Fourth Gospel". Journal of Biblical Literature. 49 (3): p. 265.

**(394) [لاَ بِأَعْمَال فِي بِرّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ خَلَّصَنَا بِغُسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ] (رسالة بولس الرسول إلى تيطس ٣: ٥).**

(395) Lyman, Mary Ely (1930). "Hermetic Religion and the Religion of the Fourth Gospel". Journal of Biblical Literature. 49 (3): p. 268.

(396) The previous reference: p. 271.

(397) Ibid: p. 265.

(398) Lyman, Mary Ely (1930). "Hermetic Religion and the Religion of the Fourth Gospel". Journal of Biblical Literature. 49 (3): p. 266.

(399) The previous reference: p. 270.

(400) Ibid: pp. 270-71.

(401) Lyman, Mary Ely (1930). "Hermetic Religion and the Religion of the Fourth Gospel". Journal of Biblical Literature. 49 (3: p. 268.

(402) The previous reference: p. 269.

(403) Lyman, Mary Ely (1930). "Hermetic Religion and the Religion of the Fourth Gospel". Journal of Biblical Literature. 49 (3): p. 272.

(404) The previous reference: p. 272.

(405) Ibid: pp. 273-74.

(406) Lyman, Mary Ely (1930). "Hermetic Religion and the Religion of the Fourth Gospel". Journal of Biblical Literature. 49 (3): pp. 274-75.

(407) The previous reference: p. 275.

(408) Barlow, Philip I. (January 17, 1996). "The Refiner's Fire: The Making of Mormon Cosmology, 1644-1844". The Christian Century.

(409) فراس السواح، طريق إخوان الصفا: مدخل إلى الغنوصية الإسلامية، ص. ٢٠.

(410) مقال: حسام الحداد، إخوان الصفا بوابة الحركات الإسلامية، بتاريخ: السبت ١٠/ نوفمبر/ ٢٠١٨

م.

(411) محمود عكام، الموسوعة الإسلامية المُيسرة، ج ٣، ص. ٤٨٣.

(412) Van Bladel, Kevin (2009). The Arabic Hermes: From Pagan Sage to Prophet of Science. Oxford: Oxford University Press. pp. 164 -172.

(413) الشيخ المنوفي، السيد محمود أبو الفَيض المنوفي، الدين والفلسفة والعلم، ص ٦١.

(414) محمد علي الصابوني، النبوة والأنبياء: دراسة تفصيلية لحياة الرسل الكرام ودعوتهم، وأثرهم في تغيير مفاهيم البشر، بأسلوب يجمع بين الدقة والسهولة، والجدة والتحقيق، ص. ٢٢٤.

(415) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٣١١، شرح أصل بلدة بابليون.

(416) القفطي، جمال الدين القفطي، كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٨.

(417) ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ق ١، ج ١، ص ٣١.

(418) خضر، محمد أحمد، الخليل إبراهيم وذريته، ص. ٣٠.

(419) ابن العبري، أبو الفرج بن هارون الملطي، تاريخ مختصر الدول، ص ٦.

(420) الآلوسي، محمود شهاب الدين أبو الثناء الآلوسي، روح المعاني، ج ٦، ص ٣٠٧.

(421) القرماني، أحمد بن يوسف القرماني، أخبار الدول وآثار الأُول، ص ٤٣.

(422) هامش فصوص ابن العبري، ج ٢، ص ٤٥.

(423) ابن ظهيرة، محمد بن ظهيرة القرشي، الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، ص ٨٥.

(424) ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان، طبقات الأطباء والحكماء، ص ٦.

(425) ابن أبي أُصيبعة، أحمد بن سديد الدين القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص ٣١.

(426) البرابي: جمع بربا أو برباة، وهو اسم أطلقه المصريون على جميع المعابد والآثار القديمة.

(427) المقريزي، تقي الدين بن محمد المقريزي المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار، ج١، ص ٥٢، وقال هذا نقلًا عن أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي.

(428) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٩، ص ١٥.

(429) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين السيوطي، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٦٠، باب- ذكر من كان بمصر من الحكماء في الدهر الأول.

(430) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همّام الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٣١، باب - ذكر من نزل مصر من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام.

(431) المرجع السابق.

(432) الشيخ المنوفي، السيد محمود أبو الفيض المنوفي، الدين والفلسفة والعلم، ص ٢٦.

(433) المرجع السابق، ص ٥٨.

(434) أصحاب الحضارة الكلدانية القديمة؛ جنوب بلاد الرافدين.

(435) الشيخ المنوفي، السيد محمود أبو الفيض المنوفي، الدين والفلسفة والعلم، ص ٦٧.
(436) المرجع السابق، ص ٥٩.
(437) الشيخ المنوفي، السيد محمود أبو الفيض المنوفي، الدين والفلسفة والعلم، ص ٦١.
(438) المرجع السابق، ص ٧٩.
(439) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين السيوطي، تُحفة الكرام في أخبار الأهرام، ج ١، ص ٧.
(440) المقريزي، تقي الدين بن محمد المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار، ج١، ص ٢٢٢، باب ذكر الأهرام.
(441) ابن فضل الله العُمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ٩، ص ١٥.
(442) المقريزي، تقي الدين بن محمد المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص ٢٢٣، باب ذكر الأهرام.
(443) ابن النديم، أبو الفرَج محمد بن إسحاق النديم، الفهرست، ٤٣٢.
(444) يختلف الذراع لدى أئمة الإسلام، فعند الحنفية:(٤٦.٣٧٥) سم. وعند المالكية: (٥٣) سم. وعند الشافعية والحنابلة: (٦١.٨٣٤) سم.
(445) جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن همام الدين السيوطي، كتاب حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، ص ٧٦، باب – –ذكر الأهرام.
(446) Hawkes, Jacquetta (1974). Atlas of ancient monuments. McGraw-Hill Book Company. s. 149.
(447) Wildung, D. (1977). Egyptian Saints: Deification in pharaonic Egypt. New York University Press. p. 34.
(448) Osler, William (2004). The Evolution of Modern Medicine. Kessinger. p. 12.
(449) Baud, M. (2002). Djéser et la IIIe dynastie [Djoser and the Third Dynasty] (in French). p. 125.
(450) Hurry, Jamieson B. (2014) [1926]. Imhotep: The Egyptian god of medicine (reprint ed.). Oxford, UK: Traffic Output. pp. 47-48.
(451) https: / /www.alarabiya.net/ لقاء مع د: وسيم السيسي تحت عنوان: قصة موسى والبحر خاطئة والنبي إدريس هو أوزوريس.
(452) نديم عبد الشافي السيار، المصريون القدماء أول الحلفاء، ص ٢١.
(453) المرجع السابق، ص ٧٠.
(454) نديم عبد الشافي السيار، المصريون القدماء أول الحلفاء، ص ٧٢.
(455) القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية ١٠٧.
(456) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية ١٨٣.
(457) معلومات عن نقش رمسيس الثالث المكتشف بالقرب من تيماء – الهيئة العامة للسياحة والآثار

السعودية.

(458) Collier, Mark; Manley, Bill (1998). How to Read Egyptian Hieroglyphs, British Museum Press, p. 41.

(459) The Burden of Egypt, J. A. Wilson, p. 302, University of Chicago Press, 4th imp 1963

(460) Griffiths, John Gwyn (1980). The Origins of Osiris and His Cult. Brill. p. 44

(461) Strudwick, Helen (2006). The Encyclopedia of Ancient Egypt. New York: Sterling Publishing Co., Inc. pp. 118-119.

(462) Strudwick, Helen (2006). The Encyclopedia of Ancient Egypt. New York: Sterling Publishing Co., Inc. pp. 118-119.

(463) Plutarch (1874). Plutarch's Moralia, On Isis and Osiris, ch. 12.

(464) «Osiris", Man, Myth & Magic, S.G.F Brandon, Vol5 P2088, BPC Publishing.

(465) «The Historical Library of Diodorus Siculus", translated by George Booth 1814.

(466) Dijkstra, Jitse H. F. (2008). Philae and the End of Egyptian Religion, pp. 337-348

(467) Rigano, Charles (2014). Pyramids of the Giza Plateau. Author House. p. 148.

(468) Sphinx Project, "Ancient Egypt Research Associates". 10 September 2009.

(469) المحجر هو نوع من منجم الحفرة المفتوحة الذي يتم فيه استخراج الحجر أو الصخور.

(470) Zuberbühler, Franz Löhner, Teresa. "Stone quarries in ancient Egypt. Details about the Giza quarries, the granite quarries in Assuan, and the Tura limestone quarries". cheops-pyramide.ch.

(471) www.aeraweb.org / The Sphinx - Geology of the statue - Dating the Sphinx - Associates in ancient Egypt.

(472) المقريزي، تقي الدين بن محمد المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ١، ص ٢٣٠.

(473) Bryan, Betsy M. (1991) "The Reign of Tuthmosis IV." Johns Hopkins University Press. pp. 145-146.

(474) The above reference.

(475) الشيخ المنوفي، السيد محمود أبو الفيض المنوفي، الدين والفلسفة والعلم، ص ٦٣.

(476) الناموس في المعاجم العربية تعني: القانون، الشريعة، الوصى، الحاذق، مهارة، بيت الراهب، مكمن، وكذلك تعني: صَاحب سرّ الرَّجل، والذي يطلعه دُون غيرِهِ على باطنِ أمرِه.

(477) Mark Lehner (1997). The Perfect Pyramids: Solving Ancient Mysteries. London: Thames and Hudson. s. 132.

(478) Freund, Charles Paul (5 November 1995). "From Satan to The Sphinx: The Masonic Mysteries of D.C.'s Map". The Washington Post.

(479) Taylor, David A. "The Lost Symbol's Masonic Temple." smithsonian.

(480) لقاء زاهي حواس مع عمرو أديب، برنامج «الحكاية»، على شاشة «أم بي سي مصر».

(481) زاهي حواس، «لماذا اسمه أبو الهول»، جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ سبتمبر ٢٠١٤

(482) سليم حسن، أبو الهول: تاريخه في ضوء الكشوف الحديثة. القاهرة: المطبعة الحكومية، ١٩٤٩.

(483) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٤٤٨٥

(484) البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الصفحة أو الرقم: ٣٤٦١.

(485) ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل بن العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٢٠.

(486) المُناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المُناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، ج ١، ص ٤٣٥.

(487) الطبري، محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٢، ص ٧٢، تفسير قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾.

(488) ابن خلدون، عبد الرحمٰن بن خلدون الحضرميَ، تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ق ١، ص ٥.

(489) المقريزي، تقي الدين بن محمد المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار، ج ١، ص ٢١٠، ذكر الأهرام.

(490) المقريزي، تقي الدين بن محمد المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار، ج ١، ص ٢١١، ذكر الأهرام

(491) القرآن الكريم، سورة المائدة: ١٩.

(492) القرآن الكريم، سورة النساء: ١٦٥.

(493) القرآن الكريم، سورة طـه:١٣٤.